وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت/ كلية التربية طوز خورماتو

قسم اللغة العربية

مدخلٌ إلى الأدب العربيِّ في العصر الجاهليِّ

"دراسةٌ منهجيةٌ أكاديميةٌ"

محمـــود عـــلي أحـــمـــد

٢٠٢٣م **٢٠٢٤م**

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

(المائدة: ٥٠)

الإهداء

إلى سيد الأولين والآخرين..

صاحب البيان الذي أوتي جوامع الكلم واللسان

سيدنا أبي القاسم محمد ﴿ ﷺ ﴾ .

محمود

المحتويات

المقدمة.....٢٠-٢٣

الفصل الأول.....٢٤-٣٤

مدلول الأدب في اللغة والاصطلاح.....٢٥

مصطلح أدب ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي).....٢٦

١-الدلالة الدينية.....٢٦

٢-الدلالة التاريخية.....٢٦

٣-الدلالة الاجتماعية.....٢٦-٣٠

الحياة الدينية عند الأمم في الجاهلية.....٣١

العصبية القبلية.....٣٢

العوامل المؤثرة في الأدب الجاهلي.....٣٣-٣٤

مصادر الفصل الأول.....٣٤

الفصل الثاني.....٣٥-٥٠

رواية الأدب الجاهلي وتدوينه.....٣٦

الرواية.....٣٦

مراحل الرواية.....٣٦

رواية الشعر الجاهلي ورواته.....٣٧

طبقات الرواة.....٣٧-٣٨

الطبقة الأولى.....٣٧

الطبقة الثانية.....٣٨

مصادر الأدب الجاهلي.....٣٨

١-دواوين الشعراء.....٣٨

٢-دواوين القبائل.....٣٨

٣-كتب المختارات.....٣٩- ٤٠

٤-كتب الحماسات.....٤٠

٥-كتب الطبقات.....٤٠

٦-كتب السير.....٤١

٧-كتب التراجم.....٤١

موضوعات الشعر الجاهلي.....٤١

١-الفخر والحماسة.....٤١

٢-الهجاء.....٤٢

٣-الغزل.....٤٢

٤-الوصف.....٤٣

٥-المدح.....٤٣

٦-الرثاء.....٤٤-٤٥

٧-الاعتذار.....٤٥

٨-الخمرة.....٤٥-٤٦

٩-الحكمة.....٤٦-٤٧

الشك في الشعر الجاهلي.....٤٧-٤٨

ضروب الشعر الجاهلي.....٤٨-٤٩

١-ضرب منحول.....٤٨

٢-ضرب صحيح.....٤٩

٣-ضرب مختلف فيه.....٤٩

مصادر الفصل الثاني.....٤٩-٥٠

الفصل الثالث.....٥١-٥٣

نشأة الشعر الجاهلي.....٥٢

خصائص الشعر الجاهلي اللفظية.....٥٢

١-الخصائص المعنوية.....٥٢

٢-الخصائص الفنية.....٥٢-٥٣

٣-خصائص الشعر الجاهلي الشكلية.....٥٣

الفصل الرابع.....٥٤-١٨١

المعلقات.....٥٥

مصطلح المعلقات.....٥٥

التسميات التي أُطلقت على المعلقات.....٥٥

التعليق على استار الكعبة بين القبول والرفض.....٥٦-٥٩

شعراء المعلقات.....٥٩

مطالع المعلقات.....٥٩-٦٠

أصحاب المعلقات.....٦١

١-امرؤ القيس.....٦١-٧٧

٢-طرفة بن العبد.....٧٧-٩١

٣-زهير بن أبي سلمى.....٩١-١٠٢

٤-لبيد بن أبي ربيعة.....١٠٢-١٠٩

٥-عمرو بن كلثوم.....١٠٩-١٢٨

٦-النابغة الذبياني.....١٢٨-١٣٨

٧-عنترة بن شداد.....١٣٨-١٥٠

٨-الأعشى.....١٥٠-١٦١

٩-عبيد بن الأبرص.....١٦١-١٧١

١٠-الحارث بن حلزة اليشكري.....١٧١-١٨٠

مصادر الفصل الرابع.....١٨١

الفصل الخامس.....١٨٢-١٩٩

الشعراء الفرسان.....١٨٣

١-لقيط بن يعمر الإيادي.....١٨٣

٢-قطبة بن أوس الفزاري.....١٨٣

٣-الشنفرى.....١٨٣

٤-المهلهل بن ربيعة.....١٨٣

٥-عمر بن قميئة.....١٨٤

٦-تأبط شرا.....١٨٤

٧-امرؤ القيس.....١٨٤

٨-السموأل بن عادياء.....١٨٤

٩-طرفة بن العبد.....١٨٥

١٠-الحارث بن حلزة.....١٨٥

١١-الخرنق بنت بدر البكرية.....١٨٥

١٢-عنتر بن شداد.....١٨٥

١٣-حاتم الطائي.....١٨٥

١٤-عمرو بن كلثوم.....١٨٦

١٥-العائذ بن ثعلبة.....١٨٦

١٦-عروة بن الورد.....١٨٦

١٧-الخنساء.....١٨٦

تطبيقات على شعراء الفرسان.....١٨٧-١٨٩

مميزات شعر الفرسان.....١٩٠

الشعراء الصعاليك.....١٩٠

مجاميع الشعراء الصعاليك.....١٩١

١-مجموعة الخلعاء.....١٩١

٢-مجموعة أبناء الحبشيات السود.....١٩١

٣-مجموعة المتصعلكين.....١٩١

الشعراء الصعاليك في الجاهلية.....١٩٢

١-الشنفرى الأزدي.....١٩٢-١٩٦

٢-عروة بن الورد العبسي.....١٩٦

٣-تأبط شرا.....١٩٦

٤-السليك بن السليكة.....١٩٦

٥-حاجز بن عوف الازدي.....١٩٧

٦-قيس بن الحدادية.....١٩٨

سمات الشعراء الصعاليك.....١٩٩

مصادر الفصل الخامس.....١٩٩

الفصل السادس.....٢٠٠-٢٢٦

النثر الجاهلي.....٢٠١

أنواع النثر الجاهلي.....٢٠٢

١-الخطابة.....٢٠٢-٢٠٣

أنواع الخطابة.....٢٠٣

الخطب الدينية.....٢٠٣

الخطب السياسية.....٢٠٣

الخطب الاجتماعية.....٢٠٤

الخطب الحربية.....٢٠٤

خطب قس بن ساعدة الايادي في سوق عكاظ.....٢٠٥

٢-القصص.....٢٠٥

أنواع القصص.....٢٠٦-٢٠٧

قصص التسلية.....٢٠٦

القصص الوعظية.....٢٠٦

القصص الحماسية.....٢٠٦

القصص الاجتماعية.....٢٠٧

القصص الخرافية.....٢٠٧

عناصر القصة.....٢٠٧

نماذج من القصص في العصر الجاهلي.....٢٠٧

زرقاء اليمامة.....٢٠٧-٢٠٨

قصص خرافية على ألسنة الحيوانات.....٢٠٩-٢١٠

٣-الأمثال.....٢١٠-٢١١

أسباب انتشار الأمثال.....٢١١

مميزات الأمثال.....٢١١

الأمثال الشهيرة عند العرب.....٢١٢

أنواع المثل.....٢١٣

قصص الأمثال عند العرب.....٢١٤-٢١٧

٤-الحكم.....٢١٧

أوجه الاختلاف بين الأمثال والحكم.....٢١٨

أسباب انتشارها.....٢١٨

٥-سجع الكهان.....٢١٨

سجع الكهان عن العرب والمستشرقين.....٢١٨

مميزات سجع الكهان.....٢١٩

٦-الوصايا.....٢١٩

الفرق بين الوصية والخطبة.....٢٢٠

أجزاء الوصية.....٢٢٠

خصائص أسلوب الوصية.....٢٢٠

٧-فن الرسائل.....٢٢١

خصائص الرسائل.....٢٢١-٢٢٣

أمثلة على فن الرسائل.....٢٢٣

٨-فن المناظرة.....٢٢٣

صور المناظرة.....٢٢٣

أشكال المناظرة.....٢٢٤

شروط المناظرة.....٢٢٤

خصائص المناظرة.....٢٢٥

سمات النثر الجاهلي.....٢٢٥

مصادر النثر الجاهلي.....٢٢٥-٢٢٦

الخاتمة.....٢٢٧

ثبت المصادر والمراجع.....٢٢٨-٢٣٧

المُقدِّمةُ

الحمد لله الذي شرّف العرب بالعربية، وشرّف العربية بالقرآن، والصلاة والسلام على خير العرب، والعجم سيدنا محمد النبي الأمين المرسل بلسان عربي مبين وعلى آله، وأصحابه الغر الميامين... وبعد .

إنَّ من ينظر في مدونة الشعر العربي القديم يجد فيها مادةً ثرةً تغري الباحثين بالاطلاع، والاستقصاء، وتفتح عليهم أفضل الطرق للحصول على مادةٍ شيقةٍ من خلال البحث، والتنقيب في خزانة الأدب التي اكتنزها الشعر العربي لما زخر به من شاعرية، ومهارة، وأصالة وابتكار، فهو تراث حضاري شامخ ممتد الجذور قديم النشأة يضم بين دفتيه مختلف الفنون والعلوم والآداب.

يبقى المتن الشعري الجاهلي رافداً من روافد الثقافة العربية الأصيلة، ورمزاً من رموز التراث العربي القديم، وكنزاً ثراً من كنوز الحضارة الإنسانية، له القدرة العالية على جذب الباحثين؛ لإستكناه معالمه الفنية والموضوعية والفكرية، واستجلاء الروافد الثقافية التي شكلت ثقافته، وأسهمت في مكوناته الحضارية، والبحث عن المعطيات الواقعية التي غلّفت الحياة العربية بكل مظاهرها في ذلك العصر.

تمحور هذا الكتاب الذي وسم بـ **(مدخل إلى الأدب العربي في العصر الجاهلي)** حول الأدب العربي في العصر الجاهلي بنوعيه (الشعر والنثر) الذي وصف حياة الجاهلية وأفكارها حيث عكس العرب من خلاله صورة حقيقية عن أمتهم دون تزويق أو تشويه،

والأدب الجاهلي هو الذي ظهر عند العرب قبل الإسلام بحوالي ١٥٠ سنة ، إذ وث الشعر الجاهلي حياة العرب قديما، وتقاليدهم ومعاركهم ، ووصف طبيعة حياة الجاهلية ، وما تحتويه من جماد وحيوان إضافة إلى ذكر اسماء فرسانهم، وآبار مياههم وغيرها من الأحداث التي تتعلق بحياتهم ومصيرهم.

ونود أن نذكر أن ثمة دراسات سبقتنا في الأدب الجاهلي، تجسدت في كتب الدكتور نوري حمودي القيسي، وعادل جاسم البياتي، فضلا عن كتب كثيرة اهتمت بدراسة الأدب الجاهلي وخاضت فيه مخاضا كبيرا، أما دراستنا؛ فجاءت تتمة لما كتب في الأدب الجاهلي، زيادة على شموليتها، لأنها استندت على رؤية عامة حول العصر الجاهلي.

وانطلاقا من ذلك فإننا نحاول في هذه الدراسة أن نركز على الأدب الجاهلي بما فيه من شعر ونثر، فقد عد سجلا مهما لحياة العرب قبل الإسلام، كما أنه مثل مصدرا موثوقا للمعلومات إذ اعتمد علماء اللغة على هذا الشعر في وضع قواعد النحو والتأكد من صحتها ، ولجأ علماء الفقه ومفسرو القرآن الكريم إلى الشعر الجاهلي لبيان معاني الكلمات وورودها في اللغة.

وقد دفعتني الرغبة إلى تأليف هذا الكتاب بعد أن درَّستُ الأدب الجاهلي في جامعة تكريت ـ كلية التربية طوز خورماتو ـ قسم اللغة العربية منذ خمس سنوات، إذ حرصت على وضع كتاب شامل يغطي الأدب الجاهلي، ويلم بماهيته، بعد أن اعتمدنا في سنوات سابقة على سلسلة من المحاضرات التي جمعتها من أمات الكتب في الأدب الجاهلي، وآمل أن

يكون هذا الكتاب لبنة جديدة في الأدب الجاهلي، والمكتبة الأدبية، وأن يجد القراء والطلبة ظالتهم في محتواه.

وقد اقتضت طبيعة الكتاب أن تجيء الدراسة على ستة فصول وخاتمة، وأما الفصول فقد وزعت على موضوعات عدة، فجاء الفصل الأول بعنوان مدلول الأدب الجاهلي في اللغة والاصطلاح، وكل ما يتعلق بهذا الأدب من دلالات تاريخية ودينية واجتماعية، أما الفصل الثاني فقد عني بمصادر الأدب العربي قبل الإسلام وموضوعاته، فضلا عن قضية الشك التي أثارت الجدل في الشعر الجاهلي. في حين جاء الفصل الثالث مفصلا لنشأة الأدب العربي وخصائصه الفنية والشكلية، أما الفصل الرابع فقد سلط الضوء على المعلقات وحياة شعرائها، فضلا عن شرح تلك المعلقات، وأما الفصل الخامس فقد درسنا فيه الشعراء الصعاليك والفرسان وحياتهم وأشعارهم، إضافة إلى تطبيقات شعرية، وذكر لأهم خصائص أشعارهم وأدبهم. وأما الفصل السادس والأخير في جاء بعنوان النثر الجاهلي ومصادره، فقد تحدثنا فيه عن النثر وأنواعه فضلا عن خصائصه الفنية والموضوعية. وفي خاتمة البحث قدمت جملة من النتائج التي توصلت إليها من طريق الفصول الستة ، ثم أعقبتها بقائمة مصادر البحث ومراجعه التي غذت محتوى الكتاب.

وككل دراسة جادة لا بد أن تدعم بمجموعة من المصادر والمراجع ، فقد سعيت أن تكون مصادر الكتاب موضوعية ومعروفة في الأوساط الأدبية والأكاديمية ، وذات طبعات جيدة بقدر الأمكان ، وطبيعة هذه الدراسة حتمت علينا العودة إلى كتاب الدكتور على جود

الموسوم بـ (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) وكتاب الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي) وكتاب الدكتور نوري حمودي القيسي وعادل البياتي (تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام) وكتاب الدكتور طه حسين (في الأدب الجاهلي) زيادة على كتب ومؤلفات كثيرة استقى البحث منها مضمونه.

إنَّ الكتاب بما يحمل من معلومات غزيرة في الأدب الجاهلي، وكثرة ما كُتب فيه من دراسات يُسوِّغ ظهور بعض الهفوات والعثرات من هنا أو هناك دونما قصد يُذكر، والدراسة تبقى نابضة حيَّة حينما تُلامسها أكفُّ التقويم والخبرة؛ لتُعدِّلَ ما أعوَّج من قوام مضامينها؛ لتغدو ناصعة بهيَّة تسرُّ الناظرين، والله اسأله النفع والتوفيق فيما إليه قصدت، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وله الأمر من قبلُ ومن بعدُ، وعليه يتوكَّل المتوكلون.

الباحـــث

١٠/ ٦/ ٢٠٢٣م

الفصل الأول

مدلول الأدب في اللغة والاصطلاح

الكلمة مختلفة في أصولها وتطورها، قيل إنها من الأدب بمعنى الدعوة إلى الولائم، أو مفرد الآداب – جمع دأب– بعد قلبها إلى آداب، وتدل على رياضة النفس على ما يستحسن من سيرة وخلق، وعلى التعليم برواية الشعر والقصص والأخبار والأنساب، وعلى الكلام الجيد من النظم والنثر وما اتصل بهما ليفسرهما وينقدهما. فكانت العلوم اللغوية تندرج تحت الاسم، ثم أخذت تستقل بنضج كل منها .فابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء يترجم للنحاة واللغويين والشعراء والكتاب. وأطلق بعضهم الأدب على التأليف عامة، فترجم ياقوت الحموي في *معجم الأدباء* للمؤلفين في جميع أنواع المعرفة. وأطلقه بعضهم على النظم والثقافات الضرورية لفئة من المجتمع، كما في كتب أدب الكتاب والوزراء والقضاة وغيرها، وأدخل بعضهم فيه المهارات الخاصة، كالبراعة في اللعب بالشطرنج والعزف على العود. وللأدب الآن معنيان: عام يدل على الإنتاج العقلي عامة مدونًا في كتب، وخاص يدل على الكلام الجيد الذي يحدث لمتلقيه لذة فنية، إلى جانب المعنى الخلقي. وكان الأدب شفويًا في الجاهلية شعرًا، وخطبًا، وانضم إليهما في أواخر العصر الأموي الكتابة الفنية. وكان القدماء يصنفون الشعر، تبعًا لموضوعاته، إلى فخر، وغزل، ومدح، وهجاء، وغيرها. والكتابة إلى رسائل ديوانية، وإخوانية، ومقامات. واختلفوا في القصص .وخضعت هذه التقسيمات كلها لتغيرات كبيرة، تبعًا للاتصال العربي بالأدب الغربي، واتخاذ المفاهيم الغربية أساسًا للتصنيف.

الأدب هو أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر . يرتبط الأدب ارتباطاً وثيقاً باللغة ، فالنتاج الحقيقي للغة المدونة والثقافة المدونة بهذه اللغة يكون محفوظاً ضمن أشكال الأدب وتجلياته والتي تتنوع باختلاف المناطق والعصور وتشهد دومًا تنوعات وتطورات مع مر العصور والأزمنة، وثمة العديد من الأقوال التي تناولت الأدب ومنها ما قاله وليم هازل إن أدب أي أمة هو الصورة الصادقة التي تنعكس عليها أفكارها.

مصطلح أدب ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي)

الدلالة الدينية:

ورد مصطلح الجاهلية في النص القرآني ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾] آل عمران 154:و ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾] المائدة [50:و" ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾] الأحزاب [33:و﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾] الفتح.[26:

الدلالة التاريخية

يطلق اصطلاح العصر الجاهلي على حال الأمم قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً مع العصر بعد البعثة النبوية وظهور الإسلام. فلقد كان الناس في بلاد فارس يعبدون النار، وكان أهل اليمن يعبدون النجوم الأوثان ويقدمون لها القرابين، وانحرفت اليهودية في الحجاز كما انحرفت النصرانية في الشام والحبشة، وغيرها من الأديان والملل المتفرقة هنا وهناك. وكان يسود الحكم القسري المطلق، حتى جاء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) برسالة الإسلام لينتشل الأمم من هذه الحالة، فراسل ملوك الحبشة وفارس والروم، ودعاهم إلى دين الله؛ ليحررهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

الدلالة الاجتماعية:

كانت الحياة الاجتماعية تختلف من بلد إلى اخر، فقد ترسخت العبودية في بلاد فارس من خلال تأليه الحاكم، وكان المجتمع الفارسي مقسما إلى سبع طبقات، كانت أدناها طبقة عامة الشعب، ولم تكن لهم

أية حقوق على الإطلاق، حتى إن الجنود كانوا يربطون بالسلاسل في المعارك. وقد كان بعض أهل فارس يبيحون الزواج من داخل الأسرة، مدعين أنه تقليد ديني إلزامي، وعلاوة على ذلك ادعى الكهنة أن الزواج بين المحارم ينتج أقوى الذكور، وإناثا ذوات خصال حميدة، ويأتي بأكبر عدد من الأطفال، وأنه محمية لنقاء الجنس.

في العراق كانوا يحرمون المرأة من الميراث الذي هو حق شرعي لها، وكانوا أحياناً يرغمونها على الزواج من فلان بعينه دون أن يعطوها حق الاختيار. وكان من أنواع النكاح المعمول به في العراق وبلاد فارس نكاح المقت (ويسمى الضيزن) أن يكون ابن الميت أولى بزوجة أبيه، إذا لم تكن أمه، وهو باختصار زواج المرأة من ابن زوجها، والمقت في لسان العرب هو جرم ممقوت يوجب غضبَ الله، وهو ذنب عظيم. وفي ذلك قال أوس بن حجر التميمي يهجو أهل العراق:

فكلهم لأبيه ضيزن سلف والفارسية فيهم غير منكرة

وكان أهل مصر أيضا يقدمون الفتيات قرابين للنهر، خوفا من فيضانه وغضبه (والقربان عموما هو أحياناً معادن أو حيوان أو إنسان، يقدم عادة للقوى التي يعتقد البشر بأنها تتدخل في حياتهم، وذلك خوفا أو حبا، وتكون في أوقات محددة، قد تكون دورية، أو لحدث بعينه، وعادة ما يرتبط تقديم القرابين بطقوس أخرى، يجري شعائرها وفق ترتيبات معينة كاهن أو كاهنة، كما يمكن لأي شخص أن يقوم بذلك وفقا لاختلاف العقائد والأحوال.

وكان زواج الاخوة معمولا به في مصر، واشتهر عن الفراعنة أنهم يبيحون زواج الأخ من أخته، وكانت كثير من ملكات مصر كالملكة نفرتيتي، قد تزوجن بإخوتهن، واستمر ذلك إلى عهد البطالسة (خلفاء الإسكندر المقدوني الذين حكموا مصر من عاصمتهم الإسكندرية التي بناها الإسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد إلى العهد الروماني في حكم الملكة كليوباترا وقد ذكر» ديودور الصقلي: «وهو أشهر عشابي اليونان، والذي عاش في الإسكندرية، أن زواج الأخ من أخته كان مستمرا في مصر في عهد البطالمة.

أما في الحبشة فكان الزواج يختلف من قبيلة إلى أخرى، وكانت بعض قبائل الحبشة يشترك فيها الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة في أسبوع واحد، ويعطونها الحق في الولد أن تلحقه بمن شاءت منهم، ويسمى هذا (زواج الرهط). والذي قال فيه السليك ابن السلكة: من الكامل

أنا لست روميا ولا مستبضعا كلا، ولا حبشي من رهط

أنا ابن أكرمهم بكل مفاخر من غير تقصير ولا فرط

وكانت بلاد الروم من أشد المجتمعات انحطاطا وقذارة، فكانوا يشربون الدم وأبوال البهائم، ويأكلون الروث، ولا يتطهرون من جنابة ولا يعرفون الحمامات، وكانت كنائس أوروبا تنظر إلى الاستحمام كأداة كفر وخطيئة، وكانوا يأكلون خراء قساوستهم ويخلطونه في طعامهم، ولا يغيرون ثيابهم إلا بعد أن تتسخ وتفوح منها الروائح الكريهة، وكان بعض ملوكهم يتبولون واقفين على الجدران، ولم يكن لديهم حمامات، وانتشر الطاعون في بلادهم لشدة قذارتهم.

كان الروم يتميزون بوحشية مفرطة، سواء في حربهم أم حتى في لهوهم، فقد كان الملوك والوزراء يستمتعون بمشاهدة افتراس الحيوانات للعبيد، وكان المجتمع مقسوما إلى طبقة الأحرار، وطبقة السادة، وطبقة العبيد التي كانت تشكل ضعف الأحرار من حيث العدد، ولم تكن لهذه الفئة العريضة أية حقوق، وإنما كان مصيرها بيد أسيادها.

وكان بعض الرجال في مجتمع الروم يدفع بزوجته إلى رجل قوي ووسيم، (رغبة منه في تحسين النسل) فيجامع هذا الرجل المرأة، وحين يقع حملها تعود إلى زوجها، لتلد له ولداً يرث كل صفات الجمال والكمال التي يحملها ذلك الرجال، وقال في ذلك الشاعر الحارث الحضرمي:

لا درَّ درُّ الروم ذلك أنهم نسل الحرام أتوا من استبضاع

قوم الرذائل قيل في أمثالهم تكفيك سمعتهم شرور سماع

أما المرأة اليهودية فكانت تعيش حياة متحررة للغاية، فكانت تتخذ عشيق أو اثنين، لتأكل عند هذا وذاك في أوقات القحط، وكان هذا السلوك يسمى الضماد (والضمد أيضا: أن يخالها خليل أو خليلان) وفي المعاجم اللغوية، الضماد هو أن تتخذ المرأة عشيق أو اثنين. وفي قصة امرأة يهودية كانت زوجة لخالد بن زهير، فطلبت أبو ذؤيب الهذلي لكي تتخذه عشيقاً، فقال في ذلك:

أردت لكيما تضمديني وصاحبي ألا لا أُحبي صاحبي ودعيني

فيا ويحهم قوم اليهود وجرمهم وما قد جنوه بعد علم يقين

وقال أيضاً في ابيات أخرى:

ذاتَ الضِّمَادِ أَو يَزُورَ القَبْرا لا يُخْلِصُ الدَّهْرَ خَلِيلٌ عَشْرَا

أو تحسبيني في البلايا غرا لا تكمني بنت اليهود الشرا

إِنّي رَأَيتُ الضَّمْدَ شَيْئاً نُكْرَا

وقال في قصيدة ثالثة:

تُردين كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في عمد

يهودية قبحت من كل جانب وقُبّح ما أعطت يداك من النكـــــد

أما في شبه الجزيرة العربية، فكان في المجتمع العربي طبقات وبيوت النبلاء ترى لنفسها فضلا على غيرها، وامتيازاً، فتترفع على الناس ولا تشاركهم في عادات كثيرة، وكانت طبقات مسخرة وطبقات سوقة وعوام، فكان التفاوت الطبقي من مسلمات المجتمع العربي، حتى في بعض مناسك الحج، فلا تقف بعرفات وتتقدم على الناس في الإفاضة والإجازة، وتنسأ الأشهر الحرم، وكان النفوذ والمناصب العليا والنسيء متوارثاً، يتوارثه الأبناء عن الآباء (النسئ هي شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية كان يقوم بها بنو فقيم من قبيلة كنانة العدنانية من أهل الحرم المكي، حيث كانوا ينسأون الشهور على العرب فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر

كان النسئ في بنو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . وكان "أبو ثمامة"، وهو "جنادة بن أمية الكناني" من نسأة الشهور على قبائل معد، وكان يقف عند "جمرة العقبة، ويقول: اللهم إني ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا "أحاب" أجاب: اللهم إني قد أحللت أحد الربيعين وحرمت ربيع المؤخر، وكذلك في الجمادين. ثم يقول:

انفروا على اسم الله تعالى. وقال عمير بن قيس بن جذل الطعان بن فراس بن غنم بن حجر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنسيء:

كرام الناس أن لهم كراما لقد علمت معد أن قومي

وأي الناس لم نعلك لجاما فأي الناس فاتونا بوتر

شهور الحل نجعلها حراما ألسنا الناسئين على معد

ومن القوانين التي سنت لدى العرب، تخصية الزاني والعبد والمجنون، والتي أقرها مجموعة من القضاة، من ضمنهم تماضر اليشكرية، وعامر بن الظرب العدواني، وكان بعض القضاة رأى بوجوب قتل الزاني، ومن جملة من قال ذلك، القاضية صفية بنت حويرث اللحيانية. وقد وصف المؤرخ يوسابيوس القيصري تقاليد وأعراف العرب التي تحكم على الزناة بالموت، والمعاقبة بالجلد لكل من يسلك سلوك العهر.

وكانت المرأة في حواضر الحجاز تتولى القضاء وترث الأموال، ويحق لها خلع زوجها الذي عافته ونفرت منه، وكانت الكثير من القبائل العربية الحضرية ترفع من شأن المرأة، كقبائل كنانة وثقيف وعبس، ومن الأمثلة على مكانة المرأة العالية في بيئة الحاضرة: خديجة بنت خويلد التي كانت تاجرة مرموقة في مكة، ونتيلة النمر إحدى النساء الوجيهات اللواتي تولين كسوة الكعبة، ولبابة الثقفية وسهيمة الضمرية اللتان تصدرتا النوادي الأدبية في الطائف، وعبلة العبسية التي كان ابن عمها عنترة يبجلها ويحترمها، وإن كانت المرأة قبل ذلك تحكم البلاد مثل الملكة بلقيس، والملكة زبيبة، والملكة يثيعة، وغيرهن من ملكات العرب، وقد كان مجتمعا الحضر الحجازي والنجدي على السواء، تنتشر فيهما صفات النبل كالكرم والإجارة وغض البصر، والغزل العفيف، خاصة لدى كنانة وبني عبس. ومن أمثلة ذلك قول الفارس المشهور عنترة بن شداد:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

وقول الصعلوك عروة بن الورد:

وإن جارتي ألوت رياح ببيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه

وقول الشاعرة الخنساء في رثاء أخيها صخر:

لم تراه جارة يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجارُ

وعلى العكس من ذلك، كان المجتمع البدوي يحتقر المرأة وينظر لها نظرة دونية، إذ كان البدو لا يدينون بدين بسبب عزلتهم في البوادي وقلة احتكاكهم بالحواضر، فكانت كراهية الأنثى متفشية في أهل البادية (والبدو هم سكان البادية الذين يسكنون الخيام ويتنقلون من مكان إلى اخر طلبا للماء والكلأ، وقد أطلق العرب قديما على أهل البادية ألقابا كثيرة، منها: أهل الوبر، والرحل، والأعراب وهو لقب للبدو الذين جاوروا حواضر العرب وتنقلوا بديارهم وتحدثوا بلسانهم) والأعرابي هو المقيم في البادية ويسكن الخيام ولا يستقر في موضع معين، ويجاور حواضر العرب، والمجتمع البدوي بصفة عامة قائم على التنقل والترحال.

الحياة الدينية عند الأمم في الجاهلية

كان أهل فارس على المجوسية وكانت الهتهم الرئيسية هي النار، فيصلون في معبد النار بحضور شكل من أشكالها، إذ تعتبر النار وسيطا تكتسب من خلاله البصيرة الروحية والحكمة، ويعتبر الماء مصدر تلك الحكمة، ويشار أيضا إلى النار والماء على أنهما الالهتان «أتار» و «أناهيتا» اللتان كرست شعائر وتراتيل العبادة من أجلهما. وكان أهل العراق في عمومهم منقسمين إلى مجوس وصابئة، وإن كان دين أهل الحيرة هو النسطورية سميت هذه العقيدة باسم نسطور بطريرك القسطنطينية.

وفي بلاد الروم والحبشة كانت أكثريتهم على النصرانية، وعلى الرغم من أن النصرانية كانت دين ملوك الحبشة، إلا أن الوثنية كانت أيضا متواجدة في قبائل الحبشة (والوثنية هي تقديس الأصنام والأوثان.(في شبه الجزيرة العربية فكانت الديانات متعددة، وهي الحنيفية واليهودية والوثنية والمسيحية، وكانت متوزعة بين الأقاليم، فكانت بعض قبائل اليمن تدين باليهودية، والقبائل الأخرى تدين بالوثنية بما في ذلك تقديس الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم والكواكب، وكانت الملكة بلقيس وقومها من جملة من عبدوا الشمس وسجدوا لها، ومنهم من كان يعبد نجما يسمى» : الشعرى

في نجران كانت قبيلة الحارث على المسيحية، وهي منسوبة إلى زعيم الطائفة النصرانية في نجران في أوائل القرن السادس الميلادي، وقد أعدم الحارث أثناء اضطهاد المسيحيين، من قبل الملك اليهودي» ذو نواس في عام ٥٢٠ ميلاديا.

أما في الحجاز فكانت أغلب القبائل العربية على الحنيفية، وكانت لهم شرائع وأعراف خاصة بهم، كتحريم أكل الميتة والزنا والخمر، ويوجبون الختان للذكر والأنثى، ويحرمون على الرجل الجمع بين أكثر من زوجتين، أسوة بإبراهيم. أما يهود الحجاز كبني قينقاع، وقريظة، والنضير، فلهم طرقهم وشرائعهم وقوانينهم، وكانت تقام بينهم وبين العرب الحنفاء مناظرات في سوق عكاظ. وكانت قبائل خزاعة قد مزجت بين اليهودية والوثنية، وكان من أشهر أصنامهم: اللات ومناة والعزى وهبل، وهي أسماء لنساء صالحات كان الوثنيون يقدسونها، لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله تعالى (لأن الله عظيم، فيجب باعتقادهم أن تكون هناك واسطة بين العبد وربه) وقد كان عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من نصب هذه الأصنام في الحجاز، وإذا كان الأولون يعترفون لله بالألوهية والربوبية الكبرى، ويكتفون بالشفعاء والأولياء، فإن الاخرين يشركون الهتهم مع الله، ويعتقدون فيهم قدرة ذاتية على الخير والشر، والنفع والضر، والإيجاد والإفناء، مع معنى غير واضح عن الله كإله أعظم ورب الأرباب.

العصبية القبلية

كانت العصبية القبلية هي مشكلة بعض القبائل، وكان أساسها جاهلياً تمثله الجملة المأثورة عن العرب: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً« فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين، وكان الثأر يستعر ليطيل مدة الحرب من شهور إلى سنوات، وكانت المعارك تشب بين بعض القبائل لمختلف الأسباب سواء الاقتصادية مثل داحس والغبراء وحرب حليمة أو للحماية من اللصوص كيوم السلان أو للشرف أو لدفع الظلم مثل حرب البسوس مما يولد حروبا مستمرة توقدها نار الثأر. ومن وجوه العصبية القبلية لدى العرب، المعارك التي تقوم دفاعا عن الأنساب والأحساب، وتقدح شرارتها بسبب الزواج وتكافؤ النسب.

قال الطاهر بن عاشور" الجاهلية صفة جرت على موصوف محذوف يقدر بالفئة الجاهلية أو الجماعة الجاهلية، وربما أريد به حالة الجاهلية في قولهم أهل الجاهلية، وقوله تعالى {تبرج الجاهلية الأولى} ، والظاهر أنه نسبة إلى الجاهل أي الذي لا يعلم الدين والتوحيد، فإن العرب أطلقت الجهل على ما قابل الحِلْم، قال ابن الرومي : (بجهل كجهل السيف والسيف منتضى ..وحلم كحلم السيف والسيف

مغمد) وأطلقت الجهل على عدم العلم، قال السموأل : فليس سواءً عالمٌ وجهول، وقال النابغة : وليس جاهلُ شيءٍ مثلَ مَنْ عَلِما. وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وُصِفَ به أهلُ الشرك تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم في نحو قوله {أفحكم الجاهلية يبغون} و{ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} و{إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية} . وقال ابن عباس : سمعت أبي في الجاهلية يقول : اسقنا كأسا دهاقا، وفي حديث حكيم بن حزام : أنه سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أشياء كان يتحنث بها في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم، وقالوا : شعر الجاهلية، وأيام الجاهلية . ولم يسمع ذلك كله إلا بعد نزول القرآن وفي كلام المسلمين.

العوامل المؤثرة في الأدب الجاهلي

تأثر الأدب الجاهلي بمجموعة من العوامل طبعته بطوابع عرف بها ، وأهم هذه العوامل:

–الصحاري الشاسعة

لعبت الصحراء دورا بارزا في تشكيل الحياة السياسية والاجتماعية في جزيرة العرب ، كما أثرت في تحديد قيم العربي وأخلاقه ، وكانت تخيفه وتحميه في الوقت نفسه.

– البنية الاجتماعية

كانت القبيلة بمثابة الدولة والوحدة السياسية المطلقة لأفرادها ، وكان يحكمها قانون العصبية وما تبعه من ثأر وجوار ، وذوبان شخصية الفرد في الجماعة ، وطغيان روح الجماعة على النزعة الفردية.

– البيئة الثقافية

كان للاحتكاك بالأمم المجاورة للجزيرة ومن مراكز النصرانية واليهودية في الجزيرة نفسها ، الأثر الكبير في اكتساب ألوان عديدة من الثقافات الجديدة التي أثرت في الأدب الجاهلي.

– التجارة

لطالما عرف العرب بالتجارة والرحلات داخل الجزيرة وخارجها ، ونجد في لغتهم وأشعارهم وأمثالهم أدلة واضحة على ذلك.

– الأيام

ونعني بها تلك الحروب التي عرفت في العصر الجاهلي ، وكانت تستمر لأيام وشهور وأعوام ، كمثال حرب البسوس الشهيرة والتي استمرت ٤٠ سنة.

والتأثير التي أضفته أيام الحروب على **الأدب الجاهلي** ، هو ما تحمله من قيم اجتماعية وفكرية تأصلت ونمت ورسخت في ظلالها لدرجة أن هذه القيم تتضاءل أمامها وقائع المعارك نفسها.

والأيام في الجاهلية تضمنت أيضا خلاصة الثقافة العربية في مهدها ممتزجة بالأساطير والقصص الخرافي ، ولكنها لم تصل إلينا كاملة لأن الرواة والمدونين دأبوا منذ عصور مبكرة على طمسها لما فيها من إيقاظ للشعور الجاهلي الذي يقوم على العصبية.

مصادر الفصل الأول

١. **مصادر الشعر العربي في العصر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد.**
٢. **في الأدب الجاهلي، د. طه حسين.**
٣. **القيان والغناء في العصر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد.**
٤. **جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي.**
٥. **تاريخ الأدب العربي، بروكلمان.**
٦. **المفضليات، المفضل الضبي.**
٧. **الأصمعيات، أبو عبد الملك بن قريب الأصمعي.**
٨. **لسان العرب، ابن منظور.**
٩. **الفهرست، ابن النديم.**
١٠. **بلوغ الأرب، النويري.**
١١. **الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني.**

الفصل الثاني

رواية الأدب الجاهلي وتدوينه

يعد العصر الجاهليّ بأنّه العصر الّذي يدلّ على الأطوار التّاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، أمّا الشّعر العربيّ فقد وصفه الجاحظ بوضوحٍ بأنّه حديث الميلاد، صغير السّن، وأوّل مَن نهج سبيله وسهّل الطّريق إليه هو امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، ومن ذلك يتضح بأنّ العصر الجاهلي، والمقصود الحديث عنه هو ما رُوي من أخبارٍ وما نُقل، وما وصلنا من أخبارٍ، وأيّامٍ، وأشعارٍ، وحروبٍ عن قبائل مكّة والحجاز؛ أي قبل حوالي مئة وخمسين عامًا قبل الإسلام، أمّا ما وراء ذلك فيمكن تسميته بعصر الجاهلية الأولى، وقد كانت الرواية والسمع هي الوسيلة الرئيسية لنقل أيام العرب، وأشعارهم، وأخبارهم، وحروبهم في تلك الفترة.

الرواية

روى في اللّغة هي من سقيا الماء، وحمله، ونقله، ورواية الشّعر الجاهلي: هو شخص يحمل الشّعر وينقله، وينشره، ويذيعه. والرّواية تعني أيضًا الحمل الأدبي.

مراحل الرّواية

مرّت الرّواية بمرحلتين:

الأولى خاصّة بالشّعر وحده بمجرّد نقل الشّعر، فهي تُعنَى بنقل الشّعر ومجرّد حفظه، وإنشاده، من غير ضبطٍ، أو تحقيقٍ، أو تمحيصٍ، وقد استمرّ مدلول هذه المرحلة حتى القرن الأول وبداية القرن الثّاني.

والمرحلة الثّانية يُطلق عليها رواية علميّة، فهي لا تقوم على النّقل، والحفظ، والإنشاد كالرّواية المجرّدة، بل أصبحت إلى جانب ذلك تقوم على الضّبط، والتّحقيق، والتّمحيص، والتّفسير، وشيء من الإسناد، والتّدقيق، وكانت هذه الرّواية تقوم على دعامتين هما: التّدوين، والسّماع، وجاءت بمجيء الإسلام، وعندما أصّلت أصول علم الحديث الشّريف، وعُني المحدثون بالإسناد، وأطلق عليهم رواة الحديث، وصرنا نجد المحدّثين في أواخر القرن الثّاني رواة، كما كان للشّعر وللشّعراء رواة، ومن هنا كانت الرّواية الأدبيّة في مرحلتها الثّانية.

رواية الشّعر الجاهلي

إن الشّعر ديوان العرب يحفظ أيامهم وأمثالهم، وأشعارهم، ومآثرهم، وهذا ما لم يكن قائمًا على الكتابة والدّيوان، إنّما يقوم على الرّواية الشفهيّة من فردٍ لفردٍ، ومن جيل لجيلٍ، ويعتبر هؤلاء الرّواة عاشوا في نهاية القرن الثّاني ومطلع القرن الثّالث، وهم الّذين حفظوا لنا الشّعر الجاهلي الّذي وصل إلينا، وعلى ذلك نرى أنّ ذيوع شعر الشّاعر، وأخبار القبيلة، ومآثرها يعتمد على هذه الرّواية، وعلى مثل هؤلاء الرّواة، فكانوا يحفظون الشّعر، ويتناقلونه إنشادًا في مجالسهم، وأسواقهم، وكانوا يردّدونه شفاهًا في محافلهم؛ فيشيع بين العرب، ويتناقله الرّكبان، ويذيعه أبناء القبيلة فيما بينهم عن طريق الرّواية الشفهيّة والسّماع، لا عن طريق القراءة والتدوين، فذلك أمرٌ طبيعي شاع عند العرب في ذلك العصر، فقد كان منهم مَن يكتبون شعر الشّاعر، ويحفظونه في صحفٍ ودواوين، لكنْ غلبَ عليهم أنّهم كانوا يحفظون ما وصل إلينا من الشّعر الجاهلي في صدورهم، وذاكرتهم، وكانوا ينقلونه بأفواههم في المجالس والأسواق والمحافل، رغم أن الكتابة كانت شائعة ومعروفة في الجاهليّة، وقد رُويت أخبار متفرّقة تدلُّ على أنَّ بعض الشّعراء قد عرفها، واستخدمها بلاغًا شعريًا، ومنه قول المرقّش يشبّه بقايا الأطلال كأنها أثر الكتابة منقوش على ظهر الأديم (الجلد):

الدار قفر والرّسوم كما رقّش في ظهر الأديم قلم

إنّ الشّعر فنٌ سمعي وليس فنًا بصريًا، والحقيقة بأنّ العرب لم يتّخذوا الكتابة وسيلةً لحفظ أشعارهم، وأيّامهم، وأخبارهم، ومآثرهم، وربّما نجد بعض القطع أو بعض القصائد المكتوبة، ذلك ليس جهلًا لهم بالكتابة، فهم لم يستخدموا الكتابة كأداةٍ لنقل دواوينهم إلى الأجيال، والسّبب يعود في ذلك بأنّ وسائلها كانت صعبة المنال والتّداول؛ إذ كانوا يستخدمون الحجارة، والجلود، وسعف النّخيل، كوسائل للكتابة والنّقش، ممّا عسّر تداولها بين الشّعراء لحفظ أشعارهم؛ لذلك عُدّت رواية الشّعر في العصر الجاهليّ هي الأداة الطبيعيّة لنقل الشّعر ونشره وإذاعته.

طبقات الرّواة

والشّعراء الرّواة، هم طائفتان، وهما:

الطائفة الأولى

هم شعراء يروون فيما يروون شعر شاعرٍ بعينه، يحفظون هذا الشّعر، ويتتلمذون للشّاعر، ويحتذون حذوه، فيما ينظمون شعره، مقلّدين في بداية أمرهم حتّى يصبح هذا التّقليد طبيعةً وفطرةً يصدرون عنها صدورًا فنيًّا؛ أي أنّ طبقة الشّعراء أنفسهم يحترفون الرّواية احترافًا، فمن رغب أن ينظم شعرًا كان عليه أن يلتزم شاعرًا يروي عنه شعره، وما يزال يروي له ولغيره حتّى تنفرج قريحته الشعريّة، ويسيل عليه ينبوعًا من الشّعر والفن، فكأنّما رواة الشّعر مدرسة شعريّة متسلسلة، فهم يتسلسلون في نسقٍ، ويكوّنون هذه المدرسة الشّعريّة، كان من أشهرها التي تبدأ بأوس بن حجر التّميمي، وعنه أخذ الشّعر زهير بن أبي سلمى المزني، ورواه حتّى أجاد نظمه، وأتقنه، وزهير كان له روايتان: ابنه كعب بن زهير، والحطيئة، وعن الحطيئة تلقّن الشّعر، ورواه هدبة بن خشرم العذري، وعن هدبة أخذ جميل بثينة، وعن جميل أخذ كثيّر عزّة، فنحن أمام مدرسة للشّعراء الرّواة تتسلسل في طبقاتٍ وحلقات، وكلّ حلقة تأخذ عن سابقتها، وتسلم إلى لاحقتها، وأهمّ ما يلاحظ في هذه المدرسة هو أنّ شعراءها، أو رواتها كانوا من قبائل مختلفة في شرقي الجزيرة العربية، وغربها.

الطّائفة الثّانية

هم شعراء رواة يروون شعرًا لمن سبقهم، ولبعض مَن عاصرهم من الشّعراء، فلا يخصّون شاعرًا بعينه، وإنّما يرِدُونّ مناهل شتّى، ويروون لشعراء كثيرين، ويتتلمذون لهم جميعًا، فيتمثّلون شعرهم، حتى أنّ بعضهم نقدوا الشّعر، وحكموا عليه، وفاضلوا بين الشّعراء الجاهليين، فكأنّما كانو يستقون ما شاء لهم من الشّعر، ثمّ يصدرون، وقد اكتملت شخصيتهم المستقلّة في الشّعر.

مصادر الأدب الجاهلي:

١- دواوين الشعراء

وأشهرها دواوين الشعراء الستة الجاهليين امرؤ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنترة وعلقمة. إضافة إلى دواوين مختلفة .

٢- دواوين القبائل

ولم يصل إلينا في كثير من عناوين دواوين القبائل اسم من جمعها ، ومن المرجح أم أقدم ما دون في هذا الضرب كان غفلا من الاسماء.

أما دواوين القبائل التي جمع منها الشيباني نيفا وثمانين وغني السكري بكثير منها ، ففقدت في الطريق ولم يبق منها إلا قطع من ديوان هذيل.

٣- كتب المختارات

أ-المعلّقات

تعدّ المعلقات من أشهر قصائد الشعراء الجاهليين وأرفعها شأناً في تاريخ الشعر، واختلف المؤرخون في سبب تسميتها بالمعلّقات فقيل إنّها كتبت بماء الذهب وعلّقت على الكعبة فقد كان من عادة العرب أن يعلّقوا كل وثيقة مهمة على أستار الكعبة، لتأخذ مداها الإعلامي وتنتشر بين الناس، وقيل أيضاً إنّ هناك ملكاً كان كلما استحسن قصيدة قال لخدمه علّقوها وثبّتوها على خزانتي، وذهبت بعض التفسيرات إلى أنّ الاسم مشتقّ من الأعلاق وهي النفائس، وذلك لتميّزها ورفعة شأنها بين الشعر، ولم يكن الاختلاف مقتصراً على سبب التسمية فقط، بل اختلف المؤرخون أيضاً على عدد القصائد وأسماء شعرائها، وترتيب أبيات المعلقة الواحدة، لكنّ المشهور أنها سبع طوال تعود لكل من امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة ولبيد بن ربيعة.

ب-المفضليات:

تُنسب المفضليات للمفضل الضبي وهو من أشهر رواة الشعر العربي القديم وعالم لغوي معروف، جمع هذه القصائد على مرحلتين؛ وفي المرة الأولى جمع منها بناءً على طلب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن لمّا كان متوارٍ ومستتراً عنده في البصرة ليستأنس بها، وفي المرة الثانية أضاف عليها وانتقاها ليعلّم المهدي الذي صار خليفة بعد ذلك، فاختار قصائد ذات طابع تأديبي وتعليمي، تحمل على النفس امتثال الأخلاق الفضيلة، وكان عددها ١٢٨ قصيدة تزيد أو تنقص.

ج-الأصمعيات

سُمّيت الأصمعيات بهذا الاسم نسبة إلى الأصمعي الذي جمعها ووضعها في كتاب كان وما زال من أبرز مصادر الشعر الجاهلي من بعد المعلّقات والمفضليات، فالأصمعيات هي قصائد شعرية نفيسة

اختارها الأصمعي للخليفة هارون الرشيد ليعلّم ابنه ويطلعه على عيون الشعر العربي الأصيل، فحرص الأصمعي على اختيار قصائد تكون مادة يُنتفع منها كل من يريد تعلّم اللغة والأدب والتحلّي بصفات العرب الحميدة والتزام أخلاقهم السامية، فجمع الأصمعي في الأصمعيات ما يناسب ذوقه ويحقق رغبته ويلبي حاجات عصره في التربية، وانتهج في اختياراته نهج المفضل الضبي صاحب المفضليات من حيث التبويب والترتيب والانتقاء، لكنّها اختلفت عن المفضليات بعددها وطول مقاطعها.

د-جمهرة أشعار العرب

وهي لأبي زيد بن محمد بن أبي الخطاب القرشي، وتضم تسعا وأربعين قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام، وفي كل قسم سبع قصائد.

هـ-مختارات ابن الشجري(ت٥٤٢هـ)

وهي مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي موزعة على ثلاثة أقسام، وأهم من في القسم الأول الشنفرى، وطرفة ، ولقيط الإيادي، والمتلمس، أما القسم الثاني؛ فمختارات من شعر الحطيئة.

٤- كتب الحماسات

ديوان الحماسة لأبي تمام (ت٢٣١هـ) وحماسته موزعة على عشرة أبواب، أكبرها باب الحماسة، وهي مقطوعات لجاهليين وإسلاميين وعباسيين، ويعن القدماء بشرحها.

٥- كتب الطبقات

وأشهرها وأهمها على الأطلاق كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، ولقد جعل ابن سلام كتابه في جزءين ، يختص الجزء الأول بالشعراء الجاهليين والمخضرمين، أما الجزء الثاني، فهو يختص بالشعراء الإسلاميين، رتب الشعراء الجاهليين والمخضرمين عشر طبقات، وفي كل طبقة أربعة فحول، وألحق بهم طبقة لأصحاب المراثي، ثم أضاف إليهم شعراء القرى، وهي المدينة وأكنافها ومكة والطائف والبحرين، وجعل الإسلاميين عشر طبقات أيضا في كل طبقة أربعة شعراء.

٦- كتب السير

تتحدث كتب السير عن سيرة حياة فرد، وغالباً مايكون هذا الفرد رجلاً عظيماً، أحدث نقلة نوعية في التاريخ، كالأنبياء والملوك والعلماء وقادة الجيوش وغيرهم ممن لهم أعمال تستحق أن تنتقل للأجيال اللاحقة وذلك لأهداف تربوية على المستوى التربوي والتعليمي، أو للفخر بها على مستوى الأوطان والأعراق.

٧- كتب التراجم

تجمع هذه النوعية من الكتب نبذ مختصرة أو مفصلة لعدد كبير من الأعلام سواءٌ كانوا عظماء كالأنبياء والعلماء والملوك أو أناس عاديين ولكن لهم أعمال أو مواقف بسيطة خلدها التاريخ لهم، كالشعراء المغمورين وكتبة الملوك وحُجّابهم والرواة وطلاب العلم.

من الأمثلة على كتب السير والتراجم

١. كتاب: سيرة النبي ﷺ لابن هشام.
٢. كتاب التاريخ الكبير للبخاري.
٣. كتاب :الوافي في الوفيات للصفدي.
٤. كتاب : البلغة في تراجم أئمة النحو للفيروزابادي.
٥. كتب: الطبقات للأعلام.
٦. سِيَر أعلام النبلاء للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي

موضوعات الشعر الجاهلي

١. الفخر والحماسة

الفخر والحماسة شملا الفخر بالشجاعة والكرم والصدق والوفاء والعفاف والفخر بالنفس والفخر بالقبيلة. فقد كان الشعراء يتجارون في مدح قبائلهم بقصائد فيها نوع من المبالغة. أما الحماسة (في

الجاهلية) هي الشعر المتحدث عن تشجيع أفراد القبيلة لقتال العدو، وهو يمثل حقيقة الصراع القبلي على أرض الجزيرة، وما يحدث من وقائع بين تلك القبائل.

٢. الهجاء

ظهر الهجاء في الشّعر الجاهلي بسبب الحروب والمنازعات والعصبيات القبلية. وأهم ميزاته أنه كان هجاءً عفيفاً مهذّباً خالياً من السبّ والشتم.

٣. الغزل

انقسم الغزل في العصر الجاهلي إلى قسمين:

غزل صريح: وهو نوع من الغزل يصّور جسد المرأة بطريقة مباشرة، ومن رواده الأعشى وامرؤ القيس

غزل عفيف: وهو الغزل السائد في العصر الجاهلي بكثرة، حيث يصّور حياء المراة وعفّتها وأخلاقها الجميلة، وقد تميز الغزل العفيف بكونه كان عفيفاً رفيع المستوى، يصوّر حياء وعفاف المرأة؛ ومنه قصيدة الشاعر الشنفرى وهو من الشعراء الصعاليك:

لقد أعجبتني لا سقوطًا قناعها إذا ذكرت ولا بذات تلفت

كأن لها في الأرض نسيًا تقصه على أمها وإن تكلمك تبلَّت

تبيت بُعيد النوم تهدي غبوقها لجارتها إذا الهدية قلت

تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلت

وأيضاً مثل شعر عنترة وزهير بن أبي سلمى وهما من أشهر شعراء العصر الجاهلي أيضا.

يرجع سبب ظهور الغزل في الشعر الجاهلي إلى غريزة الذكورة التي طالما أثارتها حياة العزلة بين الرجال والنساء بسبب حياة الصحراء التي تفرض على ساكنيها الترحال الذي يفرق المحبين، وقد كانت المرأة عفيفة، ما زاد من ولوع الرّجال بجسدها وأخلاقها، ولم يكن في البيئة الصحراوية ما هو أجمل من المرأة.

٤. الوصف

اشتهر الوصف كثيراً في هذا العصر. كان الشاعر الجاهلي يصّور أي شيء تقع عليه عيناه، كالحيوانات مثل الإبل والخيل (حيث كانت أهم ما عند الشاعر الفخر بفرسه) وبقر الوحش وكلاب الصيد. وقد صور الشاعر الجاهلي الصحراء والجبال والديار والوديان والطرقات والمفازات. من أبرز شعراء الوصف والتشبيه امرؤ القيس وآخرون.

امتاز الوصف في الشعر الجاهلي:

١- بالطّابع الحسي.
٢- ودقّة الملاحظة
٣- وصدق النظرة.

٥. المدح

العظماء وأرباب السلطان طائفة من الناس تميل إلى أن يتغنى الناس بمناقبها. وكان الجاهليون الأقدمون عموماً أشد ميلاً من غيرهم إلى هذا النوع من التفخيم ونشر المناقب طمعا في المال أو القرب. وكان العظماء يتنافسون في استقدام الشعراء وفي تكريمهم ومدّهم بالمال والنعم. وكان الشّعراء يُطرئونهم ويذيعون أعمالهم في العرب ويساعدون بذلك على مدّ سلطانهم. وكانت معاني المدح تنحصر في الكرم والجود، والقوّة والحلم وما إلى ذلك. كان المدح في الشعر الجاهلي منقسماً على نوعين:

١- **مدح صادق:** وهو مدح نابع من عاطفة قوية تجاه الممدوح، ويتم مدحه بما فيه. ومن ذلك المدح قصيدة «في الحرب والسلم» للشاعر زهير بن أبي سلمى، حيث مدح رجلين من قبيلتي عبس وذبيان مدحاً خالصاً لما قدّماه من التوسط بين القبيلتين لوقف الحرب بينهما (حرب داحس والغبراء) التي استمرت ٤٠ عاماً:

يميناً لنعم السـيدان وجدتما على كلّ حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشـم

٢- **مدح من أجل المال:** كان مقتصراً على الشعراء الذين دخلوا قصور المُلوك لمدحهم بما ليس فيهم من أجل العطاء، واشتهرت فيه كثرة المبالغة واشتهر به الأعشى الذي يقال فيه أنه أول من تكسب بشعره

٦. الرّثاء

هو نوع لا يختلف عن المدح كثيراً إلا أن ذكر صفات الموتى الحميدة تقترن بالحزن والأسى واللوعة على افتقاده. ظهر هذا الغرض نتيجة للتعلق بالآخرين الذي يفقدون بسبب كثرة الحروب التي كانت تؤدي إلى قتل الأبطال، ومن ثَمَّ يُرثَون. ومن أبرز مميزاته صدق العاطفة حتى قيل أن الرثاء من أصدق أغراض الشعر الجاهلي لذا انماز برقة الإحساس والبعد عن التهويل والكذب والصبر والجَلَد.

أمثلة على الرثاء:

برع أكثر من شاعر في هذا الغرض لكن النساء العربيات كانت لهن صولات مشهودة في شعر الرثاء بسبب عاطفتهن الجياشة، وعلى رأسهن الخنساء التي اشتهرت بمراثيها لأخيها صخر الذي أصيب في إحدى المعارك ومات شابا، تقول الخنساء:

وإنَّ صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقار

وإنّ صخراً لتأتم الهداة بـه كأنـه علـمٌ فـي رأسـه نار

ومن شعراء المراثي المهلهل أو الزير الذي رثى أخاه كليب الذي قتله جساس المري في حرب البسوس، يقول المهلهل:

دعوتك يا كليب فلم تجبني وكيف يجبني البلـد القفـــــارُ

سقاك الغيث إنـــــك كنت غيثاً ويسراً حين يلتمس اليسارُ

ومنهم دريد بن الصمة الفارس المعروف قال راثياً أخاه:

لأن يك عبد الله خلا مكانـه فما كان وقافاً ولا طائش اليد

أما رثاء الشعراء الصعاليك فقد اتسم بالغضب والثورة وطلب الثأر، كما صنع الشاعر الصعلوك تأبط شرا حين قال:

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطلّ

خلّف العبء عليّ ثم ولّى أنا بالعبء له مستقل

ووراء الثأر مني ابن أخت مصقع عقدته ما تحلُّ

٧. الاعتذار

يُعد النابغة الذبياني مؤسس هذا النوع من الشعر الجاهلي، فقد نشأ هذا النوع متفرعاً من المدح وأخذ صفات الممدوح مطيّة له تميز الاعتذار بتداخل عاطفة الخوف والشكر والرجاء والتلطف والتذلل والاسترحام وإظهار الحرص على المودة. وقد اعتذر النابغة الذبياني للملك النعمان بعد أن هجاه، يقول النابغة معتذراً:

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرّقش في أنيابها السمّ ناقع

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

٨. الخمر

العرب في الجاهلية قد عنوا بالكرمة وكل ما يستخرج منها. وكانت الكروم في الطائف وبيادر العنب مشهداً طالما استهوى الأعراب في بوادي تهامة. قال فيليب حتي في كتاب تاريخ العرب: «أمّا خمر الطائف فقد كان برغم كثرة الطلب عليه أقل ثمناً من النوع الأجنبي الذي كان يستقدمونه من الشام والعراق ويشهرونه في الشعر العربي.

وكان باعة الخمر في الجاهلية ينصبون رايات ليعرف مكانهم، ويسمّونها الغاية. وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار لأنهما من دلائل الجود عندهم. وقد بلغ تولّعهم في شرب الخمر ما فعله أبو غبشان إذ باع مفاتيح الكعبة بزقّ خمر. ثمّ إنّ تفنّنهم في أوصافها أوجبهم أن يسمّوها بأسماء كثيرة في أشعارهم.»

كان إذن من الطبيعي أن يتناول الشعراء الخمرة ويصفوها ويصفوا مجالسها، وغدوّهم إليها قبل أن يصيح الدّيك، وشربها وآنيتها ومفعولها في النّفس. قال عدي بن زيد:

بَكَرَ العاذِلونَ في وَضَحِ الصُبـ ـح يَقولونَ لي أَما تَستَفيقُ

وَدَعَوا بِالصَبوحِ يَوماً فَجاءَت قَينَةٌ في يَمينِها إِبريقُ

قَدَّمَتهُ عَلى عُقارٍ كَعَينِ الد ديك صَفّى سُلافَها الراووقُ

مُرَّةٌ قَبلَ مَزجِها فَإِذا ما مُزِجَت لَذَّ طَعمُها مَن يَذوقُ

وَطَفا فَوقَها فَقاقيعُ كَاليا قوتِ حُمرٌ يَزينُها التَصفيقُ

ثُمَّ كانَ المِزاجُ ماءَ سَحابٍ لا صَدىً آجِنٌ وَلا مَطروق

٩. الحكمة

الحكمة: قول موجز مشهور صائب الفكرة رائع التعبير، يتضمن معنى مسلماً به، يهدف إلى الخير والصواب وتعبر عن خلاصة خبرات وتجارب صاحبها في الحياة. تأتي الحِكَم في بعض أبيات النص، وتمتزج بالإحساس والعاطفة المؤثرة. قد شاعت الحكمة على ألسنة العرب لاعتمادها علي التجارب واستخلاص العظة من الحوادث ونفاذ البصيرة والتمكن من ناحية البلاغة.

من الخصائص الفنية لغرض الحكمة:

١-روعة التعبير

٢-وقوة اللفظ

٣-ودقة التشبيه

٤- وسلامة الفكرة مع الإيجاز.

الحكمة صوت العقل لأن الحكمة قول موجز يقوم علي فكرة سديدة وتكون بعد تأمل وموازنة بين الامور واستخلاص العبرة منها ولذلك فهي تعبر عن الرأي والعقل.

نماذج من حكم العرب في الجاهلية:

«مصارع الرجال تحت بروق الطمع»: فيها دعوة إلى القناعة فأن الطمع يقتل صاحبه.

«رب ملوم لا ذنب له»: وهذه دعوة إلى التحقق من الأمر قبل توجيه اللوم للبريء.

«أدب المرء خير من ذهبه»: معناها ان قيمة الإنسان بأدبه لا بماله.

الشك في الشعر الجاهلي

وبعد هذا كله يتبادر إلى الذهن سؤال شغل النقاد والعلماء، وهو ما مدى صحة الشعر الجاهلي؟ إنّه لسؤال يصعب الجواب عليه بدقّة وجزم. وإنّه لمن العبث أن نشكّ في صحة الشعر الجاهلي جملةً لمجرّد بعض النحل الذي أدخله الرّواة، كما أنه من السذاجة أن نولي الروايات الشعرية كامل ثقتنا.

وقد اتفق المستشرقون وعلماء العربية على معالجة هذه القضية معالجة علمية بحتة وراحوا يتتبعون النصوص والروايات، ويقارنون فيما بين الأقوال والآراء، ويقفون صفين متناقضين في المذهب منهم يرفض الشعر الجاهلي جملةً على أنّه منحول.

وكان أول من وقف هذا الموقف بطريقة علمية مسهبة المستشرق مرجليوث الذي ذهب إلى أنّ ذلك الشعر نُظم في في العصور الإسلامية، ثم نُسب إلى الجاهليين، ومنهم من يقف موقفاً معتدلاً فيعترف بالنّحل الجزئي دون الكليّ كالمستشرق شارل جيمس ليال والمستشرق جوجيو ليفي دلا فيدا وسلك مسلك مرجليوث من أدباء العرب الدكتور طه حسين الذي فصّل آراءه في كتاب كامل في الشعر الجاهلي وشكّ في صحّة الشعر الجاهلي للأسباب الآتية:

١. لأنّه يمثل في نظره الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين.
٢. ولأنّه بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرّواة أنّه قيل فيه.
٣. وبعيد عن أن يمثّل اختلاف اللغات وتباين اللهجات فيما بين القبائل الجاهلية قبل أن يفرض القرآن على العرب لغةً واحدة ولهجاتٍ متقاربة.
٤. وأخيراً لأنّ الشعر الجاهلي الذي اتّخذه العلماء مادة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث ونحوهما ومذاهبهما الكلامية تحسّ كأنّه إنما قُدّ على قدر القرآن والحديث كما يُقدّ الثوب على قدّ

لابسه لا يزيد ولا ينقص عمّا أراد طولاً وسعةً وهذا ليس من طبيعة الأشياء بل أنّ هذه الدقّة في الموازنة تحمل على الشك والحيرة

٥. . ويضيف طه حسين إلى ذلك كلّه أنّ الشعر الجاهلي لم يصل إلينا إلا عن طريق الرواية الشفهية وهذا أمر لا يدعو إلى الاطمئنان.

ويرى طه حسين أنّ الأسباب التي حملت المسلمين على هذا النّحل هي

١. **العصبية.**
٢. **والدين.**
٣. **والقصص.**
٤. **والشعوبية.**
٥. **والرّواة.**

فراحوا ينحلون تأييداً لفريق على فريق، أو إثباتاً لصحّة النبوّة وصدق النّبي، أو تعظيماً لشأن النّبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش.. أو تزييناً للقصص، أو حطّاً لشأن العرب من قبل الشّعوبيّة، أو ما إلى ذلك مما تضيق هذه الصفحات بذكره وذكر الشّواهد عليه.

وقد أثارت آراء طه حسين عاصفة شديدة في البلاد العربية وراح العلماء ينقضونها ويفندوها رأياً رأياً، ويبينون مواطن الضعف في منهج الدكتور طه حسين، وفي أدلته وشواهده. وكان من أعمق من درس الموضوع بطريقة علميّة الدكتور ناصر الدين الأسد الذي قرّ رأيه، بعد النقاش الطويل، على أنّ "الشعر المنسوب إلى الجاهلية على ثلاث ضروب :

١-**ضرب موضوع منحول** ... وأكثر شعر هذا الضرب ما وضعه القصّاص ليحلّوا به قصصهم، أو يكسبوه في نفوس السّامعين والقارئين شيئاً من الثّقة، وما وضعه هؤلاء على لسان آدم وغيره من الأنبياء، أو على لسان بعض العرب البائدة، وما وضعه بعض الرّواة ليُثبتوا به نسباً أو يدلّوا به على أنّ لبعض العرب قدمة وسابقة ..

٢-**وضرب صحيح لا سبيل إلى الشّكّ فيه أو الطّعن عليه.** وذلك هو الذي أجمع العلماء الرّواة على إثباته بعد أن تدارسوا هذا الشّعر وفحّصوه ومحّصوه ...

٣- **وأما الضرب الثالث من ضروب الشعر الجاهلي فهو المختلف عليه** الذي قال عنه ابن سلام" وقد اختلف العلماء في بعض الشّعر، كما اختلفت في بعض الأشياء..." فمنذ مطلع القرن الثاني الهجريّ، وبعده بقليل، قامت طائفةٌ من العلماء الرّواة، من أمثال أبي عمرو بن العلاء، وحمّاد الراوية، ثم المفضّل وخلف الأحمر وهم الطبقة الأولى من العلماء الذين عرفتهم العربية في تاريخها الحافل فتلقوا تراث الجاهلية، شعرها وأخبارها وأنسابها، وصل إليهم بعضه مدوناً في دواوين كاملة ضمّت تراث القبيلة كلّه أو شعر شاعر فرد من شعرائها، ووصل إليهم بعضه مكتوباً في صحف متفرّقة. ثم وصل إليهم بعضه عن طريق الرّواية الشفهيّة التي كان يتناقلها الخلف عن السلف. فحملوا الأمانة، ومضوا يجمعون ما تفرّق من هذا التراث، وينظمون منه ما تجمع، يضيفون إليه ما لم يكن فيه مما تثبت لهم صحته، وينفون عنه ما ثبت لهم زيفه وفساده، ولم يألوا جهداً في التثبت والتحقيق والتمحيص والمدارسة، حتى استقام لكل منهم ما تيقن صحته، فمضى يذيعه على تلامذته في حلقات دروسه، ويشيعه في رواد مجالس علمه، فخلف من بعدهم خلف هم الطبقة الثانية من العلماء الرواة تأسوا بشيوخهم واقتفوا سبيلهم: يجمعون ويدرسون ويمحصون ويفحصون، ثم يستقيم لكل منهم ما يتيقن صحته فيذيعه على تلاميذه من علماء الطبقة الثالثة.

ومع ذلك كان لابدّ لبعض هؤلاء العلماء من أن يختلفوا: فقد وقع لبعضهم من الصّحف المكتوبة، أو الدّواوين المدوّنة، أو الرّواة من الشيوخ العلماء ومن الأعراب الفصحاء ما لم يقع كله لغيره. ثمّ كان لكلّ طائفة من هؤلاء العلماء منهج في الأخذ والتلقي ... ولكن هذا الخلاف في المصادر أولاً وفي المنهج ثانياً، لم يمنع العلماء من أن يأخذ بعضهم عن بعض، ومن أن يرحل علماء المصر إلى المصر المجاور، ليأخذوا منهم ويرووا عنهم، ثم ينقلوا ما تيقنوا صحته إلى تلاميذهم، ويكتبوه فيما يجمعون من دواوين. فهذه الدواوين المنسوبة التي يرتفع إسنادها إلى الطبقة الأولى أو إلى تلاميذهم من علماء الطبقة الثانية، هي التي تحوي بين دفتيها الشعر الجاهلي الذي تيقنوا صحته بعد تحرّ واستقصاء وجمع وتمحيص ونقد".

مصادر الفصل الثاني:

١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني.

٢. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي.

٣. خزانة الأدب، البغدادي.

٤. تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، د. شوقي ضيف.

٥. تاريخ الآداب العربية، جرجي زيدان.

الفصل الثالث

نشأة الشعر الجاهلي

إن تحديد زمن العصر الجاهلي عامة والشعر الجاهلي خاصة هو أمر غير معلوم ولم يصلنا منه أي شيء دقيق ، لكن ينسب عموما كما أشرنا إلى الفترة التي سبقت الإسلام وتقريبا ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنة هي المدة التي انبرى فيها الموروث الشعري الجاهلي الذي وصل إلينا ، وقبل ذلك كان مجهولا .

وفي ذلك يقول الجاحظ : أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة .فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام .

خصائص الشعر الجاهلي

من أهم خصائص الشعر اللفظية:

١- أنها تميل إلى الخشونة والفخامة.
٢- وخالية من الأخطاء والألفاظ الأعجميّة –لأن شعراء الجاهلية لم يختلطوا بغيرهم.
٣- وتخلو من الزخارف والتكلّف والمحسّنات المصنوعة.
٤- وتميل إلى الإيجاز.

ومن أهم خصائص الشعر المعنوية:

١- إنها تخلو من المبالغة.
٢- وبعيدة عن التعقيد.
٣- وغالباً تقوم على وحدة البيت.
٤- لا وحدة القصيدة.
٥- ومنتزعة من البيئة البدوية.
٦- وفيها «الاستطراد».

الخصائص الفنية للشعر الجاهلي:

- يتميز الشعر الجاهليّ بمجموعة من الخصائص الفنية، ومنا ما يلي:

- توظيف عددًا من المحسنات اللفظية والمعنوية. تصوير الطبيعة وعناصرها، وتمثيل الحياة فيها.
- غلبة التشبيه على القصيدة الجاهلية.
- توظيف الاستعارة. توظيف الموسيقى الهادئة في بعض الأحيان، والصاخبة في أحيان أخرى، وذلك بناء على موضوعات القصائد.
- توظيف لغة ذات تراكيب فخمة، ومعانٍ صعبة، حيث تحتاج المعاني الجاهليّة إلى معجم لغويّ لتفسير مفرداته.

خصائص الشعر الجاهلي من الناحية الشكلية

- المحافظة على التقاليد الشعريّة: حيث التزم الشعراء عند نَظْمهم للشِّعر بمجموعة تقاليد مُحدَّدة في مختلف قصائدهم، ومن هذه التقاليد:
- الوقوف على الأطلال، والبكاء، وخطاب الآثار، أو الأصدقاء، ثمّ وصف الشاعر لحاله؛ بسبب رحيل الحبيبة، ووصف جمالها، وبعد ذلك، ينتقل إلى غَرَضه الرئيسيّ في القصيدة، ويتميّز الشاعر الماهر عن غيره من الشعراء في حُسن الرَّبط بين هذه الموضوعات، والانتقال بسلاسة فيما بينها.
- العناية بالألفاظ، والعبارات: حيث كان الشعراء (خاصّة أصحاب الحوليّات) يمنحون اهتماماً كبيراً للألفاظ الشعريّة في شِعرهم، ويتحرَّونها بشكل جيّد بحيث تُؤدّي معناها، وغَرَضها، وتُؤثِّر بمحتواها في السامعين.
- والقارئ في الشِّعر الجاهليّ قد يجد بعض الألفاظ الغريبة، وغير المعروفة في وقتنا الحالي، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ الشعراء اختاروا في أشعارهم ألفاظاً غير موجودة، أو غريبة، بل يعني أنّهم كانوا يختارون الألفاظ المعروفة، والمُنتشِرة في مجتمعاتهم آنذاك، علماً بأنّ هذه الألفاظ قد ظهرت غريبة لنا؛ بسبب الفوارق الزمنيّة، وعدم استخدامنا لها، إضافة إلى أنّه كان يجب على الشاعر أن يُحافظ على قافية الأبيات.
- الوَحدة: حيث تميَّز الشِّعر الجاهليّ بتحقيق الجَرَس الموسيقيّ في كافّة مقاطع القصيدة، ممّا يدلُّ على المقدرة اللغويّة العالية لشعراء ذلك الزمن.
- صياغة المُحسِّنات البديعيّة بأسلوب فِطريّ: حيث تميَّزت المُحسِّنات البديعيّة في الشِّعر الجاهليّ بالصياغة السليمة، دون تكلُّف، أو جُهد، إذ تضمَّنت أشعارهم الاستعارة، والتشبيه، والطباق، والكناية، والاستعارة، والسَّجَع.

الفصل الرابع

المعلقات

المعلقات: مصطلح أدبي يطلق على مجموعة من القصائد المختارة لأشهر شعراء الجاهلية:

١. تمتاز بطول نفَسها الشعري

٢. وجزالة ألفاظها

٣. وثراء معانيها

٤. وتنوع فنونها

٥. وشخصية ناظميها

قام باختيارها وجمعها راوية الكوفة المشهور حماد الراوية (١٥٦ هـ،٧٧٢ م)، إن اسم المعلقات أكثر أسمائها دلالة عليها، وهناك أسماء أخرى لها، إلا أنها أقل ذيوعاً وجرياناً على الألسنة من لفظ المعلقات، ومن هذه التسميات: السبع الطوال.

هي وصف لتلك القصائد بأظهر صفاتها وهو الطول. السُموط. تشبيهاً لها بالقلائد والعقود التي تعلقها المرأة على جيدها للزينة. المذَهَّبات. لكتابتها بالذهب أو بمائه. القصائد السبع المشهورات. علَّل النحاس أحمد بن محمد (٣٣٨ هـ، ٩٥٠ م) هذه التسمية بقوله: «لما رأى حماد الراوية زهد الناس في حفظ الشعر، جمع هذه السبع وحضهم عليها، وقال لهم: هذه المشهورات، فسُميت القصائد السبع المشهورات لهذا». السبع الطوال الجاهليات. أطلق ابن الأنباري محمد بن القاسم (٣٢٨هـ، ٩٣٩م) هذا الاسم على شرحه لهذه القصائد.

التسميات التي أطلقت على المعلقات

القصائد السبع أو القصائد العشر. الاسم الأوّل هو عنوان شرح الزوزني الحسين بن أحمد (٤٨٦هـ، ١٠٩٣م)، أما التبريزي يحيى بن علي (ت ٥٠٦هـ، ١١٠٩م)، فقد عنْون شرحه لهذه القصائد بشرح القصائد العشر. وقد أشار ابن رشيق في كتابه العمدة إلى بعض هذه المصطلحات، فقال: "وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه المسمَّى بجمهرة أشعار العرب: إن أبا عبيدة قال: أصحاب السبع التي تسمى السُمُط: امرؤ القيس وزهير والنابغة، والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة. قال: وقال المفضل: "من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء، فقد أبطل". ويُقال: إنها قد سميت بالمذهّبات،

لأنها اختيرت من سائر الشعر فكُتبت في القباطي بماء الذهب، وعُلقت على أستار الكعبة، فلذلك يقال: مُذهبة فلان، إذا كانت أجود شعره. ذكر ذلك غير واحد من العلماء. وقيل: بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول: علِّقوا لنا هذه، لتكون في خزانته.

إنَّ فكرةَ تعليقِ مجموعةٍ منتخبةٍ من القصائدِ على الكعبةِ من القضايا التي لا يلتفتُ إليها كثيرٌ من حفظة الشعر ومتذوقيه ودارسيه ، ولعل الخوضَ في هذه المسألةِ ضربٌ من البحثِ في حقبةٍ زمنيةٍ تغيبُ تفاصيلُها وأحداثها ، لكنَّ أجودَ القصائد أبْدِعَتْ في ذلك العصر المُسَمَّى بالعصر الجاهلي أو عصر ما قبل الإسلام ،وهي قصائدُ تنمازُ ببراعة السبكِ والبنية المتكاملة التي توحي بِرُقِيِّ اللغة والصورة والإيقاع ، وفي ضوءِ القراءة الواعية لمعطيات العصر ونتاجهِ العقلي يمكن القول : إنه عصر الشعر الأول من حيث الأوليةُ الزمنيةُ ، والإبداع الفني ، وهو حكم قد يبدو انطباعيًّا بيد أنه صادرٌ عن رؤيةٍ تعي الشعرَ بَدْءا من العصر الجاهلي الذي تنزَّلَ فيه القرآنُ الكريم مرورًا بالعصور المتتابعة إلى يومنا هذا .

التعليق على استار الكعبة بين القبول الرفض

ولعلَّ مسألةَ تعليق المعلقات على الكعبة من أهم الموضوعات التي تنطوي على فكرتين متناقضتين ؛ إحداهما تؤيدُ التعليق والأخرى ترفض ، والرأي الذي يُطْمَآنُّ إليه أنها لم تُعَلَّقْ على أستار الكعبة ، فأول مَنْ ذكرَ أنها عُلِّقَتْ ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)، وهو من الرواة المشكوك في صحة رواياتهم ، وقد تابعه ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) ، ثم ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣ هـ)وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ويلاحظ أن أول خبر للتعليق جاء بعد ثلاثة قرون من العصر الجاهلي .

وأما مَنْ أنكر التعليق فأبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، وقد قال : " إن التعليقَ لا يعرفه أحد من الرواة" ، وتبعه أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ومن المحدثين : طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وشوقي ضيف ، ومن المستشرقين : نولدكه . وكان حماد الراوية (ت١٥٦هـ) أول من اختار سبعا منها وسماها السبع الطِّوال وشهَّرَها بين الناس .

والمعلقات هي للشعراء : امرئ القيس الكندي اليمني ، وزُهَير بن أبي سُلمى المُزَنِي ، وطرْفَة بن العبد البكري ، والنابغة الذبياني ، وعَبِيْد بن الأبرص الأسدي ، وعنترة العبسي ، وعمرو بن كُلْثُوْم التغلبي ، ولَبِيْد بن ربيعة العاملي ، والحارث بن حِلِّزة اليشْكُرِي والأعشى البكري ، وعددهم عند ابن عبد ربه سبعةٌ ، وعند أبي زيد محمد بن الخَطَّاب القرشي ثمانيةٌ ، وعند التبريزي عشرة . ولعل الاضطراب في عدد المعلقات مرجعُه الاعتمادُ على الروايات الشفوية والاختلاف في أسماء أصحابها ، وقد أطلق عليها تسميات أخرى منها : السبع الطِّوال ، المُذهَّبات ، القصائد المشهورات ، السبع الجاهليات ، السبعيَّات .

والرأي الذي يُطْمَأنُ إليه في نفي فكرة التعليق يرجعُ إلى أسباب علمية منها : أنه لم يرِدْ في القرآن الكريم أي إشارة إلى أن المعلقات قد علقت على الكعبة ، والمعروف أن القرآن أشار إلى أسماء الآلهة عند العرب كاللات والعُزَّى ومَنَاة كما أشار إلى بعض الطقوس التي تمارس عند البيت الحرام كالمُكَاء (الصفير) والتصدية ، فتعليق مجموعة من القصائد على أستار الكعبة له دلالاتٌ تمسُّ الجانب الديني ليس لأهلِ مكةَ وحسب بل للعرب الوثنيين الذين يحجون الكعبةَ بطقوسهم التعبدية ليشهدوا منافع لهم ؛ فلن يرضَوا بغير أصنامهم حضورًا في أقدس معابدهم . كما لم يرِدْ في الشعر الجاهلي أو الإسلامي أو الأموي أو العباسي أيُّ إشارة إلى هذه المسألة ، كما أننا لا نجد ذكرًا لها في شعر أصحاب أولئك المعلقات أنفسهم ، والذي يجدر ذكرُهُ أن تعليق أي شعر على الكعبة أمرٌ يستنفرُ الشعراءَ جميعًا ، فلقد : كان همُّ الشعراءِ أن تُذَاعَ قصائدُهم بين القبائلِ كما قال أحدهم واصفًا قصيدَتَه

تردُ المياهَ فما تزالُ غريبةً في القومِ بينَ تَمَثُّلٍ وسَمَاعِ

ولم يرِدْ في الأحاديثِ النبويةِ أي إشارةٍ إلى التعليقِ ، خاصةً عام الفتحِ الذي شهدَ انتصارًا للمسلمين على مشركي مكة ، وتطهيرَ الكعبة من الأوثان والأصنام التي ذُكِرَ أنَّ عددَها ثلاثُمائةٍ وستونَ نُصِبَتْ حول الكعبة ، ولو وُجِدَتْ المعلقات على أستارها آنذاك لكان أزاحَتُهَا أو تمزيقها حدثًا مشهودًا مشهورًا.

وعطفًا على ذلك فلم يُذْكَرْ أمرُ التعليقِ في كتبِ السيرةِ التي تعرَّضَتْ لأدقِّ تفاصيلِ حياة الرسول عليه السلام ، والمعروفُ أن كتاب " سيرة ابن هشام " الذي كتبه ابن إسحاق أصلا لفَّقَ أشعارًا ونسبها إلى آدم وعاد وثمود والأنبياء وعبد المطلب والأقوام التي أُبيدَتْ ، وقد نقده ابن سلام الجمحي في ذلك وكنا ننتظر أن يلفقَ خبرَ التعليق . ولم تذكره كتب تأريخِ الأدب العربي ، ومنها : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، فهو من أكثر الكتب الموثوقة التي أرَّخَت لحياة الشعراء القدماء ، كما أن الجاحظَ والمُبَرِّدَ لم يذكرا هذا التعليق على الرغم من أنَّهما ذكرا نُتَفًا وأبياتًا من المعلقاتِ ، ولم يذكره المؤرخون كابن الطبري وابن كثير وغيرهم.

ومن المعروف أنَّ العلماء اختلفوا في عدد المعلقات ، لكنَّ ما يسترعي النظر أن أيا من شعراء المعلقات لم يكن من أهل مكة ، وهذا ملحظ مهم ، فكيف تقبل قريشٌ بتعليق شعر ليس لشعرائها نصيبٌ فيه ، وإنْ كان الشعرُ فيها قليلا وهذا رأي بحث فيه الجاحظ وقد علل قلة الشعر فيها بسبب قلة حروبها ، لكن سلطان قريش السياسي والديني والاقتصادي جعل من مكةَ عاصمةً ثقافية استفزت بقية القبائل العربية التي مُلِئت قلوبُها بغضًا عليها ، ولعلَّ ذلك كان من أسباب ردتها عن الإسلام بُعَيْدَ وفاة الرسول عليه السلام ، وقد عبر عن هذه النزعة الشاعر الحطيئة فعدَّ بقاءَ الخلافة في قريش قاصمةَ الظهر، وثمَّة موقفٌ آخر يعبرُ عن كره القبائل المضرية واليمنية معًا لقريش بفعل التنافس على زعامة العرب وهو

تخاذلُها عن الدفاع عن مكةَ حينما تجرأ أبرهةُ الحبشي بإيعاز من هرقل لتدمير الكعبة وتحويل العرب لحج كنيسة القُلَيْس التي بناها في صنعاء بدوافعَ دينيةٍ اقتصادية ، فلم نرَ أية قوة قبلية تساندُ قريشًا التي عجزت عن الوقوف في وجه أبرهة . ولعل ذلك الميراث العدائي يدعو قريشا إلى رفض مبدأ تعليق قصائد لشعراء تلك القبائل وخاصةً أنَّ بعضَ المعلقات تتضمن فخرًا قبليا محضًا ، وهو رفض ليس له علاقة بقبولها بوضع أصنام تلك القبائل الوثنية حول الكعبة ، فالمسألتان مختلفتان ، فمن المعلوم أن أشهر الأسواق التجارية والأدبية قرب مكةَ كانت مرتبطة بالأشهر الحرم التي يكون فيها موسم الحجِّ الوثني ، كعكاظ ومِنى وذي المجاز وذي المجنة وعرفات ؛ فإبقاء الأصنام في الحرم هو لأسباب اقتصادية خالصة . لتحريك التجارة في مكة وما حولها

كما أن ثلاثا من تلك المعلقات تتضمن فحشا تصويريا للمرأة وهي : معلقات امرئ القيس والنابغة والأعشى ، وهو فحش قولي لا يتناسب والقيمة الدينية للبيت الحرام . ولا يوجد أي أثر يرتبط بزمان التعليق وكيفيته ، ومن حَكَمَ به ، والمعروف في تاريخ النقد أن هناك شعراءَ نقادًا كان يُحْتَكَمُ إليهم كالنابغة . وحسان بن ثابت في المفاضلة بين الشعراءِ لكن لم يُرْوَ رأيٌ لهم في هذه المسألة

يضاف إلى ذلك أنه لم يُرْوَ ما يؤيد التعليق من تفاخر أبناء شعراء المعلقات وحفدتهم من بعدِهم بتعليق قصائد آبائهم على الكعبة ، وبخاصة أن العصبية القبلية قد استمرت بعد الإسلام ، ولا يغيبُ عن الباحث ما بذله الأبناء من نحل شعر آبائهم بدوافع قبلية للفخر بتاريخ القبيلة أو بدوافع مالية من بعض رواة الشعر المحترفينَ ، لكننا لا نجد شعرا منحولا أو مسروقا يعبر عن فخرٍ بتعليق أي شعر على الكعبة ، ونعلم أن أحدَ الشعراء البكريين قد هجا بني تغلب بأنها لم تسأَمْ من رواية قصيدة عمرو بن كلثوم شاعرها : الأول التي ألهت تغلبَ عن كل المكارم

ألهى بني تغلبٍ عن كلِّ مَكْرُمَةٍ قصيدةٌ قالهَا عمرُو بنُ كُلْثُومِ

يرْونَـها أبَـدًا مذْ كانَ أولـهُم يا لَلْرِجالِ لشِعْرٍ غيرِ مسؤومِ

فلو كان لقبيلةٍ قصيدةٌ عُلِّقتْ على الكعبة لكانت جديرةً بالحفظ والرواية والفخر ، وثمةَ أمرٌ عقلي تأملي يجعل فكرة التعليق ضربًا من الاستحالة الواقعية ، فجدران الكعبة الأربعة لا تتسع لأن يُكْتَبَ عليها كل هذه المعلقات التي يصل مجموع أبياتها إلى ألف بيت ، ثم إن مسألةَ جمع الشعر لم يُشْرَعْ بها في العصر

الجاهلي ، بل هي فكرة إسلامية ظهرت بعد جهود الصحابة في جمع القرآن الكريم في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وتأسيسًا على ما ذُكِرَ يمكن للباحث أن يخلص إلى أنَّ فكرة التعليق كانت ضربًا من التلفيق وبدعةً أسْطَرَهَا أحدُ اللغويين المتأخرين انطلاقًا من هدفٍ نبيلٍ ، مقصدُهُ دفعُ طلبة العلم لحفظ تلك المعلقات لتكون مشهورة بينهم ، ألم يُجْمَعْ على أنها أفضلُ ما قيل في الشعر العربي القديم ؟ أوليس قد عُلِّقَتْ على أستار الكعبة واستحسَنَها العرب وطرَّزوها بماء الذهب !؟ أوليس قد عُلِّقت في خزائن ملوك المناذرة في الحِيرة !؟ فَلِمَ لا تَعْلَقُ في نفوس العلماء وطلبة العلم ؟ وكانت قبل انتشار فكرة التعليق قد حازت شهرة واسعةً عند رواة الشعر الكبار ، حتى إنَّ المفضِّلَ الضِّبِي والأصمعي وهما من العلماء الثقات لم يذكراها لشهرتها في اختياراتهما المعروفة بالمفضليات والأصمعيات ، ولم يذكرها كذلك أصحابُ الحماسات كأبي تمام والبحتري وابن الشجري فلم تكن حينذاك معروفة بهذا الاسم (المعلقات)، والمعيار الفني هو الذي تقاس به الأعمال الإبداعية ، ولا ريب أنها قد عَلِقَتْ بالعقول والألسنة وليس على الكعبة كما يُزْعَمُ ، وقد فاقت غيرها من القصائد وبقيت طِوَالَ ألف وخمسمائة عام ونيف ينظر إليها نظرةَ إعجاب وتقدير لما تحمل من مضامين وصور متجددة ولغة إيحائية مدهشة وإيقاعات أسست للعقل العربي في طور نموه فبقيت عالقة في ذهن الأمة وخيالها ، ولنا أن نتصور عظمة أمة أبدع نفرٌ من شعرائها هذا النتاج الفكريّ المُمَوْسَق المدهش ، ولعلَّ هذا هو السرُّ الخفي الذي يشدُّ الأمة نحوَ جذورها كلما عصفتْ بها عواصفُ الدهر وعاديات الزمان لتجدَها عظيمةَ الشأن تستند إلى تراث متجذر في باطن التاريخ والمكان والنفوس، وكل بيت من تلك المعلقات يحتاج إلى تأمل عميق لفهم دلالاته ضمن سياقاته المترابطة وهذا هو سرُّ بقائها عصيةً على النسيان في ذاكرة الأمة ولغتها على الأقلِّ.

مطالع المعلقات

وكما اختلف العلماء والرواة في تسميتها، اختلفوا في عددها، وتعليقها، وأسماء شعرائها. لكن الذي اتفق عليه الرواة والشُّرَّاح أنها سبع، فابن الأنباري، والزوزني اكتفيا بشرح سبع منها هي:

معلقة امرئِ القيس، ومطلعها:

قفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقط اللِّوى بين الدَّخول فحوْمَل

معلقة طرفة بن العبد، ومطلعها

لخولة أطلالٌ بِبُرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

معلقة زهير بن أبي سلمى ومطلعها

أَمِنْ أمِّ أَوْفَى دمْنةٌ لم تَكَلَّم بَحْومَانة الدُّرّاج فالمتَثَلَّم

معلقة عنترة بن شداد، ومطلعها

هل غادَرَ الشُّعراء من مُتَرَدَّم أم هَلْ عرفْتَ الدار بعد توهم

معلقة عمرو بن كلثوم، ومطلعها

ألا هبيِّ، بصحْنِك فاصْبحينا ولا تُبقي خُمور الأنْدَرِينا

معلقة الحارث بن حلزة، ومطلعها

آذنتْنا ببينها أسْماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

معلقة لبيد بن ربيعة، ومطلعها

عَفَتْ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُهَا بمنى تَأبَّد غولُها فِرَجامُهَا

وقد أضافت العرب ثلاث معلقات

معلقة أعشى قيس، عدّه ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وقرنه بامرئ القيس وزهير والنابغة مطلع المعلقة:

ودّعْ هريرةَ إنْ الركبَ مرتحلُ وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرّجل

معلقة النابغة الذبياني، عدّه ابن سلام في الطبقة الأولى وقرنه بامرئ القيس والأعشى وزهير وتقدم الخلاف في أيهم أشعر وهو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم وهو أحسنهم ديباجة شعر وأكثر رونق كلام وأجزلهم بيتاً. مطلع المعلقة

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْيْاءِ فالسَّنَد أقْوَتْ وطَالَ عليها سالفُ الأَبَدِ

معلقة عبيد بن الأبرص، عدّه ابن سلام في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة التميمي وعدي بن زيد العبادي. مطلع المعلقة

أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَلْحوبُ فالقُطبيَّات فالذَّنوبُ

أصحاب المعلقات

امرؤ القيس:

أُمْرُؤُ القَيْس بْنُ حُجْرُ بْنُ الحَارِثِ الكِنْدِي (540 – 500)؛ شاعر عربي ذو مكانة رفيعة، بَرز في فترةِ الجاهلية، ويُعد رأس شعراء العرب وأبرزهم في التاريخ ووصف بأنه أشعر الناس، وهو صاحب أشهر معلقة من المعلقات. عُرِف واشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون حول اسمه، فقيل جندح وحندج ومليكة وعدي، وهو من قبيلة كندة.

يُعرف في كتب التراث العربية بألقاب عدة، منها

١ –:المَلِكُ الضِّلّيل

٢–ذو القروح

وكُني بأبي وهب، وأبي زيد، وأبي الحارث. وروى "ابن قتيبة" أن "امرأ القيس" من أهل نجد، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد. وقد تنقل هذا الشاعر في مواضع متعددة من شبه الجزيرة العربية، ووصل إلى القسطنطينية عاصمة الروم.

نسبه

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن ثور بن عفير بن معاوية بن حيدة بن معد بن عدنان.

مولده ونشأته

ولد في نجد في قبيلة كندة، نشأ مترفًا ميالًا للترف؛ كان أبوه حجر ملكًا على بني أسد وغطفان، وأمه هي فاطمة بنت ربيعة التغلبية أخت كليب والشاعر المهلهل التّغلِبِيَّيْن. تعلم الشعر منذ صغره من خاله المهلهل، ولم يكف عن تنظيم الشعر الحسي ومخالطة الصعاليك بالرغم من نهي والده له عن ذلك، فطرده

إلى موطن قبيلته؛ دمون في حضرموت عندما كان في العشرين من عمره، فما إن قضى فيها خمس سنوات حتى مضى سائرًا في بلاد العرب مع أصحابه، ساعيًا وراء اللهو والعبث والغزو والطرب.

كان يتهتك في غزله ويفحش في سرد قصصه الغرامية، وهو من أوائل الشعراء الذين أدخلوا الشعر إلى مخادع النساء، سلك امرؤ القيس في الشعر مسلكًا خالف فيه تقاليد البيئة، فاتخذ لنفسه سيرة لاهية تأنفها الملوك، كما يذكر ابن الكلبي حيث قال: «كان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل فإذا صادف غديرًا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح وشرب الخمر وسقاهم وتغنيه قيانة، لا يزال كذلك حتى يذهب ماء الغدير وينتقل عنه إلى غيره». التزم نمط حياة لم يرق لوالده فقام بطرده ورده إلى حضرموت بين أعمامه وبني قومه أملا في تغييره، لكنه استمر في ما كان عليه من مجون وأدام مرافقة صعاليك العرب وألف نمط حياتهم من تسكع بين أحياء العرب والصيد والهجوم على القبائل الأخرى وسلب متاعها.

ابتدأت مرحلة جديدة في حياته بعد أن ثار بنو أسد على والده وقتلوه، فجاءه الخبر بينما كان جالسًا يشرب الخمر فقال كلمته الشهيرة: «رحم الله أبي، ضيعني صغيرًا، وحملني دمه كبيرًا. لا صحو اليوم ولا سُكْرَ غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر»، فأخذ على عاتقه مسؤولية الثأر لأبيه، واسترجاع كفة حكم كندة، فحلف ألا يغسل رأسه وألا يشرب خمرًا، فجمع أنصاره واستنجد بقبائل أخواله بكر وتغلب، وقتل عددًا غفيرًا من بني أسد، فطلبوا أن يفدوه بمئة منهم فرفض، فتخاذلت عنه قبائل بكر وتغلب، وقد نظم شعرًا كبيرًا في هذه الأحداث.

اضطر أن يواجه المنذر ملك الحيرة، الذي استعان بكسرى ملك الفرس عليه، ما دعا امرؤ القيس أن يهيم مستنجدًا بالقبائل دون جدوى فسُمي بالملك الضليل، حتى قرر أن يستنجد بالسموأل في تيماء، وسأله بأن يكتب مرسولًا إلى الحارث بن شمر الغساني ليتوسط له لدى قيصر الروم في القسطنطينية ليستنجده، وليعززه بحلفائه من قبائل العرب. توجه إلى تيماء واستودع دروعًا كان يتوارثها ملوك كندة لدى السموأل، وقصد القسطنطينية بغرض لقاء القيصر جستينيان الأول، مع عمرو بن قميئة، الذي تذمر من مشقة الرحلة وقال لامرئ القيس: «غَرَّرتَ بنا»، فأجابه بقصيدة شجعه فيها، ووصف أحوال تلك الأحداث، ولما وصل إلى القيصر أكرمه وقربه منه، وأرسل معه جيشًا لاستعادة مُلك أبيه، إلا أنه غُرر به عند قيصر فحقد عليه وأرسل إليه جبةً مسمومة، وما إن لبسها حتى تسمم جسمه وتقرح ومات ودفن في أنقرة، وتشير مصادر آخرى إلى أن القيصر لم يفِ بوعده معه، ولكن لم يسممه؛ بل إن موته كان بسبب

إصابته بالجدري في أثناء عودته، فتقرح جسده كله ومات نتيجةً لذلك ولذلك سُمي *بذي القروح*. وقال ابن قتيبة: هو من أهل كندة من الطبقة الأُولى. كان يعدّ من عشّاق العرب، ومن أشهر من أحب هي فاطمة بنت العبيد العنزية التي قال فيها في معلّقته الشهيرة. ومن أبياته التي قالها عند موته في جبل يسمى (عسيب):

أجارتنا إن الخطوب تنوبُ وإني مقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقرابة بيننا وإن تصرمينا فالغريب غريبُ

أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آتٍ في الزمان قريب

وليس غريبا من تناءت ديارُهُ ولكنَّ من وارى الترابُ غريبُ

دِينه:

اختلف الباحثون في دين امرئ القيس وعقيدته على وجوه عدة متناقضة، ولم يكن لدى من اختلفوا فيه حججًا يستندون عليها في دعم ما ذهبوا إليه من مذاهب حول دينه سوى شعره، كل يأخذ منه ما يرى أنه يؤيد حججه ويفسره على ذلك، وعليه منهم من قال إنه وثني، وآخر قال إنه مزدكي، وآخر قال إنه نصراني، بينما رأى غيرهم أنه كان يقر بالله وقدرته في مواضع عدة في شعره، وهذا الأمر مستفيض في كلام العرب ممن كان على الحنيفية أو ممن كان يتخذ الأصنام؛ وهؤلاء لم يتخذوها كما قالوا إلا لتقربهم إلى الله.

احتج من قال بوثنيته، بأن امرأ القيس فيما روي عنه أنه لما خرج للأخذ بثأر أبيه مر بصنم تعظمه بعض العرب يقال له ذو الخَلَصَة، فاستقسم بقداحه وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، فعل ذلك ثلاثًا فجمعها وكسرها، وضرب بها وجه الصنم. وقال: «عضضتَ بأير أبيك، لو كان أبوك المقتول ما عوَّقتني»، ثم غزا بني أسد فظفر بهم، والشاهد أن الصنم لم يستقسم عنده بشيء، وأنه إنما أتى ذا الخلصة ليتفاءل بقداحه، ولو كان يعبده أو يعبد غيره من الأوثان لما احتقره وضرب وجهه بالقداح وأقذع في الكلام معه، بل لما خالفه وغزا قتلة أبيه بعدما خرج له من الصنم ما خرج.

وهناك من قال إن امرأ القيس مزدكي، واحتج لهذا القول بأن جده الحارث كان كذلك، والحال لم ينقل التاريخ أن جد امرئ القيس ظل على دين مزدك وتابعته ذريته على ذلك. وكان الحارث قد اتخذ المزدكية وسيلة يقوم بها مقام المناذرة، ولما طارده كسرى لم يُسمع من فمه كلمة تتعلق بهذا الدين حتى فارق الحياة، ولم يرد عن امرئ القيس أي كلمة تشير إلى ما ذهب إليه من قال بمزدكيته.

بينما احتج من قال إنه نصراني، بالاستدلال على هذا بأن في شعر امرئ القيس مواضع عديدة يقر فيها بالله وقدرته وحسابه، وهي مما لا يقر بها الوثني والمزدكي، بينما ذكر الله مستفيض في كلام العرب في الجاهلية، وهذا القول لوحده ليس حجة، إذ يمكن أن يكون بذكره لله حينفيًا أو مثل غيره ممن كانوا يتخذون الأصنام وسيلة تقربهم لله حسب قولهم. والاستدلال بشعر الملك الضليل للدلالة على كونه وثنيًا أو مزدكيًا أو نصرانيًا غير مجدٍ، إذ إن لا شواهد في شعره تدل على اعتقاده بإحدى هذه الديانات.[١٠]

موت والده

كان لموت والده حجر على يد بني أسد أعظم الأثر على حياته ونقلة أشعرته بعظم المسؤولية الواقعة على عاتقه. رغم أنه لم يكن أكبر أبناء أبيه، إلا أنه هو من أخذ بزمام الأمور وعزم الانتقام من قتلة أبيه لأنه الوحيد الذي لم يبك ويجزع من إخوته فور وصول الخبر إليهم. يروى أنه قال بعد فراغه من اللهو ليلة مقتل أبيه على يد بني أسد: «ضيعني صغيرًا، وحملني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر»، وأنشد شعرا وهو في دمون، وادٍ بالقرب من دوعن في حضرموت، قال فيه:

تطاول الليل علينا دمون

إنا معشر يمانون

وإنا لأهلنا محبون

فلبس رداء الحرب في اليوم التالي واتجه صوب بني أسد فخافوا منه وحاولوا استرضاءه إلا أنه لم يرض وقاتلهم حتى أثخن فيهم الجراح وفاحت رائحة الجثث. وذكر الكلبي: أن امرأ القيس أقبل برایاته يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه، فمر على تبالة وبها ذو الخلصة صنم من أصنام العرب وكانت العرب تستقسم عنده، فاستقسم فخرج القدح الناهي، ثم الثانية، ثم الثالثة كذلك، فكسر القداح وضرب بها وجه ذي

الخلصة وقال: عضضت بأير أبيك لو كان أبوك المقتول لما عوقتني. ثم أغار على بني أسد فقتلهم قتلا ذريعا. ويروي اليعقوبي أن امرأ القيس قصد بني أسد في أول الأمر ولكنه أوقع بقوم من بني كنانة فصاح قائلا: «يا للثارات» مزهوا بما ظنه ثأرا من قتلة أبيه. فأجابه القوم: «والله ما نحن إلا من كنانة».

لقد ترك خلفه سجلا حافلا من ذكريات الشباب وسجلا حافلا من بطولات الفرسان وترك مع هذين السجلين ديوان شعر ضم بين دفتيه عددا من القصائد والمقطوعات التي جسدت في تاريخ شبابه ونضاله وكفاحه. وعلى الرغم من صغر ديوان شعره الذي يضم الآن ما يقارب مئة قصيدة ومقطوعة إلا أنه جاء شاعرًا متميزًا فتح أبواب الشعر وجلا المعاني الجديدة ونوع الإغراض واعتبره القدماء مثالا يقاس عليه ويحتكم في التفوق أو التخلف إليه.

ولذلك فقد عني القدماء بشعره واحتفوا به نقدًا ودراسة وتقليدًا كما نال إعجاب المحدثين من العرب والمستشرقين، فأقبلوا على طباعته منذ القرن الماضي، القرن التاسع عشر في سورية ومصر وفرنسا وألمانيا وغيرها من البلدان التي تهتم بشؤون الفكر والثقافة.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها
لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَّي مَطِيَّهُمُ

يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّلِ

وإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا

وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا

نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً

عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ

وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيَّتِي

فَيَا عَجَباً مِنْ كُوْرِهَا المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَا

وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ

فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إنَّكَ مُرْجِلِي

تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعاً

عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ

ولاَ تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَاكِ المعَلَّلِ

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ

فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ

بِشَقٍّ وتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ

ويَوْماً عَلَى ظَهْرِ الكَثِيْبِ تَعَذَّرَتْ

عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لم تَحَلَّلِ

أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

وإِنْ كُنْتِ قَدْ أزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

أَغَرَّكِ مِنِّي أنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي

وأنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

وإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي

بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وبَيْضَةِ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا

تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

تَجَاوَزْتُ أحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعْشَراً

عَلَّي حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّوْنَ مَقْتَلِي

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ

تَعَرُّضَ أَثْنَاءَ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا

لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ

فَقَالَتْ : يَمِيْنَ اللهِ مَا لَكَ حِيْلَةٌ

وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلِي

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا

عَلَى أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

فَلَمَّا أجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى

بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

هَصَرْتُ بِفَوْدَي رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ

عَلَيَّ هَضِيْمَ الكَشْحِ رَيَّا المِخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ

غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أسِيْلٍ وَتَتَّقِي

بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ

وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أسْوَدَ فَاحِمٍ

أثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلَى العُلاَ

تَضِلُّ العِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ

وسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المذَلَّلِ

وتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِهَا

نَئُوْمُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرَ شَثْنٍ كَأَنَّهُ

أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحِلِ

تُضِيءُ الظَّلامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا

مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيْمُ صَبَابَةً

إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ

تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنْ الصِّبَا

ولَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِ

ألاَّ رُبَّ خَصْمٍ فِيْكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ

نَصِيْحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ

عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي

بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَلِ

فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأنَّ نُجُومَهُ

بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

وقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا

عَلَى كَاهِلٍ مِنِّي ذَلُوْلٍ مُرَحَّلِ

وَوَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ

بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيْعِ المعَيَّلِ

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى : إِنَّ شَأْنَنَا

قَلِيْلُ الغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

كِلاَنَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئَاً أَفَاتَهُ

ومَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وحَرْثَكَ يَهْزَلِ

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً

كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ

كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كأنَّ اهْتِزَامَهُ

إِذَا جَاشَ فِيْهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

مَسْحٍ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى

أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيْدِ المُرَكَّلِ

يُزِلُّ الغُلاَمُ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ

وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيْفِ المُثَقَّلِ

دَرِيْرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيْدِ أمَرَّهُ

تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ

وإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ

ضَلِيْعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ

بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

كَأَنَّ عَلَى المِتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى

مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلايَةَ حَنْظَلِ

كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ

عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ

عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاءٍ مُذَبَّلِ

فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ

بِجِيْدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيْرَةِ مُخْوَلِ

فَأَلْحَقَنَا بِالهَادِيَاتِ ودُوْنَهُ

جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ

دِرَاكاً وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِن بَيْنِ مُنْضِجٍ

صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيْرٍ مُعَجَّلِ

ورُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُوْنَهُ

مَتَى تَرَقَّ العَيْنُ فِيْهِ تَسَفَّلِ

فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجَامُهُ

وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيْكَ وَمِيْضَهُ

كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ

أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ المُفَتَّلِ

قَعَدْتُ لَهُ وصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ

وبَيْنَ العُذَيْبِ بُعْدَمَا مُتَأَمَّلِ

عَلَى قَطَنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ

وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلِ

فَأَضْحَى يَسُحُّ المِاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ

يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

ومَرَّ عَلَى القَنَانِ مِنْ نَفَيَانِهِ

فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ

وتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ

وَلاَ أُطُماً إِلاَّ مَشِيْداً بِجِنْدَلِ

كَأَنَّ ثَبِيْراً فِي عَرَانِيْنِ وَبْلِهِ
كَبِيْرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المجَيْمِرِ غُدْوَةً
مِنَ السَّيْلِ وَالأَغثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ
وأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَبِيْطِ بَعَاعَهُ
نُزُوْلَ اليَمَانِي ذِي العِيَابِ المحَمَّلِ
كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَّبَةً
صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحيقٍ مُفَلْفَلِ
كَأَنَّ السِّبَاعَ فِيْهِ غَرْقَى عَشِيَّةً
بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيْشُ عُنْصُلِ

إنّ المتأمل لهذه الأبيات يجدُ أنّ الشاعر أفتتح قصيدته بمقدمةٍ طللية جريًا على عوائد العرب في الشعر، فيخاطب الشاعر رفيقيه، ويطلب منهما الوقوف والبكاء معه لذكرى والده المقتول، ولذكرى مملكته الضائعة الواقعة بين جبلي الدخول وحومل، فهذه المملكة صارت طللاً وأصبحت رياح الجنوب والشمال تهب فيها وتمحي آثارها.

ويذكر أنّه حتى الآرام والغزلان اتخذت من أحياء مملكته مسكنًا لهجران الناس لها، ويستذكر لحظة رحيل الناس عنها وهم يحملون أغراضهم ومتاعهم ويرحلون، لكن صاحبيه يطلبان منه الهدوء والتصبر حتى لا يهلك من الأسى والحزن، لكنه يرى أن علاجه بالبكاء، فهو ليس له حظ في الأرض ولا في السماء، كحال الرجل الذي يحب لكنه لم ينل حب أم الحويرث ولا أم الرباب.

فكان بكاؤه غزيرًا حتى بلغ به الأمر أن بلل بدموعه محمل سيفه على خصره، ويتمنى في قرارة نفسه أن تعطيه الأيام يومًا سعيدًا مثل يوم دارة جيجل، ذلك اليوم الذي قيل فيه أنّ امرئ القيس مرّ على غدير ماء، فسرق ثياب النسوة التي كنّ يغتسلن في الغدير، وأجبرهن على الخروج عليه؛ حتى يأخذن ثيابهن.

في هذا المقطع نجد أنّ امرأ القيس يستحضر ذكرياته مع النساء، فقد كانت ذكريات فرحة ويتمنى أن تعود تلك الأيام، فقد استذكر قصته عند مروره بدير للراهبات، فقام من باب نخوته وذبح ناقته لهنَ، فيصف لنا صورة العذارى وهن مقبلات على الطعام، لكنه بعد أن ذبح ناقته صار مذهولاً لأحمال ناقته، فلم يعد لديه ركوبةٌ تحمله وتحمل متاعه. ومن ثمّ يستذكر أيام لهوه مع النساء، فيذكر ذلك اليوم الذي دخل فيه على خدر عُنيزة، التي أحبته بدورها والتهت عن ولدها ورضيعها وهو يبكي، وانصرفت إلى لهوها مع الشاعر، ومن ثم يستذكر علاقةً أخرى غير عُنيزة وهي علاقته مع فاطمة، التي كان يحبها ويطلب وصالها، فكانت تتمنع عن تدللاً، فذكر أنّه كان يحبها لدرجة أنّ حبها كان سيقتله.

فكان لا يبكي إلا من نظرات عينيها، وكان يبذل جهده في الوصول إليه، إذ كان يتسلل من بين الحراس، ويصل إليها في وقت النوم، فقد كان الشاعر ماجنًا في حياته الأولى، لكن هذه الحياة انقضت، وفقد ملكه، وخسر والده، وصار هائمًا في البراري.

في لوحة الليل يصف الشاعر الليل ومعاناته فيه، فهو ليل أسود قاتم، لا يحمل إلا الهموم على قلب الشاعر، فيصفه الشاعر بأنه مثل الموج، فهو يقبض صدره كحال الموج عندما يُغرق شخصًا، ويطلب الشاعر من هذا الليل في سياق التمني، أن يسرع في الرحيل، وينجلي بسرعة ليأتي الصباح، لكن الشاعر يستدرك، ويقول أنه حتى الصباح ليس بأقل مرارة عن الليل فهمومه ملازمة له في كل الأوقات. ويصف الشاعر هذا الليل بأنّه ليل طويل، فيشب نجومه بفتيل السراج الطويل المربوط بصخر من أسفله، فهذه النجوم ستبقى منيرةً لفترةٍ طويلة، وذلك كناية عن طول الليل، فالشاعر يشعر بأنّ الليل زمن معادٍ له، فهو لا يستطيع النوم، من كثرة الهموم التي تتوارد على رأسه. في هذه الأبيات نجد أنّ الشاعر يتخيل نفسه وهو يمارس انتقامه على قتلة والده، فيقول إنه سيسعى إلى هذا الانتقام مبكرًا حتّى أنّ الطيور تكون نائمةً في أعشاشها، ومن ثمّ يصف لنا حركته وهو على خيله، فيذكر كيف يكر على الأعداء ويفر عنهم، ويصف سرعته في الكر والفر، بسرعة صخرةٍ كبيرة سقطت من مكانٍ عالٍ.

ويصف لنا غبار المعركة، وحركة فرسه وهي تُقبل على الأعادي، فهذا الفرس وُصِف لنا بوصف أسطوري، فهو حصان عظيم السرعة، وله قدرات خارقة في الكر والفر، وتشتيت الأعداء، فهو يليق بشاعر وفارس مثل شاعرنا.

طرفة بن العبد

طرفة بن العبد، شاعر بكري من ربيعة، أقصر فحول الشعراء الجاهليين عمرًا، وأجودهم طويلة، وأوصفهم للناقة.

طواه الردى في ميعة الشباب، سمَّاه المتقدمون: «ابن العشرين»؛ لأنه مات في تلك السن، أو ما يناهزها.

يُروى أنه نادمَ النعمان، ومنهم من قال عمرو بن هند، مع خاله المتلمس، ثم توترت العلاقات بينهما لأسباب لا تهمنا معرفتها، فسلَّم النعمان كلًّا منهما رسالة إلى عامله في البحرين، فأخذا الكتابين معتقدين أن فيهما جائزة أو صلة، فإذا الأمر بالعكس؛ لأن المتلمس شك فأقرأ كتابه غلامًا من الحيرة، فإذا فيه أمر بالقتل. فألقى المتلمس كتابه في النهر وهرب إلى الشام. وفي صحيفة المتلمس يُضرَب المثل وقد قال الشاعر فيه:

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله

والزاد، حتى نعله ألقاها

وعاش المتلمس بقية عمره يهجو النعمان، ويدعو العرب إلى عصيانه. أما طرفة فلم يشك، وظل سائرًا في طريقه إلى البحرين حيث قتله عامل النعمان فمات ولمَّا يتمتع بشبابه إلا قليلًا.

شعره: على قلته قيّم ممتع «عمومًا»، شديد الأسر متين النسج «أحيانًا»، معقد التركيب، كثير الغريب، مبهم المعنى.

جيد الوصف، مع عدم تطرف في الغلو، يدل شعره على نفسية عاتية جبارة، لا تنظر إلا إلى الساعة التي هي فيها. يرى الدنيا على حداثته بعين الحكيم المجرب.

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ
تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ
وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ
يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ
كَأنَّ حُدُوجَ المالِكِيَّةِ غُدْوَةً
خَلاَيَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ
عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِيْنِ ابْنَ يَامِنٍ
يَجُوْرُ بِهَا المِلاَّحُ طَوْراً ويَهْتَدِي
يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا
كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَدِ
وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ

مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

خَذُولٌ تُرَاعِي رَبْرَباً بِخَمِيْلَةٍ

تَنَاوَلُ أطْرَافَ البَرِيْرِ وتَرْتَدِي

وتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّراً

تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ لَهُ نَدِ

سَقَتْهُ إيَاةُ الشَّمْسِ إلاّ لِثَاتِهِ

أُسِفَّ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ

ووَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقتْ رِدَاءهَا

عَلَيْهِ نَقِيّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ

وإِنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ

بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَلُوحُ وتَغْتَدِي

أَمُوْنٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَا

عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

جُمَالِيَّةٍ وَجْنَاءَ تَرْدَى كَأَنَّهَا

سَفَنَّجَةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أَرْبَدِ

تُبَارِي عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ

وظِيْفاً وظِيْفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبَّدِ

تَرَبَّعْتِ القُفَّيْنِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي

حَدَائِقَ مَوْلِيَّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ

تَرِيْعُ إِلَى صَوْتِ المِهِيْبِ وتَتَّقِي

بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَف مُلْبِدِ

كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا

حِفَافَيْهِ شُكَّا فِي العَسِيْبِ بِمِسْرَدِ

فَطَوْراً بِهِ خَلْفَ الزَّمِيْلِ وَتَارَةً

عَلَى حَشَفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدَّدِ

لَهَا فِخْذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيْهِمَا

كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيْفٍ مُمَرَّدِ

وطَيٍّ مَحَالٍ كَالحَنِيِّ خُلُوفُهُ

وأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِرَأيٍ مُنَضَّدِ

كَأَنَّ كِنَاسَيْ ضَالَةٍ يَكْنِفَانِهَا

وأَطْرَ قِسِيٍّ تَحْتَ صَلْبٍ مُؤَيَّدِ

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلانِ كَأَنَّمَا

تَمُرُّ بِسَلْمَي دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ

كَقَنْطَرَةِ الرُّوْمِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا

لَتُكْتَنِفَنْ حَتَى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

صُهَابِيَّةُ العُثْنُونِ مُوْجَدَةُ القَرَا

بَعِيْدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ

أُمِرَّتْ يَدَاهَا فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ

لَهَا عَضُدَاهَا فِي سَقِيْفٍ مُسَنَّدِ

جَنوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثُمَّ أُفْرِعَتْ

لَهَا كَتِفَاهَا فِي مُعَالىً مُصَعَّدِ

كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَبَاتِهَا

مَوَارِدُ مِن خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ

تَلاقَى وأَحْيَاناً تَبِيْنُ كَأَنَّهَا

بَنَائِقُ غُرٍّ فِي قَمِيْصٍ مُقَدَّدِ

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ

كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ

وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلاةِ كَأَنَّمَا

وَعَى المِلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفِ مِبْرَدِ

وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّآمِي ومِشْفَرٌ

كَسِبْتِ اليَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُجَرَّدِ

وعَيْنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا

بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ

طَحُورَانِ عُوَّارَ القَذَى فَتَرَاهُمَا

كَمَكْحُولَتَيْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَدِ

وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ للسُّرَى

لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أَوْ لِصوْتٍ مُنَدَّدِ

مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيْهِمَا

كَسَامِعَتَي شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ

وأَرْوَعُ نَبَّاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَمٌ

كَمِرْدَاةِ صَخْرٍ فِي صَفِيْحٍ مُصَمَّدِ

وأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مَارِنٌ

عَتِيْقٌ مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ

وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ

مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ القَدِّ مُحْصَدِ

وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكَوْرِ رَأْسُهَا

وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي

ألاَ لَيْتَنِي أَفْدِيْكَ مِنْهَا وأَفْتَدِي

وجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفاً وَخَالَهُ

مُصَاباً وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَىً خِلْتُ أَنَّنِي

عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيْعِ فَأَجْذَمَتْ

وَقَدْ خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوَقِّدِ

فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيْدَةُ مَجْلِسٍ

تُرِي رَبَّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

فَإِن تَبغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقِنِي

وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الحَوَانِيْتِ تَصْطَدِ

وَإِنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيْعُ تُلاَقِنِي

إِلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الشَّرِيْفِ المصَمَّدِ

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُومِ وَقَيْنَةٌ

تَرُوحُ عَلَينَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ

رَحِيْبٌ قِطَابُ الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيْقَةٌ

بِجَسِّ النُّدامَى بَضَّةُ المتَجَرَّدِ

إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِيْنَا انْبَرَتْ لَنَا

عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةً لَمْ تَشَدَّدِ

إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَهَا

تَجَاوُبَ أَظْآرٍ عَلَى رُبَعٍ رَدِ

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي

وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي

إِلَى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيْرَةُ كُلُّهَا

وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيْرِ المعَبَّدِ

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لاَ يُنْكِرُونَنِي

وَلاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ الممَدَّدِ

أَلاَ أَيُّها اللائِمي أَشهَدُ الوَغَى

وَأَنْ أَنْهَل اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فإنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيْعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي

فَدَعْنِي أُبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَلَوْلاَ ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الفَتَى

وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

فَمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ

كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالمِاءِ تُزْبِدِ

وَكَرِّي إِذَا نَادَى المِضَافُ مُجَنَّباً

كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبُ

بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ

كَأَنَّ البُرِيْنَ والدَّمَالِيْجَ عُلِّقَتْ

عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ

كَرِيْمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ

سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا غَداً أَيُّنَا الصَّدِي

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيْلٍ بِمَالِهِ

كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِن تُرَابٍ عَلَيْهِمَا

صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّدِ

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي

عَقِيْلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ

وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إِنَّ الموتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى

لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ

فَمَا لِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكاً

مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ

يَلُوْمُ وَمَا أَدْرِي عَلامَ يَلُوْمُنِي

كَمَا لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَدِ

وأَيْأَسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ

كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسِ مُلْحَدِ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي

نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حَمُوْلَةَ مَعْبَدِ

وَقَرَّبْتُ بِالقُرْبَى وجَدِّكَ إِنَّنِي

مَتَى يَكُ أَمْرُ للنَّكِيْثَةِ أَشْهَدِ

وإِنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا

وإِنْ يأْتِكَ الأَعْدَاءُ بِالجَهْدِ أَجْهَدِ

وَإِنْ يَقْذِفُوا بِالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ

بِكَأسِ حِيَاضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ

بِلاَ حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وَكَمُحْدَثٍ

هِجَائِي وقَذْفِي بِالشَّكَاةِ ومُطْرَدِي

فَلَوْ كَانَ مَوْلايَ إِمْرَأً هُوَ غَيْرَهُ

لَفَرَّجَ كَرْبِي أَوْ لأَنْظَرَنِي غَدِي

ولَكِنَّ مَوْلايَ اِمْرُؤٌ هُوَ خَانِقِي

عَلَى الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أَوْ أَنَا مُفْتَدِ

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً

عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المهَنَّدِ

فَذَرْنِي وخُلْقِي إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ

وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ

وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بنَ مَرْثَدِ

فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيْرٍ وَزَارَنِي

بَنُونَ كِرَامٌ سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ

خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ

فَآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً

لِعَضْبٍ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ

حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ

كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ

أَخِي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيْبَةٍ

إِذَا قِيْلَ مَهْلاً قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي

إِذَا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وجَدْتَنِي

مَنِيْعاً إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمَهِ يَدِي

وَبَرْكٍ هُجُوْدٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي

بَوَادِيَهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ

عَقِيْلَةَ شَيْخٍ كَالوَبِيْلِ يَلَنْدَدِ

يَقُوْلُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيْفُ وَسَاقُهَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيَّدِ

وقَالَ أَلا مَاذَا تَرَونَ بِشَارِبٍ

شَدِيْدٌ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ

وقَالَ ذَروهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ

وإِلاَّ تَكُفُّوا قَاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ

فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا

ويُسْغَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيْفِ المُسَرْهَدِ

فَإِنْ مُتُّ فَانْعِيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ

وشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ

ولا تَجْعَلِيْنِي كَأَمْرِىءٍ لَيْسَ هَمُّهُ

كَهَمِّي ولا يُغْنِي غَنَائِي ومَشْهَدِي

بَطِيءٍ عَنْ الجُلَّى سَرِيْعٍ إِلَى الخَنَى

ذَلُولٍ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ

فَلَوْ كُنْتُ وَغْلاً فِي الرِّجَالِ لَضَرَّنِي

عَدَاوَةُ ذِي الأَصْحَابِ والمتَوَحِّدِ

وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالَ جَرَاءَتِي

عَلَيْهِمْ وإِقْدَامِي وصِدْقِي ومَحْتِدِي

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بُغُمَّةٍ

نَهَارِي ولا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ

ويَوْمٍ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ

حِفَاظاً عَلَى عَوْرَاتِهِ والتَّهَدُّدِ

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى

مَتَى تَعْتَرِكْ فِيْهِ الفَرَائِصُ تُرْعَدِ

وأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ

عَلَى النَّارِ واسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً

ويَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وَيَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ

بَتَاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

- **غراضها:** وصف الدار وآثارها، تغزُّل، وصف الأحباب وسفرهم، وصف الناقة، افتخار بالنفس، زهد بالحياة، يأس منها، حكم.
- **مميزاتها:** متينة اللفظ والأسلوب، يكثر فيها الغريب في مواضع وتسهل في مواضع، غزيرة المعنى، دقيقة الوضع والوصف إلى حد الإسهاب الممل.

هي من أجود المعلقات السبع، تمثل حياة صاحبها الخاصة ونفسيته، والمثل الأعلى في الحياة الجاهلية، وهذا مكتسب من المحيط وتقاليده.

أسهب في وصف ناقته، فأغرب في الألفاظ والمعاني لاضطراره إلى ألفاظ وضعية.

أهم ما يلفت النظر في معلقته، نظره إلى الحياة ويأسه منها، ومعرفته أنه فانٍ، فلماذا لا يتلذذ في حياته ويقابل منيَّته بكل ما يملك.

ثم يعلن رغبته في الحياة لثلاثة أسباب هي لذاته الثلاث: الحب والشرب والحرب.

وإذا تساءلنا عما جاء به طرفة من فكرة فلسفية فلا نجده جاء بالبدع، ولم يقل إلا ما يعرفه كل رجل رأى وسمع. أنصت إلى مناقشة أهل قريتك لتصدقني.

زهير بن أبي سلمي

نسبه: زهير بن أبي سلمى المزني، نشأ في غطفان، وإن كان نسبه في مزينة، فهو شاعر قيسي مضري.

- **بيته:** جلُّ أهل بيته شعراء، رجالًا ونساء، أخذ الشعر والحكمة عن خال أبيه بشامة بن الغدير أحد أشراف غطفان، كان خال أبيه بشامة هذا مقعدًا فلزمه زهير فتخلَّق بأخلاقه.

- **زهير الراوية:** كان أوس بن حَجَر شاعر مضر في زمانه، فلزمه زهير، فروى عنه الشعر، فتأثر به في عمل الشعر، ثم فاقه فأخمله.
- **المدرسة الشعرية:** رأى طه حسين بالاستنتاج من أقوال القدماء، ورأيه حق، أن رواية زهير لشعر أوس بن حجر كوَّنت مدرسة شعرية، امتازت بوصف المرئيات والمحسوسات، مؤسسها أوس بن حجر زوج أم زهير. اتبع طريقة هذه المدرسة زهير فابناه: كعب وبجير، والحطيئة الذي كان راوية زهير، والنابغة، ثم امتد بهذه المدرسة إلى جميل الذي أخذ عن الحطيئة وتأثر بطريقته، فكثيِّر الذي أخذ عن جميل وتأثر به.

إن أهم مميزات هؤلاء الشعراء المأخوذة عن أستاذهم الأكبر أوس هي:

- (١)الخيال المادي الحسي، حتى جاء شعر أوس أشبه بالتصوير منه بأي شيء آخر.
- (٢)الفن؛ أي اتخاذ الشعر صنعة وحرفة فيمحِّصه ويتعلمه صاحبه عمليًّا وينشئه بإمعان ورويَّة، ولا يقوله عفو الطبع.
- (٣)وعلى هذا النمط درج زهير في حولياته وبقية شعره، وهكذا فعل الحطيئة الذي سمَّاه الأقدمون عبد الشعر؛ لكثرة تجويده وإطالة النظر فيه.
-

- **التكسب بالشعر:** كان أشراف العرب يأنفون أن يقولوا الشعر، فهل الشعر معرَّة؟!

لا لعمري، ولكن تكسُّب بعض الشعراء به وجعلهم إياه وسيلة للارتزاق جعل نبلاء العرب يتجافونه. أما كيف نشأ التكسب بالشعر، فأقول كلمة هي رأي خاص، وهي أن ميل العرب إلى المنافسة في الجاهلية جعلهم يحملون بعض الشعراء على مدحهم، وأعطوهم مالًا لقاء هذا العمل، فشاعت الفكرة واستغلها الشعراء.

أما تكسُّب زهير بالشعر فلم يكن مبتذلًا مكروهًا، ولم يحطَّ من قدره كما حطَّ من قدر راويته الحطيئة.

- **مدحه:** قال زهير معظم شعره في مدح هرم بن سنان، وهو سيد غني توسط مع الحارث بن عوف في الإصلاح بين قبيلتي عبس وذبيان في حرب «داحس والغبراء»، ودفعا ديات القتلى من مالهما، وقد بلغت ٣٠٠٠ بعير.
- **شخصيته:** كان زهير حكيمًا طيب النفس، مؤثرًا للخير، محبًّا للسلم داعيًا إليه، ولو كانت جائزة نوبل للسلم في زمانه لأخذها واستراح من تعب الفكر.
- **شعره:** عفيف القول، وجيز اللفظ، غزير الحكمة، تهذيب كثير، لا تعقيد ولا حشو، مدح صادق، لا سخف ولا هذر في كلامه، شديد الاعتماد على الحواس في إخراج صوره الشعرية، برز في الحكمة العامة والأمثال، وقد يكون شق الطريق لمن جاءوا بعده وقالوا الحكمة في شعرهم؛ كأبي العتاهية والمتنبي والمعري.

ويتميز شعره بـ :

١. دقيق التصوير.
٢. يسير اللغة.
٣. منسجم التركيب.

معلقته

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ

بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا

مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً

وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً

فَلأْيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ

وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا

أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ

تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـهُ

وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ

وِرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَـهُ

عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّـاعِمِ المُتَنَعِّمِ

بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحْرَنَ بِسُحْرَةٍ

فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ

وَفِيْهِنَّ مَلْهَىً لِلَّطِيْفِ وَمَنْظَرٌ

أَنِيْقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

كَأَنَّ قُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ

نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ

وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

ظَهَرْنَ مِنْ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ

عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ

رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا

عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا

تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ

بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا

وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

تُعَفِّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ

يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِمُجْرِمِ

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً

وَلَمْ يَهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَمِ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيْهِمُ مِنْ تِلاَدِكُمْ

مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ

أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسَالَةً

وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ

لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ

لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً

وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا

وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ

كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِلُّ لأَهْلِهَا

قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ

لعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيّ جَرَّ عَلَيْهِمُ

بِمَا لاَ يُؤَاتِيْهِم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ

فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ

وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّقِي

عَدُوّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَمِ

فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ بُيُوتاً كَثِيرَةً

لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِلاحِ مُقَذَّفٍ

لَـهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَـمْ تُقَلَّـمِ

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقَبْ بِظُلْمِـهِ

سَرِيْعاً وَإِلاَّ يُبْدِ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ

دَعَوْا ظِمْئَهُمْ حَتَى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا

غِمَاراً تَفَرَّى بِالسِّلاحِ وَبِالدَّمِ

فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا

إِلَى كَلَأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخِّمِ

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ

دَمَ ابْنِ نَـهِيْكٍ أَوْ قَتِيْلِ المُثَلَّمِ

وَلاَ شَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ

وَلاَ وَهَبٍ مِنْهَا وَلا ابْنِ المُخَزَّمِ

فَكُـلاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَـهُ

صَحِيْحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرِمِ

لِحَـيِّ حَلالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرَهُمْ

إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

كِرَامٍ فَلاَ ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَـهُ

وَلا الجَـارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ

ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَـهُ

وَلكِنَّنِـي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ

تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ

يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ

يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـهِ

عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْـهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُـهُ

إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَـهُ

وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِـهِ

يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّـهُ

يُطِيـعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِـهِ

يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَـهُ

وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَـهُ لَم يُكَرَّمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَـةٍ

وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ

زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ

فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ

وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدنا فَعُدْتُمُ

وَمَنْ أَكْثَرَ التّسْآلَ يَوْماً سَيُحْرَمِ

موضوعها: ذكر الديار، وصف رحيل الأحباب، وصف الحرب وشؤمها، ذكر حزنه، مدح هرم والحارث، وصف زهده في الحياة وسآمته، حكم عامة.

صفتها: متينة الألفاظ والتعبير، أكثر أبياتها صور محسوسة، اعتمد عليها ليصل إلى غايته وهي المدح، ولذلك لم يبحث في معلقته بحث امرئ القيس وطرفة. ومع أن غرضه، وهو المدح، لا يمكنه من إظهار شخصيته، فقد استطاع أن يرينا شخصية إنسانية عامة النزعة في عهد لم يكن فيه أثر إلا أثر القبيلة.

انتقل إلى المدح بلا تخلص ولا حيلة، ومدح صاحبيه بطريقة قصصية، وقد أصاب؛ لأن سرد القصة الواقعية عن عمل نبيل كعملهما، هو أعظم مدح.

وبعد أن امتدح عملهما وإصلاحهما بين قبيلتين كبيرتين أخذ يعرض أمامنا صوره في تقبيح الحرب، فجاءت هذه الصور أشبه بصور السينماء الناطقة حتى لتكاد تسمعك الضوضاء.

ثم أعاد الكرَّة على صاحبيه فمدحهما حتى شبع. وبعد أن أخذ قسطًا قليلًا من الراحة وجَّه نظره إلى الإنسانية جمعاء فقال: سئمت تكاليف الحياة ... إلخ.

وفي أبياته الأخيرة هذه يتصل بطرفة من حيث النظر في الحياة.

فكلاهما لم يهتدِ إلى حل لغز الحياة إلا كما تراءى له، وبما أوحي به إليه، وبما اعتقد أنه خير حل لمعضلة الحياة والعيش.

رأى طرفة الحياة فراح يجني ثمار ملذاتها، ويلبي من دعاه إلى الجُلَّى، أما زهير فلم يفكر إلا بما أخذه عن خال أبيه المقعد، والمقعد لا يدعو إلى السيف.

لبيد بن ربيعة

- **حياته:** أبو عقيل، لبيد بن ربيعة، عامري، من قبيلة قيس، مضري. عمَّر طويلًا بدليل قوله:

ولقد سئمت من الحياة وطولها

وسؤال هذا الناس كيف لبيد

عاش في الجاهلية عيشة الشعراء الفرسان الأغنياء، قال أكثر شعره في الجاهلية. دخل الإسلام وشُغل بحفظ القرآن وتلاوته عن الشعر، ويقولون إنه لم يقل إلا بيتًا واحدًا في الإسلام، هو أحد هذين البيتين:

ما عاتب الحر الكريم كنفسه

والمرء يصلحه الجليس الصالح

أو:

الحمد لله لمَّا يأتني أجلي

حتى لبست من الإسلام سربالا

- **خصاله:** جواد، شجاع، فاتك، ورث الجود عن أبيه الملقب بربيعة المعترين، والشجاعة والفتك عن قبيلته، فعمه ملاعب الأسنة، فارس مضر.

عاش بعد فتح العراق في الكوفة عيشة وداعة وكرم، ينفق ماله على الضعفاء الجياع، حتى كان والي الكوفة يسأل الناس أن يعينوه على مروءته، وقد أرسل إليه كما يروى ١٠٠ ناقة بَكْرة؛ لأنه ألزم نفسه في الجاهلية «ألَّا تهبَّ الصَّبا إلا أطعم.» وبقي على ذلك في الإسلام.

- **أغراض شعره:** لم يقل الشعر إلا كما قاله الشعراء الفرسان، فلم يتكسب به. قاله بالفخر والفتوة والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيل. في شعره الحكمة والموعظة.
في رثائه التعزية والحكمة، وهو أحد الرثَّائين الثلاثة: المهلهل والخنساء، ويزيدهما بما يمزج به رثاءه من الحكم.

- **ديباجته:** جزل الألفاظ، فخم العبارة، دقيق المعنى، لا لغو ولا حشو، لا غرابة لفظ ولا تعقيد معنى.
-

معلقته

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنَىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقاً كَمَا ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُهَا

دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنِيسِهَا حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُهَا وَحَرَامُهَا

رُزِقَتْ مَرَابِيْعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا

مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا

فَعَلا فُرُوعُ الأَيْهُقَانِ وأَطْفَلَتْ بِالجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا

وَالعِيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلائِهَا عُوذاً تَأَجَّلُ بِالفَضَاءِ بِهَامُهَا

وَجَلا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلامُهَا

أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُهَا كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وِشَامُهَا

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَكَيْفَ سُؤَالُنَا صُمَّاً خَوَالِدَ مَا يَبِيْنُ كَلامُهَا

عَرِيَتْ وَكَانَ بِهَا الجَمِيْعُ فَأَبْكَرُوا مِنْهَا وَغُودِرَ نُؤْيُهَا وَثُمَامُهَا

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُناً تَصِرُّ خِيَامُهَا

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا

زُجَلاً كَأَنَّ نِعَاجَ تُوْضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أَرْآمُهَا

حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارَ وقَدْ نَأَتْ وتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

بِمَشَارِقِ الجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّرٍ فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا

فَصُوائِقٌ إِنْ أَيْمَنَتْ فَمَظِنَّةٌ فِيْهَا وِحَافُ القَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا

فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا

وَاحْبُ المُجَامِلَ بِالجَزِيلِ وَصَرْمُهُ بَاقٍ إِذَا ظَلَعَتْ وَزَاغَ قِوَامُهَا

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وسَنَامُهَا

فَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلالِ خِدَامُهَا

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الجَنُوبِ جَهَامُهَا

أَوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاَحَهُ طَرْدُ الفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا

يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الإِكَامِ مُسَحَّجٌ قَدْ رَابَهُ عِصْيَانُهَا وَوِحَامُهَا

بِأَحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا قَفْرَ المَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةً جَزْءاً فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا

رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مِرَّةٍ حَصِدٍ وَنُجْحُ صَرِيْمَةٍ إِبْرَامُهَا

وَرَمَى دَوَابِرَهَا السَّفَا وَتَهَيَّجَتْ رِيْحُ المَصَايِفِ سَوْمُهَا وَسِهَامُهَا

فَتَنَازَعَا سَبِطاً يَطِيْرُ ظِلالُهُ كَدُخَانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامُهَا

مَشْمُولَةٍ غُلِثَتْ بِنَابتِ عَرْفَجٍ كَدُخَانِ نَارٍ سَاطِعٍ أَسْنَامُهَا

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلاَّمُهَا

مَحْفُوفَةً وَسْطَ اليَرَاعِ يُظِلُّهَا مِنْهُ مُصَرَّعُ غَابَةٍ وَقِيَامُهَا

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا

لِمعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لا يُمَنَّ طَعَامُهَا

صَادَفْنَ منهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لاَ تَطِيشُ سِهَامُهَا

بَاَتتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ من دِيمَةٍ يُرْوِي الْخَمَائِلَ دَائِمَاً تَسْجَامُها

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

تَجْتَافُ أَصْلاً قَالِصَاً مُتَنَبِّذَاً بعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هُيَامُهَا

وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيرَةً كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا

حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلاَمُهَا

عَلِهَتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدٍ سَبْعَاً تُؤَامَاً كَامِلاً أَيَّامُهَا

حَتَّى إِذَا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ خَالِقٌ لَمْ يُبْلِهِ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا

فَتَوَجَّسَتْ رِزَّ الأَنِيسِ فَرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالأَنِيسُ سُقَامُهَا

فَغَدَتْ كِلاَ الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفَاً دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْحُتُوفِ حِمَامُهَا

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكَرِّ سُخَامُهَا

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لا أُفَرِّطُ رِيبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَّامُهَا

أَوَ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بِأَنَّنِي وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَذَّامُهَا

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

بَلْ أَنْتِ لا تَدْرِينَ كَمْ مِن لَيْلَةٍ طَلْقٍ لَذِيذٍ لَهْوُهَا وَنِدَامُهَا

قَدْ بِتُّ سَامِرَهَا وَغَايَةَ تَاجِرٍ وَافَيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدَامُهَا

أُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبٍ كَرِينَةٍ بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا

بَادَرْتُ حَاجَتَها الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ لأَعُلَّ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا

وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي فُرْطٌ وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا

فَعَلَوْتُ مُرْتَقِباً عَلَى ذِي هَبْوَةٍ حَرِجٍ إِلَى أَعْلاَمِهِنَّ قَتَامُهَا

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُهَا

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَت كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا

رَفَّعْتُهَا طَرْدَ النّعَامِ وَشَلَّهُ حَتَّى إِذَا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا

قَلِقَتْ رِحَالَتُها وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا وَابْتَلَّ مِن زَبَدِ الحَمِيمِ حِزَامُهَا

تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي وِرْدَ الْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّخُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُهَا

أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا بِمُغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الجَمِيعِ لِحَامُهَا

فَالضَّيْفُ وَالجَارُ الجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِباً أَهْضَامُهَا

تأوِي إِلى الأَطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ مِثْلِ الْبَلِيَّةِ قَالِصٍ أَهْدَامُهَا

وَيُكَلِّلُونَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ خُلُجَاً تُمَدُّ شَوَارِعَاً أَيْتَامُهَا

إِنَّا إِذَا الْتَقَتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا

وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَّامُهَا

فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

لاَ يَطْبَعُونَ وَلاَ يَبُورُ فِعَالُهُمْ إِذْ لا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلامُهَا

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلائِقَ بَيْنَنَا عَلاَّمُهَا

وَإِذَا الأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا

فَبَنَى لَنَا بَيْتَاً رَفِيعَاً سَمْكُهُ فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلامُهَا

وَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ وَالْمُرْمِلاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّيءَ حَاسِدٌ أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِئَامُهَا

- **أغراضها:** ذكر الديار، وصف الناقة، وصف نفسه لاهيًا متغزلًا، جوادًا في السلم، باسلًا مخاطرًا في الحرب.

الافتخار بنفسه وقومه ووصفهم بخير الخلال الجاهلية التي يتعشَّقها العرب، وهي تمثل الحياة ومطمح أصحابها.

- **ديباجتها:** متينة لفظًا وأسلوبًا، صلابة وفخامة، حتى في أسهل أبياتها. تشابيهها لطيفة ممتعة؛ وخصوصًا عندما يصف ناقته، وهو في كل هذا لم يعمد إلى الكذب والغلو.

والخلاصة أنه شاعر قوي يستمد قوته من صدقه وإخلاصه وإيمانه الشديد بالمثل العليا الأخلاقية البدوية التي يسمو إليها.

- **عيب:** في معلقته هفوة نحوية في هذا البيت:

تراك أمكنة إذا لم أرضها

أو يرتبطْ بعض النفوس حمامها

فلا داعي هنا لجزم يرتبط.

عمرو بن كلثوم

- **حياته:** هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي، زعيم تغلب وفارسها وشاعرها.

أمه بنت مهلهل أخي كليب. نشأ بالجزيرة الفراتية شاعرًا خطيبًا. قاد قبيلته في «أيامٍ» جمَّة كان الظفر حليفه في معظمها.

أما أيام تغلب فكانت مع أختها قبيلة بكر، إلى أن كان الصلح على يد عمرو بن هند آخر ملوك الحيرة من آل المنذر.

يقولون إنه بعد الصلح بقليل اجتمع وجوه تغلب وبكر في مجلس عمرو بن هند وتلاحوا حتى التشاتم، وإذ ذاك أنشد الحارث بن حلزة معلقته: «آذنتنا ببينها أسماء».

وبعد إنشادها خرج عمرو بن كلثوم غاضبًا من مجلس عمرو بن هند؛ لأنه رأى ميله مع البكريين.

- **شخصيته:** أبيُّ النفس، عظيم الهوس والنخوة، جريء النفس عزيزها، لا يهاب إنسانًا ولو ملكًا، لا تستطيع أن تفصل شخصيته عن قبيلته في شعره.
- **شعره:** حسن اللفظ، منسجم العبارة، واضح المعنى، رشيق الأسلوب، حافل بفخر لا يضاهى، نبيل القصد والمرمى، يقول شعره لحاجة في نفسه.

معلقته

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا

وَلاَ تُبْقِي خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَا

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيْهَا

إِذَا مَا المَاءَ خَالَطَهَا سَخِيْنَا

تَجُوْرُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ

إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِيْنَا

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيْحَ إِذَا أُمِرَّتْ

عَلَيْـهِ لِمَـالِهِ فِيْهَـا مُهِيْنَـا

صَدَدْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْـرِو

وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِيْنَـا

وَمَا شَـرُّ الثَّـلاَثَةِ أُمَّ عَمْـرِو

بِصَاحِبِكِ الذِي لاَ تَصْبَحِيْنَـا

وَكَأْسٍ قَدْ شَـرِبْتُ بِبَعْلَبَـكٍّ

وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصرِيْنَـا

وَإِنَّا سَـوْفَ تُدْرِكُنَا المَنَـايَا

مُقَـدَّرَةً لَنَـا وَمُقَـدِّرِيْنَـا

قِفِـي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِيْنَـا

نُخَبِّـرْكِ اليَقِيْـنَ وَتُخْبِرِيْنَـا

قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً

لِوَشْكِ البَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمِيْنَـا

بِيَـوْمِ كَرِيْهَةٍ ضَرْباً وَطَعنـاً

أَقَـرَّ بِـهِ مَوَالِيْـكِ العُيُوْنَـا

وَأنَّ غَداً وَأنَّ اليَـوْمَ رَهْنٌ

وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لاَ تَعْلَمِيْنَـا

تُرِيْكَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى خَـلاَءٍ

وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُوْنَ الكَاشِحِيْنَـا

ذِرَاعِـي عَيْطَلٍ أَدَمَـاءَ بِكْرٍ

هِجَـانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأ جَنِيْنَـا

وثَدْياً مِثْلَ حُقِّ العَاجِ رَخِصـاً

حَصَـاناً مِنْ أُكُفِّ اللاَمِسِيْنَـا

ومَتْنَى لَدِنَةٍ سَمَقَتْ وطَالَـتْ

رَوَادِفُهَـا تَنُـوءُ بِمَا وَلِيْنَـا

وَمأْكَمَةً يَضِيـقُ البَابُ عَنْهَـا

وكَشْحاً قَد جُنِنْتُ بِهِ جُنُونَـا

وسَارِيَتِـي بَلَنْـطٍ أَو رُخَـامٍ

يَرِنُّ خَشَـاشُ حَلِيهِمَا رَنِيْنَـا

فَمَا وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقبٍ

أَضَلَّتْـهُ فَرَجَّعتِ الحَنِيْنَـا

ولاَ شَمْطَاءُ لَم يَتْرُك شَقَاهَـا

لَهـا مِن تِسْعَـةٍ إلاَّ جَنِيْنَـا

تَذَكَّرْتُ الصِّبَا وَاشْتَقْتُ لَمَّـا

رَأَيْتُ حُمُـوْلَهَا أصُلاً حُدِيْنَـا

فَأَعْرَضَتِ اليَمَامَةُ وَاشْمَخَـرَّتْ

كَأَسْيَـافٍ بِأَيْـدِي مُصْلِتِيْنَـا

أَبَا هِنْـدٍ فَلاَ تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا

وَأَنْظِـرْنَا نُخَبِّـرْكَ اليَقِيْنَـا

بِأَنَّا نُـوْرِدُ الـرَّايَاتِ بِيْضـاً

وَنُصْـدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَـا

وَأَيَّـامٍ لَنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ

عَصَيْنَـا المَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِيْنَـا

وَسَيِّـدِ مَعْشَـرٍ قَدْ تَوَّجُـوْهُ

بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِيْنَـا

تَرَكْـنَ الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْـهِ

مُقَلَّـدَةً أَعِنَّتَهَـا صُفُـوْنَـا

وَأَنْزَلْنَا البُيُوْتَ بِذِي طُلُـوْحٍ

إِلَى الشَامَاتِ نَنْفِي المُوْعِدِيْنَـا

وَقَدْ هَرَّتْ كِلاَبُ الحَيِّ مِنَّـا

وَشَـذَّبْنَا قَتَـادَةَ مَنْ يَلِيْنَـا

مَتَى نَنْقُـلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَـا

يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَـا

يَكُـوْنُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْـدٍ

وَلُهْوَتُهَا قُضَـاعَةَ أَجْمَعِيْنَـا

نَزَلْتُـمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّـا

فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُوْنَـا

قَرَيْنَاكُـمْ فَعَجَّلْنَـا قِرَاكُـمْ

قُبَيْـلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُوْنَـا

نَعُـمُّ أُنَاسَنَـا وَنَعِفُّ عَنْـهُـمْ

وَنَحْمِـلُ عَنْـهُـمُ مَا حَمَّلُوْنَـا

نُطَـاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّـا

وَنَضْرِبُ بِالسّيُوْفِ إِذَا غُشِيْنَـا

بِسُمْـرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّـيِّ لُـدْنِ

ذَوَابِـلَ أَوْ بِبِيْـضٍ يَخْتَلِيْنَـا

كَأَنَّ جَمَـاجِمَ الأَبْطَالِ فِيْهَـا

وُسُـوْقٌ بِالأَمَاعِـزِ يَرْتَمِيْنَـا

نَشُـقُّ بِهَا رُؤُوْسَ القَوْمِ شَقًّـا

وَنَخْتَلِـبُ الرِّقَـابَ فَتَخْتَلِيْنَـا

وَإِنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَبْـدُو

عَلَيْـكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِيْنَـا

وَرِثْنَـا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَـدٌّ

نُطَـاعِنُ دُوْنَهُ حَـتَّى يَبِيْنَـا

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الحَيِّ خَـرَّتْ

عَنِ الأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِيْنَـا

نَجُـذُّ رُؤُوْسَهُمْ فِي غَيْرِ بِـرِّ

فَمَـا يَـدْرُوْنَ مَاذَا يَتَّقُوْنَـا

كَأَنَّ سُيُـوْفَنَا منَّـا ومنْهُـم

مَخَـارِيْقٌ بِأَيْـدِي لاَعِبِيْنَـا

كَـأَنَّ ثِيَابَنَـا مِنَّـا وَمِنْهُـمْ

خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانِ أَوْ طُلِيْنَـا

إِذَا مَا عَيَّ بِالإِسْنَـافِ حَـيٌّ

مِنَ الهَـوْلِ المُشَبَّهِ أَنْ يَكُوْنَـا

نَصَبْنَـا مِثْلَ رَهْوَةِ ذَاتَ حَـدٍّ

مُحَافَظَـةً وَكُنَّا السَّابِقِيْنَـا

بِشُبَّـانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً

وَشِيْـبٍ فِي الحُرُوْبِ مُجَرَّبِيْنَـا

حُـدَيَّا النَّـاسِ كُلِّهِمُ جَمِيْعـاً

مُقَـارَعَةً بَنِيْـهِمْ عَـنْ بَنِيْنَـا

فَأَمَّا يَـوْمَ خَشْيَتِنَـا عَلَيْهِـمْ

فَتُصْبِـحُ خَيْلُنَـا عُصَباً ثُبِيْنَـا

وَأَمَّا يَـوْمَ لاَ نَخْشَـى عَلَيْهِـمْ

فَنُمْعِـنُ غَـارَةً مُتَلَبِّبِيْنَـا

بِـرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشْمٍ بِنْ بَكْرِ

نَـذُقُّ بِهِ السُّـهُوْلَةَ وَالحُزُوْنَـا

أَلاَ لاَ يَعْلَـمُ الأَقْـوَامُ أَنَّـا

تَضَعْضَعْنَـا وَأَنَّـا قَـدْ وَنِيْنَـا

أَلاَ لاَ يَجْهَلَـنَّ أَحَـدٌ عَلَيْنَـا

فَنَجْهَـلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَـا

بِأَيِّ مَشِيْئَـةٍ عَمْـرُو بْنَ هِنْـدٍ

نَكُـوْنُ لِقَيْلِكُـمْ فِيْهَا قَطِيْنَـا

بِأَيِّ مَشِيْئَـةٍ عَمْـرَو بْنَ هِنْـدٍ

تُطِيْـعُ بِنَا الوُشَـاةَ وَتَزْدَرِيْنَـا

تَـهَـدَّدُنَـا وَتُوْعِـدُنَا رُوَيْـداً

مَتَـى كُـنَّا لأُمِّـكَ مَقْتَوِيْنَـا

فَإِنَّ قَنَاتَنَـا يَا عَمْـرُو أَعْيَـتْ

عَلى الأَعْـدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِيْنَـا

إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَـأَزَّتْ

وَوَلَّتْـهُ عَشَـوْزَنَةً زَبُـوْنَـا

عَشَـوْزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّـت

تَشُـجُّ قَفَا المُثَقِّـفِ وَالجَبِيْنَـا

فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمٍ بِنْ بَكْـرٍ

بِنَقْـصٍ فِي خُطُـوْبِ الأَوَّلِيْنَـا

وَرِثْنَـا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بِنْ سَيْـفٍ

أَبَـاحَ لَنَا حُصُوْنَ المَجْدِ دِيْنَـا

وَرَثْـتُ مُهَلْهِـلاً وَالخَيْرَ مِنْـهُ

زُهَيْـراً نِعْمَ ذُخْـرُ الذَّاخِرِيْنَـا

وَعَتَّـاباً وَكُلْثُـوْماً جَمِيْعـاً

بِهِـمْ نِلْنَـا تُرَاثَ الأَكْرَمِيْنَـا

وَذَا البُـرَةِ الذِي حُدِّثْتَ عَنْـهُ

بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي المُلتَجِينَـا

وَمِنَّـا قَبْلَـهُ السَّاعِي كُلَيْـبٌ

فَـأَيُّ المَجْـدِ إلاَّ قَـدْ وَلِيْنَـا

مَتَـى نَعْقِد قَرِيْنَتَنَـا بِحَبْلٍ

تَجُـذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقْصِ القَرِيْنَـا

وَنُوْجَـدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَـاراً

وَأَوْفَاهُـمْ إِذَا عَقَـدُوا يَمِيْنَـا

وَنَحْنُ غَدَاةَ أَوْقِدَ فِي خَـزَازَى

رَفَـدْنَا فَـوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَـا

وَنَحْنُ الحَابِسُوْنَ بِذِي أَرَاطَـى

تَسَـفُّ الجِلَّـةُ الخُوْرُ الدَّرِيْنَـا

وَنَحْنُ الحَاكِمُـوْنَ إِذَا أُطِعْنَـا

وَنَحْنُ العَازِمُـوْنَ إِذَا عُصِيْنَـا

وَنَحْنُ التَّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَـا

وَنَحْنُ الآخِـذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَـا

وَكُنَّـا الأَيْمَنِيْـنَ إِذَا التَقَيْنَـا

وَكَـانَ الأَيْسَـرِيْنَ بَنُو أَبِيْنَـا

فَصَالُـوا صَـوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْهِـمْ

وَصُلْنَـا صَـوْلَةً فِيْمَنْ يَلِيْنَـا

فَـآبُوا بِالنِّـهَابِ وَبِالسَّبَايَـا

وَأُبْنَا بِالمُلُـوْكِ مُصَفَّدِيْنَــا

إِلَيْكُـمْ يَا بَنِي بَكْـرٍ إِلَيْكُـمْ

أَلَمَّـا تَعْرِفُوا مِنَّـا اليَقِيْنَـا

أَلَمَّـا تَعْلَمُـوا مِنَّا وَمِنْكُـمْ

كَتَـائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِيْنَـا

عَلَيْنَا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَمَانِـي

وَأسْيَـافٌ يَقُمْـنَ وَيَنْحَنِيْنَـا

عَلَيْنَـا كُـلُّ سَابِغَـةٍ دِلاَصٍ

تَرَى فَوْقَ النِّطَاقِ لَهَا غُضُوْنَـا

إِذَا وَضِعَتْ عَنِ الأَبْطَالِ يَوْمـاً

رَأَيْـتَ لَهَا جُلُوْدَ القَوْمِ جُوْنَـا

كَأَنَّ غُضُـوْنَـهُنَّ مُتُوْنُ غُـدْرٍ

تُصَفِّقُهَـا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَـا

وَتَحْمِلُنَـا غَدَاةَ الرَّوْعِ جُـرْدٌ

عُـرِفْنَ لَنَا نَقَـائِذَ وَافْتُلِيْنَـا

وَرَدْنَ دَوَارِعاً وَخَرَجْنَ شُعْثـاً

كَأَمْثَـالِ الرِّصَائِـعِ قَدْ بَلَيْنَـا

وَرِثْنَـاهُنَّ عَنْ آبَـاءِ صِـدْقٍ

وَنُـوْرِثُهَـا إِذَا مُتْنَـا بَنِيْنَـا

عَلَـى آثَارِنَا بِيْـضٌ حِسَـانٌ

نُحَـاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُوْنَـا

أَخَـذْنَ عَلَى بُعُوْلَتِهِنَّ عَهْداً

إِذَا لاَقَوْا كَتَـائِبَ مُعْلِمِيْنَـا

لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاساً وَبِيْضاً

وَأَسْرَى فِي الحَدِيْدِ مُقَرَّنِيْنَـا

تَـرَانَا بَارِزِيْـنَ وَكُلُّ حَـيٍّ

قَدْ اتَّخَـذُوا مَخَافَتَنَا قَرِيْنَـاً

إِذَا مَا رُحْـنَ يَمْشِيْنَ الهُوَيْنَـا

كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُوْنُ الشَّارِبِيْنَـا

يَقُتْـنَ جِيَـادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُـمْ

بُعُوْلَتَنَـا إِذَا لَـمْ تَمْنَعُوْنَـا

ظَعَائِنَ مِنْ بَنِي جُشَمِ بِنْ بِكْرٍ

خَلَطْنَ بِمِيْسَمٍ حَسَباً وَدِيْنَـا

وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَـرْبٍ

تَـرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلِيْنَـا

كَـأَنَّا وَالسُّـيُوْفُ مُسَلَّـلاَتٌ

وَلَـدْنَا النَّـاسَ طُرّاً أَجْمَعِيْنَـا

يُدَهْدِهنَ الرُّؤُوسِ كَمَا تُدَهْـدَي

حَـزَاوِرَةٌ بِأَبطَحِـهَا الكُرِيْنَـا

وَقَـدْ عَلِمَ القَبَـائِلُ مِنْ مَعَدٍّ

إِذَا قُبَـبٌ بِأَبطَحِـهَا بُنِيْنَـا

بِأَنَّـا المُطْعِمُـوْنَ إِذَا قَدَرْنَـا

وَأَنَّـا المُهْلِكُـوْنَ إِذَا ابْتُلِيْنَـا

وَأَنَّـا النَّـازِلُوْنَ بِحَيْثُ شِيْنَـا

وَأَنَّـا التَـارِكُوْنَ إِذَا سَخِطْنَـا

وَأَنَّـا الآخِـذُوْنَ إِذَا رَضِيْنَـا

وَأَنَّـا العَاصِمُـوْنَ إِذَا أُطِعْنَـا

وَأَنَّـا العَازِمُـوْنَ إِذَا عُصِيْنَـا

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْـواً

وَيَشْـرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِيْنَـا

أَلاَ أَبْلِـغْ بَنِي الطَّمَّـاحِ عَنَّـا

وَدُعْمِيًّـا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُوْنَـا

إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفـاً

أَبَيْنَـا أَنْ نُقِـرَّ الـذُّلَّ فِيْنَـا

مَـلأْنَا البَـرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّـا

وَظَهرَ البَحْـرِ نَمْلَـؤُهُ سَفِيْنَـا

إِذَا بَلَـغَ الفِطَـامَ لَنَا صَبِـيٌّ

تَخِـرُّ لَهُ الجَبَـابِرُ سَاجِدِيْنَـا

أغراضها: غزلية خمرية، قصصية؛ أي إنه يصف حادثته مع عمرو بن هند عندما حاول استخدام أمه، حماسية فخرية بالنفس والقوم، فيها شيء من ملامح الملاحم.

- **ديباجتها:** كما جاء في وصف شعره، لا غرابة فيها، اتفاق تام بين أغراضها وألفاظها ومعانيها، رنانة طنانة.

محاسنها

- (١)

نفس شعري متصل من المطلع حتى ختامها الجميل.

- (٢)

مملوءة عاطفة وشاعرية.

- (٣)

شعرها سليقي فطري لا تكلف فيه.

- (٤)

حافلة بالطلاوة والرونق والمتانة إلى جانب الحمية والزهو والحماسة.

- (٥)

جاء فيها على موضوعات شتى جمعها في موضوع واحد وهو هذه القصيدة.

- (٦)

فيها محسنات الشعر اللفظية كالتشابيه والاستعارات المطابقة للواقع.

- (٧)

إفناء شخصيته في شخصية قبيلته، فكأن القصيدة قبيلة تتكلم لا سيدها وزعيمها. وهذا يدلنا على زعامته الحقيقية في رهطه، فكأنه يعتبر قبيلته شخصيته نفسها.

- (٨)

إننا نسميها بحق «أنشودة الشباب»؛ لانطباقها على ميوله وأهوائه.

عيوبها

- (١)

ترديد بعض الأفكار ومراجعتها.

- (٢)

تنسيقها غير واضح.

- (٣)

ضعف الارتباط ما بين أغراضها.

- (٤)

غلو زائد، على غير ما ألفناه من شعراء الجاهلية، إنما يصيِّره مقبولًا حسن الابتكار، وتوطِّئ له الحماسة.

- **مدرسة أخرى:** المهلهل وامرؤ القيس وعمرو بن كلثوم مدرسة واحدة، منشؤها المهلهل ولم يخرج عن منهاجها عمرو بن كلثوم، وإن اختلف عنها امرؤ القيس في معلقته كما خرج المهلهل «بالداهية» التي عدها صاحب جمهرة العرب من المنتقيات.

وللوراثة عملها في هذه المدرسة، فهؤلاء الشعراء من سلالة واحدة.

النابغة الذبياني

النابغة الذبياني (؟؟؟ –١٨ ق.هـ/؟؟؟ –٦٠٥ م)، هو شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة.

كان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه.

شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمراً طويلاً. له قصيدة يعدها البعض من المعلقات.

نسبه:

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني، المضري. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، ينتهي نسبه كما قال التبريزي إلى قيس بن عيلان، ويكنى بأبي أمامة، وقيل بأبي ثمامة، كما هو وارد في "الشعر والشعراء"، وبأبي عقرب على ما يذهب إليه البغدادي في خزانة الأدب.

لقبه

والنابغة لقب غلب على الشاعر، اختلف النقاد في تعليله وتفسيره، أما ابن قتيبة فيذكر أنه لقب بالنّابغة لقوله:

وحلّت في بني القين بن جسر – فقد نبغت لهم منا شؤون

وردّ ابن قتيبة هذا اللقب إلى قولهم: "ونبغ– بالشعر – قاله بعد ما احتنك وهلك قبل أن يهتر". وفي رأي البغدادي، أن هذا اللقب لحقه لأنه لم ينظم الشعر حتى أصبح رجلاً. وربّما كان اللقب مجازاً، على حدّ قول العرب: نبغت الحمامة، إذا أرسلت صوتها في الغناء، ونبغ الماء إذا غزر. فقيل: نبغ الشاعر، والشاعر نابغة، إذا غزرت مادة شعره وكثرت.

نشأة الشاعر

ولا يعرف شيئاً يذكر عن نشأة الشاعر قبل اتصاله بالبلاط، فيما خلا ما نقله صاحب الروائع عن المستشرق دي برسفال، من مزاحمة النّابغة لحاتم الطائيّ على ماوية، وإخفاقه في ذلك.

ويذكر ابن قتيبة أن النّابغة كان شريفاً فغضّ الشعر منه، ويرى صاحب أدباء العرب أن النّابغة من سادات قومه، ويخالف هذا الاتجاه حين يقول: نشأ النّابغة في الوسط من قومه، لا في الذروة من الشرف. ويقول آخرون: ولا معنى لقول الرواة: أنه أحد الأشراف الذين غضّ الشعر منهم.

والنابغة من سادات قومه، لما كان للشعراء من منزلة في الجاهلية وللدور الذي لعبه في توسطه لقومه عند الغساسنة ومنعهم من حربهم، في مواقف عديدة. أما لماذا "غضّ الشعر منه" فزعم لا يقبله النقد الحديث، فقد كان النّابغة معزّزاً عند الملوك، ومكرماً في قومه، وإنما هو حسد الحاسدين الذين لم يقووا على الارتفاع إلى منزلة الشاعر، فراحوا يعيّرونه لتكسبه بالشعر، وربّما قصد بتلك الغضاضة هروبه من بلاط النعمان إثر حادثة "المتجردة".

علاقته بالحكام

كان أول اتصال النّابغة ببلاط الحيرة، دخوله على المنذر الثالث ابن ماء السماء في أواخر ملكه على ما يرجّح النقاد. ومع اندحار اللخميين أمام المناذرة في معركة يوم حليمة التي دارت بين جيش المنذر الثالث وجيش الحارث بن جبلة الغسّاني، فقد ظل النّابغة وطيد الصلة بالمناذرة إذ هنأ عمرو بن هند حين ارتقى العرش بعد أبيه. ولكن علاقة الشاعر بالمناذرة انقطعت بعد ذاك ولا سيما في الفترة بين (٥٧٠– ٥٨٠)، وهي الفترة التي مثّل فيها دور الشاعر السياسي، لاهتمامه آنذاك بحوادث حرب السباق. ومن الطبيعي أن يمثل النّابغة في حرب "السباق" دوراً له شأنه، وهو شاعر ذبيان الرفيع المكانة.

اتصال النابغة بالغساسنة

وعندما رقي النعمان الثالث، أبو قابوس عرش الحيرة، أراد أن يظهر بمظهر الملك العزيز الجانب وينافس أعداءه الغسانيين بمظاهر العظمة. وكان النعمان على ما يظهر محباً للأدب أو كان يدرك على الأقل ما

للشعر من أثر كبير في الدعاية للبلاط وتصويره بصورة الفخامة، وهكذا اجتمع في بلاطه جملة من الشعراء كان النّابغة أبرزهم وقد ترك آنذاك الغساسنة وعاد إلى الحيرة.

علاقته بالنعمان

وتتفق روايات المؤرخين على أن النّابغة نال حظوة كبيرة عند النعمان الذي قرّبه إليه بعد أن أحسن وفادته. ولا شك أن الشاعر نزل من نفس الملك منزلة طيبة فآثره هذا بأجزل عطاياه وأوفر نعمه، مما لم ينله شاعر قبله، ويذكر أبو الفرج في أغانيه أن النّابغة كان يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب. وعن ابن قتيبة عن ابن الكلبي الرواية الآتية التي تثبت مكانة الشاعر عند النعمان. قال حسان بن ثابت: رحلت النعمان فلقيت رجلاً فقال: أين تريد فقلت هذا الملك قال: فإنك إذا جئته متروك شهراً، ثم يسأل عنك رأس الشهر ثم أنت متروك شهراً آخر ثم عسى أن يأذن لك فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه، وإن رأيت أبا أمامة النّابغة فاظعن، فإنه لا شيء لك. قال: فقدمت عليه، ففعل بي ما قال، ثم خلوت به وأصبت منه مالاً كثيراً ونادمته فبينما أنا معه في قبة إذ جاء رجل يرجز. فقال النعمان: أبو أمامة فأذنوا له، فدخل فحيا وشرب معه، ووردت النعم السود، فلما أنشد النابغة قوله:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكب– إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

دفع إليه مائة ناقة من الإبل السود، فيها رعاؤها، فما حسدت أحداً حسدي النّابغة لما رأيت من جزيل عطيته، وسمعت من فضل شعره. واستبد النابغة بمودة الملك النعمان وجزيل عطائه وسابغ نعمه، فلا عجب أن يثير هذا حفيظة الشعراء ليعملوا على إفساد علاقته ببلاط الحيرة. ومهما يكن من أمر فإن الدسيسة قد نجحت بعد لأي، وبات الشاعر مهدداً بدمه وحياته، لكنّ حاجب أبي قابوس عصام بن شهبر الجرمي– وكان بينه وبين النّابغة إخاء وصداقة– حذّره من غضب النعمان، ونصحه بترك البلاط، فاضطر النّابغة إلى الفرار، فلجأ إلى الغساسنة، وفي نفسه حسرة، وغيظ، وأمل في العودة. يذكر ابن قتيبة، أن الرواة اختلفوا في السبب الذي حمل الملك النعمان على أن ينذر دم شاعره، على أننا نستطيع أن نحيط بأبرز الدوافع التي أوقعت الجفاء بين أبي قابوس والنابغة.

وذكر قوم أن النابغة هجا الملك بقوله:

قبّح الله ثم ثنّى بلعن– وارثَ الصائغ الجبانَ الجهولا

اتصال النابغة بالمناذرة

ويقال بأن السبب في مفارقة النّابغة النعمان، ومصيره إلى غسّان، خبر يتصل بحادثة المتجردة. والمتجردة هذه، امرأة النعمان، وكانت فائقة الحسن، بارعة الجمال، وكان النعمان على ما يروى قصيراً دميماً أبرش. وقد تعددت الروايات حول وصف النابغة للمتجردة. قيل بأن النابغة دخل على النعمان، ذات يوم، فرأى

زوجته المتجردة وقد سقط نصيفها فاستترت منه بيدها. فأمره النعمان بأن يصفها له فأنشأ قصيدته التي يقول فيها:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه– فتناولتْه واتّقتنا باليدِ

وأردف ابن قتيبة يقول: وكان للنعمان نديم يقال له المنخّل اليشكري يتهمِ بالمتجردة ويظن بولد النعمان منها أنهم منه، وكان المنخّل جميلاً، وكان النعمان قصيراً دميماً، فلما سمع المنخل هذا الشعر، قال للنعمان: ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرّب. فوقر ذلك في نفسه، وبلغ النابغة ذلك فخافه فهرب إلى غسان. ولعلّ اتصال النابغة بالغساسنة، أعداء المناذرة، كان سبباً آخر من أسباب حقد الملك على الشاعر، ولا مسوّغ هنا للتفصيل ومناقشة هذه الآراء. وأقام النابغة في بلاط الغساسنة، منقطعاً إلى عمرو بن الحارث الأصغر وإلى أخيه النعمان بن الحارث، وقد امتدح هؤلاء بقصائد عديدة، منها القصيدة البائية التي قالها في مدح عمرو بن الحارث الأصغر والتي مطلعها:

كليني لهمّ يا أميمة ناصب– وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وبقي النابغة عند الغساسنة مدة من الزمن، ينشدهم شعره، ويشاركهم في محافلهم ومجالسهم، جاهداً في ذكر مفاخرهم وانتصاراتهم، إلى أن توفرت أسباب عودته إلى بلاط النعمان فترك جوارهم. وذكر ابن قتيبة أن النعمان قد غمّه امتداح النابغة للغساسنة أعدائه وأيقن أن الذي قذف به عنده باطل، فبعث يستقدمه إليه من جديد بقوله: "إنك صرت إلى قوم قتلوا جدّي فأقمت فيهم تمدحهم، ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن إن كنا أردنا بك ما ظننت، وسأله أن يعود إليه". هكذا نظم النابغة اعتذارياته، ثم جاء أبا قابوس مع رجلين من فزارة هما: زيّان بن سيار ومنظور بن سيّار الفزاريين وبينهما وبين النعمان مودة وصفاء وكان الملك قد ضرب لهما قبة، وهو لا يعلم أن النابغة معهما. وقد أشار النابغة على إحدى القيان أن تغني أبياتاً من قصيدته "يا دار مية" ومنها قوله:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني– ولا قرار على زأر من الأسد

فلما سمع الملك النعمان، هذا الشعر قال: هذا شعر علوي، هذا شعر النابغة. وسأل عنه، فأخبر مع صديقيه الفزاريين، اللذين كلّماه فيه، فأمّنه النعمان. ومهما يكن من أمر الاختلاف حول أسباب عودة النابغة إلى بلاط الحيرة، فإن الشاعر استرجع مكانته عند الملك النعمان واستأنف مدائحه فيه.

معلقته:

يا دارَ ميَّةَ بالعَلياءِ فالسَّندِ

أقوَت وطالَ عليها سالِفُ الأبَدِ

وقفتُ بها أصَيلاً كي أُسائلَها

عيَّت جَواباً وما بالرَّبع من أحدِ

إلاّ الأَوارِيَّ لَأياً ما أبيّنُها

والنُؤيَ كالحوضِ بالمظلومةِ الجلَدِ

رَدّت عليهِ أقاسيهِ ولَبَّدَهُ

ضَربُ الوَليدَةِ بالمِسحاةِ في الثَّأَدِ

خَلَّتْ سَبيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحْبِسُهُ

ورفَّعَتهُ إلى السَّجفَين، فالنَّضَد

أَمْستْ خَلاءً، وأَمسَى أَهلُها احتَمَلُوا

أَخْنى عَليها الّذي أَخْنى على لُبَدِ

فَعَدِّ عَمَّا ترى، إذ لا ارتجاعَ لهُ

وانْمِ القُتُودَ على عيْرانَةٍ أُجُدِ

مَقذوفَةٍ بِدَخيسِ النَّحضِ، بازِلُها

له صريفٌ، صَريفُ القَعْوِ بالمَسَدِ

كأَنَّ رَحْلي، وقدْ زالَ النَّهارُ بنا

يومَ الجليلِ، على مُستأنِسٍ وحِدِ

مِنْ وَحشِ وَجْرَةَ، مَوْشِيٍّ أَكارِعُهُ

طاوي المصيرِ، كسيفِ الصَّيقل الفَرَدِ

سَرتْ عليهِ، مِنَ الجَوزاءِ، ساريَةُ

تَزجِي الشَّمَالُ عليهِ جامدَ البَرَدِ

فارتاعَ مِنْ صَوتِ كَلَّابٍ، فَبَاتَ لَهُ

طَوعَ الشَّوَامتِ منْ خوفٍ ومنْ صَرَدِ

فبَهُنَّ عليهِ، واستَمَرَّ بهِ

صُمْع الكُعُوبِ بَريئاتٌ منَ الحَرَدِ

وكانَ ضُمْرانُ مِنهُ حَيثُ يُوزِعُهُ

طَعْنَ المُعارِكِ عندَ المُحْجَرِ النَّجُدِ

شَكَّ الفَريصةَ بالمِدْرَى، فأنفذها

طَعْنَ المُبَيطِرِ، إذْ يَشفي من العضَدِ

كأَنَّه، خارجا منْ جنب صَفْحَتِهِ

سَفّودُ شِرْبٍ نَسُوهُ عندَ مُفْتَأَدِ

فَظلّ يَعْجُمُ أَعلى الرَّوْقِ، مُنقبضاً

في حالِكِ اللّونِ صَدْقٍ، غَيرِ ذي أَوَدِ

لَمَّا رَأَى واشِقٌ إِقعَاصَ صاحِبِهِ

ولا سَبيلَ إلى عَقْلٍ، ولا قَوَدِ

قالتْ لهُ النَّفسُ: إنّي لا أَرَى طَمَعاً

وإنَّ مولاكَ لَمْ نَسلَمْ، ولَمْ يَصِدِ

فتلكَ تُبْلغُني النُّعمانَ، إنَّ لهُ فَضلاً

على النّاس في الأَدنى، وفي البَعَدِ

ولا أَرى فاعِلاً، في النّاس، يُشبهُهُ

ولا أُحاشي، منَ الأَقوامِ، من أحدِ

إلَّا سُليمانَ، إذْ قالَ الإلهُ لهُ

قُمْ في البَريَّة، فاحْدُدْها عنِ الفَنَدِ

وخيّسِ الجنّ! إنّي قدْ أَذنتُ لهم

يبنونَ تدْمُرَ بالصُّفّاحِ والعمدِ

فمن أطاعكَ، فانفعهُ بطاعتهِ

كما أطاعكَ، وادلُلهُ على الرَّشَدِ

ومن عصاكَ، فعاقبهُ معاقبةً

تنهى اللظَّلومَ، ولا تقعد على ضَمَدِ

إلَّا لمثلكَ، أو من أنت سابقُهُ

سَبقَ الجوادِ، إذا اشتولى على الأَمَدِ

أعطى لفارهةٍ، حُلوٍ توابعها

من المواهبِ لا تُعطى على نَكَدِ

الواهِبُ المائَةِ المَعْكاءِ، زَيَّنها

سَعدانُ تُضِحَ في أَوبارِها اللِّبَدِ

والأُدمَ قدْ خُيِّستْ فُتلاَ مَرافِقُها

مشدودةً برحالِ الحيرةِ الجُدُدِ

والرَّاكضاتِ ذُيولَ الرّيْطِ، فانَقَها

بَرْدُ الهواجرِ، كالغِزْلانِ بالجَرَدِ

والخيلَ تمزَعُ غرباً في أعِنَّتها كالطَّيرِ

تنجو من الشّؤبوبِ ذي البَرَدِ

احكُمْ كحُكمِ فتاةِ الحيِّ، إذْ نظرَت

إلى حَمامِ شِراعٍ، وارِدِ الثَّمَدِ

يَحُفّهُ جانبا نيقٍ، وتُتْبِعُهُ

مِثلَ الزُّجاجةِ، لم تُكحَل من الرَّمَدِ

قالت: ألا ليتما هذا الحمامُ لنا

إلى حمامتنا ونصفُهُ، فَقَدِ

فحَسَّبوهُ، فألفوهُ، كما حَسَبَتْ

تِسعاً وتسعينَ لم تَنقُصْ ولم تَزِدِ

فكمَّلَتْ مائَةً فيها حَمامَتُها

وأسرعت حِسبةً في ذلك العَددِ

فلا لَعمرُ الذي مسَّحتُ كعبَتَهُ وما

هُريقَ، على الأَنصابِ، من جَسَدِ

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ، تمسحُها

رُكبانُ مكَّةَ بينَ الغيْلِ والسَّعَدِ

ما قُلتُ من سيّءٍ ممّا أُتيتَ بهِ

إذاً فلا رفَعَتْ سوطي إليَّ يدي

إلاّ مَقالة أقوامٍ شقيتُ بها

كانتْ مقالَتُهُم قرعاً على الكبِدِ

إذاً فعاقَبَني ربّي مُعاقَبةً

قَرَّتْ بها عينُ من يأبيكَ بالفَنَدِ

أُنبئتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعدّني

ولا قَرارَ على زأرٍ من الأسَدِ

مهلاً، فداءٌ لك الأقوامُ كلّهُمُ

وما أُثَمّرُ من مالٍ ومن ولدِ

لا تقْذِفَنّي بُركْنٍ لا كِفاءَ له

وإن تأثّقَكَ الأعداءُ بالرّفَدِ

فَما الفُراتُ إذا هبَّ الرّياحُ له

ترمي أواذيُّهُ العِبْرينِ بالزَّبدِ

يمُدّهُ كلّ وادٍ مُتْرَعٍ، لجبٍ

فيه رِكامٌ من الينبوبِ والخَضَدِ

يظلُّ من خوفِهِ، الملاَّحُ مُعتَصِماً

بالخَيزُرانَة، بعد الأينِ والنَّجَدِ

يوماً، بأجوَدَ منهُ سيْبَ نافِلَةٍ

ولا يَحولُ عطاءُ اليومِ دونَ غدِ

هذا الثَّناءُ، فإنْ تسمع به حَسَناً

فلمْ أُعرِّض، أبَيتَ اللّعنَ، بالصَّفدِ

ها إنَّ ذي عِذرَة إلَّا تكن نَفَعَتْ

فإنَّ صاحبها مشاركُ النَّكَدِ

شعره

ولما كان للشعر، منزلته في نفوس القوم، ومكانته في مواطن المنافرة والخصومة إذ من شأنه أن يكسب القبيلة من القوة ومنعة الجانب، ما لا تظفر به في قتال، رأينا النّابغة الذبياني، يهتم في ظروف هذه الحرب، بأمور قومه فراح يخوض غمارها بشعره، لا بسيفه فكشف لنا بذلك عن جانب حيّ من شاعريته، وناحية رئيسة من شخصيته.

كان همّ الشاعر في تلك الرحى الدائرة، أن يرجّح كفة ذبيان، على عبس فاستهدف في شعره "السياسي": اصطناع الأحلاف لقبيلته، من أحياء العرب ومن بينها بنو أسد. وكما مثّل النّابغة دور الشاعر السياسي، في ظروف حرب داحس والغبراء فقد مثّل دور شاعر القبيلة، في التوسط لقومه عند الغساسنة في أكثر من موقف: كانت بعض القبائل العربية، تنتهز فرصة انشغال الغساسنة في حربهم ضد المناذرة، فتغير على أرض غسّان طمعاً في الغنيمة، ومن بين هذه القبائل، قوم الشاعر بنو ذبيان.

وكان الغساسنة بكتائبهم، يوقعون بهؤلاء المغيرين، فيأسرون رجالاً منهم وكثيراً ما وقع رجال من فزارة أقرباء ذبيان، في قبضة الغساسنة، فكان النابغة بما له من مكانة عند أمراء الغساسنة، يتلطّف في الشفاعة لهم، ويتوسط للعفو عنهم.

آراء حول الشاعر:

اجتمعت كلمة النقاد على أن النابغة أحد شعراء الطبقة الأولى إن لم يكن رأس هذه الطبقة بعد امرئ القيس، وليس أدلّ على علو منزلته من ترأسه سوق عكاظ وفي ذلك يقول الأصمعي: كان النابغة يضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. ومما روي عن أبي عبيدة قوله: يقول من فضّل النابغة على جميع الشعراء: هو أوضحهم كلاماً وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم مطالع ولشعره ديباجة. وذكر أبو عبيدة أيضاً أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقول: "كان الأخطل يشبّه بالنابغة". وعن أبي قتيبة، قال الشعبي: دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس فقال: أنا، فأظلم ما بيني وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين فتعجب عبد الملك من عجلتي فقال: هذا الأخطل، فقلت أشعر منه الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه- مستقبل الخير سريع التمّام

فقال الأخطل: صدق أمير المؤمنين، النابغة أشعر مني، فقال عبد الملك: ما تقول في النابغة قلت قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرّة. ولم تكن منزلة النابغة عند المحدثين بأقل منها عند الأقدمين فقد شهد كثيرون منهم بما في شعره من إيقاع موسيقي، وروعة في التشبيه، وبراعة في أغراض الشعر المتباينة ولا سيما في الوصف والمدح والاعتذار، وفي ديوانه من هذه الفنون العديد من القصائد الدالة على نبوغه وشاعريته، في مخاطبة الملوك وكسب مودّتهم والاعتذار إليهم حتى قيل "وأشعر الناس النابغة إذا رهب"، وقال عنه بديع الزمان الهمذاني: والنابغة "لا يرمي إلا صائباً".

وفي طليعة العوامل التي أسهمت في تفوق شاعرية أبي أمامة في ضروب المعاني ومختلف الأساليب، رجاحة فكره، إذ كان ذا بصيرة بمواطن الكلام، متميزاً بنظرته الثاقبة والقدرة على الملاءمة بين الأقوال والمواقف، يحسن بباعث الموهبة والذائقة التي صقلتها الدربة والمراس، الملاءمة بين ركني المقال أي بين الصورة والجوهر، فهو يؤدي الدلالات دقيقة لأنه يجيد انتقاء الألفاظ الدالة ووضعها في مواضعها الصحيحة في سياقه الشعري العام.

ولعلّ السمة اللافتة في شعره ذاك التأثر بالظروف المكانية والزمانية الذي حمله على أن يضفي على فنونه طابعاً من الواقعية مستمداً من البيئة البدوية أو الحضرية، فهو جزل شديد الأسر في أوصافه الصحراوية، رقيق عذب واضح العبارة بعيد عن الخشونة ممعن في السهولة، في وصف حالات الوجدان، وفي أداء الخواطر أو إرسال الحكم، إلا إذا اقتضت البلاغة الإبقاء على لفظة غير فصيحة لكنها دالة، كلفظة الشعثِ في قوله:

ولستَ بِمُسْتبْق أخا لا تلمّه على شَعَثِ.

عنترة بن شداد العبسي

- **نسبه:** عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، من الشعراء الفرسان، أحد أغربة الجاهلية؛ وهم: خفاف بن ندبة، وأبو عمر بن الحباب، وسليك بن السلكة. أبوه سيد عبسي، وأمُّه أمةٌ حبشية. نشأ عبدًا كعادة العرب في أبناء الإماء، وقد حررته شجاعته كما يروي لنا الرواة. كان بطل حرب داحس والغبراء، ومات بعد أن عمَّر طويلًا.

في شعر عنترة إشارة إلى كل ما يرويه الرواة عنه، ولهذا يُشك في صحة نسبة كل هذا الشعر إليه، فهو يخبرنا في هذا الشعر عن عبوديته وعن فروسيته وعن سواده.

إننا إلى الشك أميل في هذا الشعر، فهو موضوع مع القصة المعروفة باسم «عنترة»، والقصة من إنتاج أقلام القرن الرابع كما سنتكلم عن ذلك حين ندرس القصة في الأدب العربي.

- **شعره:** سهل اللفظ بالنسبة للجاهليين، منسجم التركيب فخم، رنان الأسلوب، بعيد عن الكلام الوحشي، جليل الوصف، رقيق الغزل عفيفه، وقد قيل إن النبي ﷺ قال: «ما ذكر لي شاعر وأحببت أن أراه إلا عنترة.» وهو يقصد بهذا القول أن عنترة عفيف القول وعفيف الفعل، لم ينزل عن المستوى العربي الرفيع وهو القائل:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي

حتى يواري جارتي مأواها

معلقة عنترة

معلقة عنترة بن شداد العبسي

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ منْ مُتَرَدَّمِ
أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ
يَا دَارَ عَبْلةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمِي

وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عبْلةَ واسلَمِي

فَوَقَّفْتُ فيها نَاقَتي وكَأنَّهَا

فَدَنٌ لأَقْضي حَاجَةَ المتَلَوِّمِ

وتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَوَاءِ وأَهْلُنَا

بالحَزنِ فَالصَّمَانِ فَالمتَثَلَّمِ

حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ

أَقْوى وأَقْفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

حَلَّتْ بِأَرض الزَّائِرينَ فَأَصْبَحَتْ

عسِراً عليَّ طِلاَبُكِ ابنَةَ مَخْرَمِ

عُلِّقْتُهَا عَرْضاً وأَقْتلُ قَوْمَهَا

زعماً لعَمرُ أبيكَ لَيسَ بِمَزْعَمِ

ولقد نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ

مِنّي بِمَنْزِلَةِ المحِبِّ المكْرَمِ

كَيفَ المزارُ وقد تَربَّع أَهْلُهَا

بِعُنَيْزَتَيْنِ وأَهْلُنَا بِالغَيْلَمِ

إنْ كُنْتِ أزْمَعْتِ الفِراقَ فَإِنَّمَا

زَمَّت رِكَائِبُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

مَا رَاعَني إلاَّ حَمولةُ أَهْلِهَا

وسْطَ الدِّيَارِ تَسُفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

فِيهَا اثْنَتانِ وأَرْبعونَ حَلُوبَةً

سُوداً كَخافيةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

إِذْ تَسْتَبِيْكَ بِذِي غُروبٍ وَاضِحٍ

عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذيذُ المِطْعَمِ

وكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيْمَةٍ

سَبَقَتْ عوَارِضَها إليكَ مِن الفَمِ

أوْ رَوْضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبْتَهَا

غَيْثٌ قليلُ الدَّمنِ ليسَ بِمَعْلَمِ

جَادَتْ علَيهِ كُلُّ بِكرٍ حُرَّةٍ

فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدِّرْهَمِ

سَحّاً وتَسْكاباً فَكُلَّ عَشِيَّةٍ

يَجْرِي عَلَيها المَاءُ لَم يَتَصَرَّمِ

وَخَلَى الذُّبَابُ بِهَا فَلَيسَ بِبَارِحٍ

غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ

قَدْحَ المُكَبِّ على الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

تُمْسِي وتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ

وأَبِيتُ فَوْقَ سَرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ

وَحَشِيَّتِي سَرْجٌ على عَبْلِ الشَّوَى

نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ نَبِيلِ المِحْزِمِ

هَل تُبْلِغَنِّي دَارَهَا شَدَنِيَّةَ

لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

خَطَّارَةٌ غِبَّ السُّرَى زَيَّافَةٌ

تَطِسُ الإِكَامَ بِوَخذِ خُفٍّ مِيْثَمِ

وكَأَنَّمَا تَطِسُ الإِكَامَ عَشِيَّةً

بِقَرِيبِ بَينَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ

تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعَامِ كَما أَوَتْ

حِزَقٌ يَمَانِيَّةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ

يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رأْسِهِ وكأَنَّهُ

حَرَجٌ على نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ

صَعْلٍ يعُودُ بِذِي العُشَيرَةِ بَيْضَهُ

كَالعَبْدِ ذِي الفَرْو الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ

شَرِبَتْ بِماءِ الدُّحرُضينِ فَأَصْبَحَتْ

زَوْراءَ تَنْفِرُ عن حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

وكَأَنَّمَا يَنْأَى بِجانبِ دَفِّها الـ

ـوَحْشِيِّ مِنْ هَزِجِ العَشِيِّ مُؤَوَّمِ

هِرٍّ جَنِيبٍ كُلَّما عَطَفَتْ لهُ

غَضَبَ اتَّقاهَا بِاليَدَينِ وَبِالفَمِ

بَرَكَتْ عَلَى جَنبِ الرِّدَاعِ كَأَنَّما
بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ
وكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيْلاً مُقْعَداً
حَشَّ الوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ
يَنْبَاعُ منْ ذِفْرَى غَضوبٍ جَسرَةٍ
زَيَّافَةٍ مِثلَ الفَنيقِ المكْدَمِ
إِنْ تُغْدِفِي دُونِي القِناعَ فإِنَّنِي
طَبٌّ بِأَخذِ الفَارسِ المسْتَلْئِمِ
أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فإِنَّنِي
سَمْحٌ مُخَالقَتي إِذَا لم أُظْلَمِ
وإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ
مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعمِ العَلْقَمِ
ولقَد شَربْتُ مِنَ المدَامةِ بَعْدَما
رَكَدَ الهَواجرُ بِالمشوفِ المعْلَمِ
بِزُجاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ
قُرِنَتْ بِأَزْهَر في الشَّمالِ مُقَدَّمِ
فإِذَا شَرِبْتُ فإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ
مَالي وعِرْضي وافِرٌ لَم يُكلَمِ
وإِذَا صَحَوتُ فَما أُقَصِّرُ عنْ نَدَىً

وكَما عَلمتِ شَمائِلي وتَكَرُّمي
وحَلِيلِ غَانِيةٍ تَرَكْتُ مُجدَّلاً
تَمكُو فَريصَتُهُ كَشَدْقِ الأَعْلَمِ
سَبَقَتْ يَدايَ لهُ بِعاجِلِ طَعْنَةٍ
ورِشاشِ نافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ
هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ
إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
إِذْ لا أزَالُ عَلَى رِحَالةِ سَابِحٍ
نَهْدٍ تعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ
طَوْراً يُجَرَّدُ للطِّعانِ وتَارَةً
يَأْوِي إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ
يُخْبِرِكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أنَّنِي
أَغْشى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ
ومُدَّجِجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ
لامُمْعنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ لهُ كَفِّي بِعاجِلِ طَعْنةٍ
بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابهُ
ليسَ الكَرِيمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنَشْنَهُ

يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانهِ والمِعْصَمِ

ومِشَكٍّ سابِغةٍ هَتَكْتُ فُروجَها

بِالسَّيف عنْ حَامِي الحَقيقَة مُعْلِمِ

رَبِذٍ يَدَاهُ بالقِدَاح إِذَا شَتَا

هَتَّاكِ غَاياتِ التَّجارِ مُلَوَّمِ

لمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلتُ أُرِيدُهُ

أَبْدَى نَواجِذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّمِ

عَهدِي بِهِ مَدَّ النَّهارِ كَأَنَّما

خُضِبَ البَنَانُ ورَأْسُهُ بِالعَظْلَمِ

فَطعنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ

بِمُهَنَّدٍ صافِي الحَديدَةِ مِخْذَمِ

بَطلٌ كأَنَّ ثِيابَهُ في سَرْجةٍ

يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

ياشَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لهُ

حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لم تَحْرُمِ

فَبَعَثْتُ جَارِيَتي فَقُلْتُ لها اذْهَبي

فَتَجَسَّسِي أَخْبارَها لِيَ واعْلَمِي

قَالتْ : رَأيتُ مِنَ الأَعادِي غِرَّةً

والشَاةُ مُمْكِنَةٌ لِمَنْ هُو مُرْتَمي
وكأَنَّمَا التَفَتَتْ بِجِيدِ جَدَايةٍ
رَشَاءٍ مِنَ الغِزْلانِ حُرٍ أَرْثَمِ
نُبِّئتُ عَمْراً غَيْرَ شاكِرِ نِعْمَتِي
والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ
ولقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمّي بِالضُّحَى
إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ
في حَوْمَةِ الحَرْبِ التي لا تَشْتَكِي
غَمَرَاتِها الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ
إِذْ يَتَّقُونَ بيَ الأَسِنَّةَ لم أَخِمْ
عَنْها ولَكِنّي تَضَايَقَ مُقْدَمي
لمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأَنَّها
أَشْطَانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ
مازِلْتُ أَرْمِيهُمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ
ولِبانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلِبانِهِ
وشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لو كانَ يَدْرِي مَا المحاوَرَةُ اشْتَكَى
وَلَكانَ لو عَلِمْ الكَلامَ مُكَلِّمِي
ولقَدْ شَفَى نَفْسي وَأَذهَبَ سُقْمَهَا
قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ
والخَيلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً
مِن بَيْنَ شَيْظَمَةٍ وَآخَرَ شَيْظَمِ
ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايعِي
لُبِّي وأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ
ولقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ ولَمَ تَدُرْ
للحَرْبِ دَائِرَةٌ على ابْنَي ضَمْضَمِ
الشَّاتِمِيْ عِرْضِي ولَمَ أَشْتِمْهُمَا
والنَّاذِرَيْنِ إِذْ لَمَ أَلقَهُمَا دَمِي
إِنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكتُ أَباهُمَا
جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نِسْرٍ قَشْعَمِ

- **موضوعها:** (١) ذكر الديار والأحباب. (٢) الغزل. (٣) وصف ناقته وجواده. (٤) وصف شربه الخمر. (٥) فخره بنفسه وسيفه. (٦) اعتزازه بهما. (٧) وصف النزال والطعن وتقتيل الفرسان. (٨) عزته بقومه. (٩) شتم شاتميه.

- **الكبت:** كان مُعينًا لعنترة على قول الشعر؛ لأن العاطفة متى اتقدت يسهل قول الشعر على الشاعر ويدخل قلوب سامعيه، بعكس الشاعر الذي لا يحسُّ شيئًا فإنه لا يوفق مهما كان مجيدًا.
- **مركب النقص:** «كل ذي عاهة جبار.» هذا ما قالته العرب قبل الوصول إلى معرفة العقل الباطن في علم النفس، فكل فراغ عند الإنسان لا بد له من إملاء. فعندما يحس الرجل أنه ينقصه شيء، يسعى إلى الحصول عليه من جهة أخرى.
- **أسلوب عنترة:** هو أقرب الشعراء الجاهليين إلينا، فلسفته سهلة وعبارته هينة ومعانيه سامية، فهو لم يلهِ نفسه بالسفاسف، وما عالج إلَّا كلَّ موضوع أخلاقي، فوصف نفسه بأنه متنزه عن كل هذه الأشياء، وقد عمل بما قال، كل ذلك بصورة لطيفة ذات تشابيه واستعارات من حياة راقية، لا كما رأينا عند امرئ القيس مثلًا حين راح يشبه أصابع عنيزة بالديدان.

لا أثر للكلفة والتعمد في قصيدة عنترة، وقد خصَّصنا هذه القصيدة للبحث لأنها جامعة للصورة العنترية، ولا عيب فيها إلا الانتقال من غائب إلى مخاطب ولكن بصورة مستحبة، وهي لا تخلو من ألفاظ وإن كانت كريهة وقبيحة الوقع في السمع لكنها مفهومة. ينتقل سريعًا من موضوع إلى آخر، فتبدو قصيدته كأنها مفككة، وقد استعمل هذا العبد ألفاظًا جميلة مثل «دار لآنسةٍ» و«حامي الحقيقة» ... إلخ.

- **فخره:** كان عنترة يفخر بنفسه ولا يخرج في شعره عن وصف ذاته، وسبب ذلك مركب النقص والكبت، فإذا فتشنا عن شاعر عربي مغرم بذاته «نرجسي» لم نجد له مثيلًا، ففخره يتناول جميع ما تفخر به العرب من شجاعة وجود وفروسية ودفاع عن الحوض. وهو في هذا يختلف عن شعراء الفخر؛ كالشريف الرضي الذي يفتخر أكثر ما يفتخر بنبل أصله وشرف جدوده، بينما عنترة والمتنبي لا يفتخران إلا بشخصهما؛ كقول المتنبي مثلًا:

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي

وبجدِّي سموت لا بجدودي

- **تأثير سواده:** كان عنترة في جهد جهيد من سواده وهو لا يعرف كيف يتخلص من نكبته، فإذا بإحساسه يجعله يشعر بأن هذا السواد لا بد له من ماحٍ، فلجأ إلى الصور الشعرية التي لم يوفق إليها أسود غيره؛ قال:

يعيبون لوني بالسواد جهالة

ولولا سواد الليل ما طلع الفجر

تعيرني العدى بسواد جلدي

وبيض فعائلي تمحو السواد

والمتنبي يلتقي مع عنترة عند كافور فيقول له: «أبا المسك!»

تفضح الشمس متى تطلع الشمس

بشمس منيرة سوداء

كما شبَّه الملوك بكتيبة من الخيل تتسابق في الميدان وكافور هو المجلِّي «الأول»: سوابق خيل يهتدين بأدهم.

- **شعره الملحمي:** نلتقي مع هوميروس بقصة عنترة عندنا، وسيأتي الكلام على هوميروس، ونرى أن قصة الإلياذة شديدة الشبه بقصة عنترة. والناس مختلفون حول عنترة؛ فمنهم من ينكر وجوده كما أنكر بعضهم وجود هوميروس. وسيان عندنا أَوُجِد عنترة أم لم يوجد، فنحن ننظر إلى هذا الشخص الذي تعجبنا أخلاقه وفروسيته فنحبه ونعجب به.

وأخيرًا أقول في هذا البطل: سيان عندنا أكان هجينًا، أم كان غرابًا، مشقوق الشفة. وماذا تهمنا أمه، فلتكن زبيبة، أو زيتونة، أو تفاحة، المهم خلق الرجل وشجاعته، وهذان لا يشك بهما أحد. وإذا لم يكن قد وُجد، فالفضل للذي أوجده. ولا بأس علينا إذا كرمناه كما نكرم الجندي المجهول. هبْ أنه شخص روائي مثل شخوص سرفنتس ومولييرِ والجاحظ، أفما صار هؤلاء كالأشخاص الأكابر الذين عاشوا على وجه الأرض؟ فلينعم عنترة بالًا.

الأعشى

أَبُو بَصِيرْ مَيْمُونْ بْنْ قَيْسْ بْنْ جَنْدَلْ بْنْ شَرَاحِيلْ بْنْ عَوْفْ بْنْ سَعْدْ بْنْ ضُبَيْعَة اَلْبَكْرِي المعروف بِالْأَعْشَى وَأَعْشَى قَيْسْ (٧ هـ/٦٢٩ –٥٧٠ م) شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية لقب بِالْأَعْشَى لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلا ويقال له: أعشى قيس والأعشى الأكبر. ويكنى الأعشى: أَبُو بَصِيرْ، تفاؤلًا. عاش عمرًا طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم، عمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة، وفيها داره وبها قبره.

كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، فكثرت الألفاظ الفارسية في شعره. غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرًا منه. كان يغني بشعره فلقب بصنّاجة العرب، اعتبره أبو الفرج الأصفهاني، كما يقول التبريزي: أعشى قيس أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم، وذهب إلى أنّه تقدّم على سائرهم، ثم استدرك ليقول: ليس ذلك بمُجْمَع عليه لا فيه ولا في غيره.

أعشى قيس

أما حرص المؤرخين على قولهم: أعشى بني قيس، فمردّه عدم اقتصار هذا اللقب عليه دون سواه من الجاهليين والإسلاميين، إذ أحاط هؤلاء الدارسون، وعلى رأسهم الآمدي في المؤتلف والمختلف، بعدد ملحوظ منهم، لقّبوا جميعًا بالأعشى، لعل أبرزهم هو أعشى باهلة (عامر ابن الحارث بن رباح)، وأعشى بكر بن وائل، وأعشى بني ثعلبة، ربيعة بن يحيى، وأعشى بني ربيعة، عبد الله بن خارجة، وأعشى همدان، وأعشى بني سليم وهو من فحول الشعراء في الجاهلية. وسُئل يونس عن أشعر الناس فقال: «امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير بن أبي سلمى إذا رغب، والأعشى إذا طرب».

نسبه

هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة، من بني قيس بن ثعلبة، وصولًا إلى علي بن بكر بن وائل، وانتهاء إلى ربيعة بن نزار وأبوه قيس بن جندل هو الذي سمّي بقتيل الجوع، سمّاه بذلك الشاعر جهنّام في معرض التهاجي فقال:

أبوك قتيلُ الجوع قيس بن جندلٍ- وخالُك عبدٌ من خُماعة راضعُ

وتفسير ذلك أن قيسًا لجأ إلى غار في يوم شديد الحرارة فوقعت صخرة كبيرة سدّت عليه مدخل ذلك الغار فمات جوعًا. يفهم من قول ابن قتيبة: وكان ميمون بن قيس- أعمى، أن لقبه كما يرى- إنّما لحقه بسبب ذهاب بصره، ولعلّ الذين كنّوه بأبي بصير، فعلوا ذلك تفاؤلًا أو تلطفًا، أو إعجابًا ببصيرته القوية، ولذا ربطوا بين هذا الواقع الأليم وبين كنيته «أبي بصير» لكنّ آخرين لم يذهبوا هذا المذهب والعشى في نظرهم تبعًا لدلالته اللغوية ليس ذهاب البصر بل ضعفه، فلئن كان الأعشى لا يبصر ليلًا فلا شيء يحول دون أن يكون سليم البصر نهارًا. ومن هذه الزاوية اللغوية على الأرجح كنّي الأعشى بأبي بصير بباعث الثناء

على توقّد بصيرته، وتعويضًا يبعث على الرضا في مقابل سوء بصر، ولعلّ ما جاء في شعر الأعشى حين طلبت إليه ابنته- كما قال في بعض قصائده- البقاء إلى جانبها لتجد بقربه الأمن والسلام ولتطمئن عليه بالكفّ عن الترحال وتحمل مصاعب السفر والتجوال- هو الأقرب إلى تصوير واقعه وحقيقة بصره، فهو يصف ما حلّ به في أواخر حياته من الضعف بعد أن ولّى شبابه وذهب بصره أو كاد وبات بحاجة إلى من يقوده ويريه طريقه، وإلى عصاه يتوكأ عليها، هكذا يصف نفسه فيقول: رأتْ رجُلًا غائب الوافدي- ن مُخلِف الخَلْق أعشى ضَريرًا وأما تفسير لقب الأعشى الآخر- أي: «صنّاجة العرب»- فمختلف فيه هو الآخر، فقد سمّي- كذلك- لأنه أول من ذكر الصّنج في شعره، إذ قال: ومُستجيبٍ لصوتِ الصَّنْج تَسَمعُهُ- إذا تُرَجّع فيه القينةُ الفُضلُ لكن أبا الفرج أورد تعليلًا مخالفًا حين نقل عن أبي عبيدة قوله: وكان الأعشى غنّى في شعره، فكانت العرب تسميه صنّاجة العرب. وإلى مثل هذا أشار حمّاد الرواية حين سأله أبو جعفر المنصور عن أشعر النّاس، فقال «نعم ذلك الأعشى صنّاجها».

ولادته

وقد ولد ونشأ في منفوحة وهي قريه حضريه على ضفاف وادي حنيفة في نجد في المملكة العربية السعودية وقد أصبحت منفوحة اليوم جزءا من مدينة الرياض. وفيها داره وبها قبره وأطلق على أحد شوارع منفوحة لقب الاعشى تخليدًا له.

نشأته

موطن الأعشى هي بلدة منفوحة في ديار القبائل البكرية التي تمتد من البحرين حتى حدود العراق. وأصبحت منفوحة قرية الأعشى اليوم حيا من أحياء الرياض القديمة بعد تمدد الرياض العمراني، وفي منفوحة نشأ أبو بصير شاعر بني قيس بن ثعلبة. وكانت دياره أرضًا

طيبة موفورة الماء والمرعى بغلالها وثمار نخيلها. ولئن كان الأعشى قد رأى الحياة في بلدته منفوحة وأقام فيها فترة أولى هي فترة النشأة والفتوّة، فالراجح أنّه بعد أن تتلمذ لخاله الشاعر المسيّب بن علس، خرج إثر ذلك إلى محيطه القريب والبعيد فنال شهرة واكتسب منزلة عالية بفضل شاعريته الفذّة في المديح بخاصة والاعتداد بقومه البكريين بعامّة. فاتصل بكبار القوم، وكان من ممدوحيه عدد من ملوك الفرس وأمراء الغساسنة من آل جفنة وأشراف اليمن وسادة نجران واليمامة. ومن أبرز الذين تعدّدت فيهم قصائده قيس بن معديكرب وسلامة ذي فائش وهوذة بن علي الحنفي. ولقد بات الأعشى بحافز من مثله الأعلى في اللّذة التي تجسّدت في الخمرة والمرأة، في طليعة الشعراء الذين وظّفوا الشعر في انتجاع مواطن الكرم يتكسب المال بالمدح، ويستمطر عطاء النبلاء، والسادة بآيات التعظيم والإطراء حتى قيل عنه، كما أورد صاحب الأغاني: «الأعشى أوّل من سأل بشعره» لكنّ هذا الحكم لا يخلو من تعريض تكمن وراءه أسباب شتّى من الحسد وسطحية الرأي وربما العصبيّة القبليّة. إن الأعشى نفسه لم ينكر سعيه إلى المال، ولكنّه كان دائمًا حريصًا على تعليل هذا المسعى والدافع إليه، فلم يجد في جعل الثناء قنطرة إلى الرخاء والاستمتاع بالتكسّب عارًا فهو عنده جنى إعجابٍ وسيرورة شعر. وفي مثل هذا الاتجاه يقول لابنته مبرّرًا مسعاه إلى الثروة، رافضًا الثّواء على الفقر والحرمان:

وقد طُفتُ للمالِ آفاقَهُ عُمانَ فحِمص فأورى شِلمْ

أتيتُ النّجاشيَّ في أرضه وأرضَ النَّبيط، وأرضَ العجمْ

فنجران، فالسَّروَ من حِمْيرٍ فأيَّ مرامٍ له لم أَرُمْ

ومن بعدِ ذاك إلى حضرموت فأوفيت همّي وحينا أَهُمْ

ألمْ تري الحَضْرَ إذ أهلُه بنَعْمى- وهل خالدٌ من نَعِمْ

كان الأعشى بحاجة دائمة إلى المال حتى ينهض بتبعات أسفاره الطويلة ويفي برغباته ومتطلباته فراح بلاد العرب قاصدًا الملوك.. يمدحهم ويكسب عطاءهم. ولم يكن يجتمع إليه قدر من المال حتى يستنزفه في لذّته.. ثم يعاود الرحلة في سبيل الحصول على مال جديد، ينفقه في لذّة جديدة. هذا هو الغرض من استدرار العطاء بعبارة الثناء، فكسبه النوال إنما كان لتلك الخصال التي عدّدنا، ولم يكن الأعشى في حياته إلا باذلًا للمال، سخيًّا على نفسه وذويه وصحبه من النّدامى ورفاقه في مجالس الشراب، فلا يجد غضاضة أن يحيط ممدوحه بسيرته هذه كقوله مادحًا قيس بن معديكرب:

فجِئتُكَ مُرتادًا ما خبّروا ولولا الذي خبّروا لم تَرَنْ

فلا تحرِمنّي نداكَ الجزيل فإنّي أُمرؤ قَبْلكُمْ لم أُهَنْ

بحكم ما تقدّم من فعل النشأة وتكوين العرى الأولى في شخصيّة الأعشى تطالعنا في ثنايا ديوانه، وبالدرس والتحليل والاستنتاج جوانب غنيّة من عالم الشاعر نكتفي منها بلُمع نتلمس مصادرها في قصائده ومواقفه وردّات أفعاله وانفعالاته. وفي قمة ما يمر به عالمه النفسي والفكري اعتقادٌ أملاه الواقع بعبثية الحياة، وتداخل مهازلها بصلب طبيعتها التي لا تني في تشكيلها وتبدّلها بصور شتى لا تغيّر من جوهرها المرتكز على ظاهرة التلوّن وعدم الثبات والزوال. وقد ضمّن الأعشى شعره هذه التأمّلات وهو يصف الموت الذي يطوي الملوك والحصون والأمم والشعوب كمثل قوله في مطلع مدحه المحلّق:

أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرّقُ وما بي من سقم وما بي مَعْشَقُ

ولكن أراني لا أزالُ بحادثٍ أُغادي بما لم يمسِ عندي وأطرقُ

فما أنتَ إنْ دامتْ عليك بخالدٍ كما لم يُخلَّدْ قبل ساسا ومَوْرَقُ

وكِسرى شهِنْشاهُ الذي سار مُلكُهُ له ما اشتهى راحٌ عتيقٌ وزنْبقُ

ولا عاديًا لم يمنع الموتَ مالُه وحصنٌ بتيماءَ اليهوديّ أبلقُ

شعره

شعره من الطبقة الأولى. وجود في أبواب الشعر كافة. إلا أن معظم شعره لم يتصل بنا ولا نعلم له إلا قصائد معدودة أشهرها «ودع هريرة» وقد عدها البعض من المعلقات والأعشى من كبار شعراء الجاهلية: جعله ابن سلاّم أحد الأربعة الأوائل، في عداد امرئ القيس والنّابغة وزهير فهو «بين أعلام» الجاهلية، وفحول شعرائها، وهو متقدّم كتقدّم من ذكرنا دونما إجماع عليه أو عليهم، ومع ذلك فليس هذا بالقليل: أو ألم يُسأل حسّان بن ثابت... عن أشعر الناس كقبيلة لا كشاعر بعينه فقال: «الزّرق من بني قيس بن ثعلبة» ولا غرو أنّه عنى في المقام الأول الأعشى أبا بصير، وهو ما أكده الكلبي عن مروان بن أبي حفصة حين أشاد بالأعشى وأحلّه مرتبة الشاعر الشاعر لقوله:

كلا أبَويْكم كان فرعَ دِعامةٍ ولكنّهم زادوا وأصبحت ناقصًا

وحدّث الرياشي نقلًا عن الشعبيّ ففضّل الأعشى في ثلاثة أبيات واعتبره من خلالها أغزل النّاس وأخنثهم وأشجعهم، وهي على التوالي:

غرّاء فرعاءُ مصقولُ عوارضُها تمشي الهُوَيْنى كما يمْشي الوَجى الوَجِلُ

قالتْ هريرةُ لمّا جِئتُ زائرَها ويلي عليكَ وويلي منك يا رجلُ

قالوا الطّرادُ فقلْنا تلكَ عادتُنا أو تنزِلونَ فإنّا معْشرٌ نُزُلُ

كان الأعشى يعتبر الشرّ في الطبيعة البشرية قدرًا ليس يدفع فهل غذّى فيه هذا الاعتقاد الكفاح في سبيل متع الوجود وجعله يرتضي بالتالي مصيره، وهو مصير الورى جميعًا أي حتمية الزوال. وأوجز ما يقال في الأعشى شاعرًا، أّنه صورة الرجل فيه: فقد كان جريئًا في غزله وخمرته وكانت جرأته واضحة المعالم في صدق مقالته حين يمدح أو يفتخر أو يهجو وهكذا اكتسب شعره سيرورة ونزل من القلوب منزلة رفيعة فكان أقدر الشعراء على وضع الرفيع، ورفع الوضيع، ويكفي برهانًا على الطرف الآخر خبره من المحلَّق الكلابي وهو الخبر الذي تناقلته كتب الأدب وجعلت منه مثالًا، لا لتأثير الشعر في نفوس العرب وحسب، بل ولسموّ الشاعر في صنيعه وهو ما أتاح له أن ينتزع إعجاب الأدباء والشرّاح من ناحية، وأن يتبوّأ بالتالي منزلة رفيعة في تاريخ الشعر الجاهلي، إن لم نقل في تاريخ العربي على مرّ العصور. ولئن تعذر أن نمضي على هذا المنوال، في ثنايا شعر أبي بصير، المقدّم في نظر نفر صالح من النقّاد، على أكثر شعر الجاهليين كافة، ولا سيّما في غزله ومدائحه وملاهيه وأوصافه. ولئن كنّا نتجاوز المواقف المختلفة من سعي الأعشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومسألة إسلامه فنحن نقف عند واحد جامع من آراء الشرّاح القدامى، نرى فيه غاية ما نرمي إليه في هذا الموضع، قصدنا قول أبي زيد القرشي في جمهرته: «الأعشى أمدح الشعراء للملوك، وأوصفهم للخمر، وأغزرهم شعرًا وأحسنهم قريضًا».

معلقة الأعشى

له القصائد الطوال الجياد. يتغنى بشعره فسموه: «صناجة العرب وطناجة الغرب» – ويقولون إن الأعشى هو أول من انتجع بشعره، يقصدون بذلك أنه كان يمدح لطلب المال. ولم يكن يمدح قومًا إلا رفعهم، ولم يهج قومًا إلا وضعهم لأنه من أسير الناس شعرًا وأعظمهم فيه حظًا. ألم يزوج بنات المحلق بأبيات قالها فيه، كما جاء في كتب الأدب اشتهر بمنافرة له مع علقمة الفحل. امتاز عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر.

أما معلقته والتي تسمى لامية الاعشى فمطلعها:

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ وهل تطيقُ وداعًا أيُّها الرجلُ

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريثٌ ولا عجل

تسمع للحلي وسواسًا إذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٌ زجل

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختتل

يكاد يصرعها لولا تشددها إذا تقوم إلى جاراتها الكسل

إذا تلاعب قرنًا ساعةً فترت وارتج منها ذنوب المتن والكفل

صفر الوشاح وملء الدرع بهكنةٌ إذا تأتى يكاد الخصر ينخزل

نعم الضجيع غداة الدجن يصرعها للذة المرء لا جافٍ ولا تفل

هركولةٌ، فنقٌ، درمٌ مرافقها كأن أخمصها بالشوك ينتعل

إذا تقوم يضوع المسك أصورةً والزنبق الورد من أردانها شمل

ما روضةٌ من رياض الحزن معشبةٌ خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل

يضاحك الشمس منها كوكبٌ شرقٌ مؤزرٌ بعميم النبت مكتهل

يومًا بأطيب منها نشر رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

علقتها عرضًا وعلقت رجلًا غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

وعلقته فتاة ما يحاولها ومن بني عمها ميت بها وهل

وعلقتني أخيرى ما تلائمني فاجتمع الحب، حبٌ كله تبل

فكلنا مغرمٌ يهذي بصاحبه ناءٍ ودانٍ ومخبولٌ ومختبل

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلًا بأم خليدٍ حبل من تصل

أ أن رأت رجلًا أعشى أضر به ريب المنون ودهرٌ مفندٌ خبل

قالت هريرة لما جئت طالبها ويلي عليك وويلي منك يا رجل

إما ترينا حفاةً لانعال لنا إنا كذلك ما نحفى وننتعل

وقد أخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئل

وقد أقود الصبا يومًا فيتبعني وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شول

في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أن هالكٌ كل من يحفى وينتعل

نازعتهم قضب الريحان متكئًا وقهوةً مزةً راووقها خضل

لا يستفيقون منها وهي راهنةٌ إلا بهات وإن علوا وإن نهلوا

يسعى بها ذو زجاجاتٍ له نطفٌ مقلصٌ أسفل السربال معتمل

ومستجيبٍ تخال الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل

الساحبات ذيول الريط آونةً والرافعات على أعجازها العجل

من كل ذلك يومٌ قد لهوت به وفي التجارب طول اللهو والغزل

وبلدةٍ مثل ظهر الترس موحشةٍ للجن بالليل في حافاتها زجل

لا يتنمى لها بالقيظ يركبها إلا الذين لهم فيها أتوا مهل

جاوزتها بطليحٍ جسرةٍ سرحٍ في مرفقيها . إذا استعرضتها . فتل

بل هل ترى عارضًا قد بت أرمقه كأنما البرق في حافاته شعل

له ردافٌ وجوزٌ مفأمٌ عملٌ منطقٌ بسجال الماء متصل

لم يلهني اللهو عنه حين أرقبه ولا اللذاذة في كأس ولا شغل

فقلت للشرب في درنا وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

قالوا نمارٌ، فبطن الخال جادهما فالعسجديةٌ فالأبلاء فالرجل

فالسفح يجري فخنزيرٌ فبرقته حتى تدافع منه الربو فالحبل

حتى تحمل منه الماء تكلفةً روض القطا فكثيب الغينة السهل

يسقي ديارًا لها قد أصبحت غرضًا زورًا تجانف عنها القود والرسل

أبلغ يزيد بني شيبان مألكةً أبا ثبيتٍ أما تنفك تأتكل

ألست منتهيًا عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطت الإبل

كناطح صخرةً يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهن قرنه الوعل

تغري بنا رهط مسعودٍ وإخوته يوم للقاء فتردي ثم تعتزل

تلحم أبناء ذي الجدين إن غضبوا أرماحنا ثم تلقاهم وتعتزل

لا تقعدن وقد أكلتها خطبًا تعوذ من شرها يومًا وتبتهل

سائل بني أسدٍ عنا فقد علموا أن سوف يأتيك من أبنائنا شكل

واسأل قشيرًا وعبد الله كلهم واسأل ربيعة عنا كيف نفتعل

إنا نقاتلهم حتى نقتلهم عند اللقاء وإن جاروا وإن جهلوا

قد كان في آل كهفٍ إن هم احتربوا والجاشرية من يسعى وينتضل

لئن قتلتم عميدًا لم يكن صددًا لنقتلن مثله منكم فنمتثل

لئن منيت بنا عن غب معركةٍ لا تلفنا عن دماء القوم ننتقل

لا تنتهون ولن ينهى ذوي شططٍ كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

حتى يظل عميد القوم مرتفقًا يدفع بالراح عنه نسوةٌ عجل

أصابه هندوانٌي فأقصده أو ذابلٌ من رماح الخط معتدل

كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم إنا لأمثالكم يا قومنا قتل

نحن الفوارس يوم الحنو ضاحيةً جنبي فطيمة لا ميلٌ ولا عزل

قالوا الطعان فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فإنا معشرٌ نزل

قد نخضب العير في مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل

وتقول العرب أن أقوى بيت في مقطع الهجاء في معلقته، ذلك الذي أصبح هو الآخر مثلًا، وفيه يقول:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها، وأوهى قرنه الوعل

فصار يتمثّلُ به كناية عن حماقة كل من يتصدى لمصاولة ما يفوقه قوة وصمودًا.

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

وقد ترجم بعض قصائده الطوال، المستشرق الألماني «غاير» منها: قصيدته المعلقة، والقصيدة الثانية «ودع هريرة». وقد عني بشرحها مطولًا، وطبعت معلقته في كتاب: المعلقات العشر.

من قصيدة «هيفاء مثل المهرة»:

صَحَا القَلبُ مِن ذِكرَى قُتَيلَةَ بَعدَمَا يَكُونُ لَهَا مِثلَ الأَسِيرِ المُكَبَّلِ

لَهَا قَدَمٌ رَيَّا، سِبَاطٌ بَنَانُهَ قَدِ اعتَدَلَت فِي حُسنِ خَلقٍ مُبتَّلِ

وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحمُ مَورًا عَلَيهِما إِلَى مُنتَهَى خَلخَالِهَا المُتَصَلصِلِ

إِذَا التُمِسَت أُربِيّتَاهَا تَسَانَدَت لَهَا الكَفُّ فِي رَابٍ مِنَ الخَلقِ مُفضِلِ

إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ارتِفَاعٌ تَرَى لَهُ مِنَ الحُسنِ ظِلًا فَوقَ خَلقٍ مُكَمَّلِ

عبيد بن الأبرص

عَبيد بن الأبرص الأسدي شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات ويعد من شعراء الطبقة الأولى، قتله المنذر بن ماء السماء حينما وفد عليه في يوم بؤسه. عاصر امرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وهو شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وأحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول

الجاهلية وحكمائها ودهاتها، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد، وكان شاعر بن أسد غير مدافع، قديم الذكر، طائر الشهرة، شهما، كريما مع ضيق ذات يده.

نسبه

عَبيد (بفتح العين) بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وقيل عبيد بن عوف بن جشم الأسدي من قبيلة بني أسد الخندفية المضرية، وزمن مولده غير معروف.

موته

مات في (٢٥ ق هـ / ٥٩٨ م) هي روايتان ألأولى: مسندةٌ على الشرقيّ بن القطامي، قال: كان المنذر بن ماء السماء ـ ابن ماء السماء مات في معركة يوم حليمة سنة ٥٥٤م نرجو مراجعة هذا ـ قد نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد بن المضلِّل والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة، فأغضباه في بعض المنطق، فأمر بأن يحفر لكلّ منها حفيرة بظهر الحيرة ثمّ يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين، ففُعل بهما ذلك، حتى إذا أصبح سأل عنهما فأُخبر بهلاكهما، فندم على ذلك وغمّه، ثم ركب حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغَرِيّين فبنيا عليهما، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريّين أحدهما يوم السعد والآخر يوم التعس، فأوّل من يطلع عليه في يوم نعيمه (يوم السعد) يعطيه مائة من الإبل شؤماً، أي سوداً، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه (يوم التعس) يعطيه رأس ظَرِبان أسود، ثم يأمر به فيذبح ويغرّى بدمه الغريّان. فلبث بذلك برهة من دهره. ثم إن عبيد بن الأبرص كان أوّل من أشرف عليه يوم بؤسه فقال: هلاّ كان الذّبحُ لغيرك، يا عبيد فقال: أتتك بحائن رجلاه، فأرسلها مثلاً. فقال المنذر: أو أجلٌ بلغ أناه. ثم قال له: أنشدني فقد كان شعرك يعجبني. فقال حال الجريض دون القريض، وبلغ الحِزام الطِّبيين، فأرسلها مثلاً. فقال له آخر: ما أشدّ

جزعك من الموت! فقال: لا يرحلُ رحلك من ليس معك، فأرسلها مثلاً. فقال له المنذر: قد أمللتني فأرحني قبل أن آمر بك! فقال عبيد: من عزّ بزّ، فأرسلها مثلاً. فقال المنذر: أنشدني قولك: «أقفر من أهله ملحوب» فقال:

أقفر من أهله عبيدُ فليس يُبدي ولا يُعيدُ

عنّت عنّةٌ نَكودُ وحان منه لها وُرودُ

فقال له المنذر: يا عبيد! ويحك أنشدني قبل أن أذبحك. فقال عبيد:

واللهِ إن متُّ لما ضرّني وإن أعِش ما عشتُ في واحدة

فقال المنذر: إنّه لا بدّ من الموت، ولو أن النعمان، أي ابنه، عرض لي في يوم بؤس لذبحته، فاختر إن شئت الأكحل، وإن شئت الأبجل، وإن شئت الوريد. فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شرّ وُرّاد، وحاديها شرّ حاد، ومعادها شرّ معاد، ولا خير فيها لمرتاد، وإن كنتَ لا محالة قاتلي، فاسقني الخمر حتى إذا ماتت مفاصلي وذَهِلت ذواهلي فشأنك وما تريد. فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخذت منه وطابت نفسه دعا به المنذر ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

وخيّرني ذو البؤس في يوم بؤسه خَصالاً أرى في كلّها الموتَ قد برَق

كما خُيّرتْ عادٌ من الدّهر مرّةً سحائبَ ما فيها لذي خِيرةٍ أنَقْ

سحائب ريحٍ لم تُوكَّل ببلدةٍ فتتركها إلاّ كما ليلةِ الطّلَقْ

فأمر به المنذر ففصد، فلما مات غذي بدمه الغريّان. وقد يضرب المثل بيوم عبيد، عند العرب، لليوم المشؤوم الطالع. أما رواية مقتله في الديوان، فقد رويت في الأغاني أيضاً عن

هشام بن الكلبي، على شيء من الاختلاف، كما أشرنا إليه سابقاً، قال: وكان من حديث عبيد وقتله أن المنذر بن ماء السماء بنى الغريّين، فقيل له: ماذا تريد بهما وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه: أحدهما خالد بن نضلة الفقعسيّ، وكان أُسر يوم جبَلة، والآخر عمرو بن مسعود. فقال: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري؛ لا يمرّ أحد من وفود العرب إلا بينهما. وكان له في السنة يومان معروفان بيوم بؤس ويوم نعمة، فكان إذا خرج في يوم بؤسه يذبح فيه أوّل من يلقاه كائناً من كان؛ وإذا خرج في يوم نعمته يصِل أوّل من يلقاه ويحبوه ويُحسن إليه. فبينما هو يسير في يوم بؤسه إذ أشرف له عبيد، فقال لرجل ممّن كان معه: من هذا الشقيّ فقال له: هذا عبيد بن البرص. فأُتي به فقال له الرجل: أبيت اللعن اتركه، فإن عنده من حسن القريض أفضل ممّا تدرك في قتله، مع أنّه من رؤساء قومه وأهل النجدة والشأن فيهم، فاسمع منه وادعه إلى مدحك، فإن سمعت ما يعجبك كنت قد عفت له المنّة فإن مِدْحَته الصنيعة. فإن لم يعجبك قوله كان هنيئاً عليك قتله، فإذا نزلنا فادع به! قال: فنزل المنذر، فطعِم وشرب، وبينه وبين الناس حجاب يراهم منه ولا يرونه، فدعا بعبيد من وراء الستر فقال له رديفة: ما ترى يا أخا أسد. قال: أرى الحوايا عليها المنايا. قال: فعليك بالخروج له ليقرّبك ذاك من الخلاص. قال: ثكلتك الثّواكل، إنّي لا أعطي باليد، ولا أُحضر البعيد، والموت أحبّ إليّ. قال له الملك: أفقلت شيئاً. قال: حال الجريض دون القريض. قال المنذر: أنشدني من قولك «أقفر من أهله ملحوب». قال عبيد:

أقفر من أهله عبيدُ فليس يُبدي ولا يُعيد

قال: أنشدنا أيضاً! فقال:

هي الخمر تكنى بأمّ الطّلاء كما الذّئبُ يدعى أبا جعدةِ

فقال: قل فيّ مديحاً يسير في العرب! قال: أمّا والصَّبّار فيما عجل فلا! قال: نطلقك ونحسن إليك. قال: أمّا وأنا أسير في يديك فلا. قال: نردّك إلى أهلك ونلتزم رفدك. قال: أمّا على شرط المديح فلا! قال عبيد:

أوَصيِّ بَنِيّ وأعمامهم بأنّ المنايا لهُم راصده

لها مدّةٌ، فنفوسُ العِباد إليها، وإن جهَدوا، قاصِده

فوالله إنْ عشتُ ما سرّني وإن متُّ ما كانت العائده

فقال بعض القوم: أنشِد الملك! قال: لا يرجى لك من ليس معك. قال بعضهم من القوم: أنشد الملك! قال: وأُمِرَّ دون عبيده الوَذَمُ. قال له المنذر: يا عبيد أي قتلة أحبّ إليك أن أقتلك. قال: أيّها الملك روّني من الخمر وافصدني، وشأنك وشأني. فسقاه الخمر ثم أقْطَعَ له الأكحل فلم يزل الدم يسيل حتى نفد الدم وسالت الخمر، فمات.

معلّقة عبيد بن الأبرص

لعبيد بن الأبرص قصيدة شهيرة ألحقها بعضهم بالمعلقات، ويقول في تلك القصيدة:

أقفرَ من أهلهِ مَلْحوبُ فالقُطبيَّات فالذَّنوبُ

فَراكِسٌ فثُعَيلِباتٌ فَذاتَ فَرقَينِ فالقَليبُ

فَعَرْدةٌ، فَقَفا حِبرٍّ لَيسَ بِها مِنهُمُ عَريبُ

وبُدِّلَتْ مِنْ أهْلِها وُحوشًا وغَيَّرتْ حالَها الخُطُوبُ

أرضٌ تَوارَثَها الجُدوبُ فَكُلُّ من حَلَّها مَحْروبُ

إمَّا قَتيلاً وإمَّا هَلْكًا والشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ

عيناك دمعهما سروب كأن شأنيهما شعيب

واهية أو معين ممعن من هضبة دونها لهوب

أوفلج ببطن واد للماء من تحته قسيب

أو جدول في ظلال نخل للماء من تحته سكوب

تصبو وأنى لك التصابي أنى وقد راعك المشيب

أن يك حول منها أهلها فلا بدي ولا عجيب

أو يك قد أقفر منها جوها وعادها المحل والجدوب

فكل ذي نعمة مخلوسها وكل ذي أمل مكذوب

وكل ذي إبل موروث وكل ذي سلب مسلوب

وكل ذي غيبة يؤيب وغائب الموت لايؤوب

أعاقر مثل ذات رحم أو غانم مثل من يخيب

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لايخيب

بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب

والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب

أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعـ ـف وقد يخدع الأريب

لا يعظ الناس من لا يعظ الدهـ ـر ولا ينفع التلبيب

إلا سجيات ما القلوب وكم يصيرن شانئا حبيب

ساعد بأرض إذا كنت بها ولا تقل إنني غريب

قد يوصل النازح النائي وقد يقطع ذو السهمة القريب

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

بل رب ماء وردته آجن سبيله خائف جديب

ريش الحمام على أرجائه للقلب من خوفه وجيب

قطعته غدوة مشيحا وصاحبي بادن خبوب

عيرانة موجد فقارها وكأن حاركها كثيب

أخلف ما بازلا سديسها لا حقة هي ولا نيوب

كأنها من حمير عانات جون بصفحته ندوب

أو شبب يرتعي الرخامى تلفه شمأل هبوب

فذاك عصر وقد أراني تحملني نهدة سرحوب

مضبر خلقها تضبيرا ينشق عن وجهها السبيب

زيتية نائم عروقها ولين اسرها رطيب

كأنها لقوة طلوب تخر في وكرها القلوب

باتت على إرم عذوبا كأنها شيخة رقوب

فأصبحت في غداة قرة يسقط عن ريشها الضريب

فابصرت ثعلبا سريعا ودونه سبسب جديب

فنفضت ريشها وولت فذاك من نهضة قريب

فاشتال وارتاع من حسيس وفعله يفعل المذؤوب

فنهضت نحوه حثيثة وحردت حرده تسيب

فدب من رأيها دبيبا والعين حملاقها مقلوب

فأدركته فطرحته والصيد من تحتها مكروب

فرفعته فوضعته فكدحت وجهه الجبوب

فعاودته فرفعته فأرسلته وهو مكروب

يضغو ومخلبها في دفه لا بد حيزومه منقوب

شرح المعلقة:

يقول الشاعر إنّ البلاد تغيرت ورحل أكثر السكان من المناطق التي كنا نراهم فيها، فقد صارت دار ملحوب والقطبيات والذنوب وغيرها من المناطق الأخرى خاليةً من أهلها الذين كانوا يملؤونها حياةً ونشاطًا. تبدّل سكان هذه المناطق الأصليون، وأصبحت تقطنها الوحوش والحيوانات، فقد قلبت طبيعتها المصائب التي توالت عليها، تلك الأراضي قد انتقلت خلالها شعوبٍ مختلفة، وقد كان كلّ من استوطن بها كأنّه مُحارب دائمًا.

وصف الحزن والكمد

إِمّا قَتيلاً وَإِمّا هالِكاً وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ

عَيناكَ دَمعُهُما سَروبُ كَأَنَّ شَأنَيهِما شَعيبُ

أَو فَلَجٌ ما بِبَطنِ وادٍ لِلماءِ مِن بَينِهِ سُكوبُ

أَو جَدوَلٌ في ظِلالِ نَخلٍ لِلماءِ مِن تَحتِهِ قَسيبُ

تَصبو فَأَنّى لَكَ التَصابي أَنّى وَقَد راعَكَ المَشيبُ

فإنّك في هذه الأرض إمّا أن تقتل، وإمّا أن يتقدّم بك العمر فتموت، وما الشيب إلّا عيب لحامله، وها هي عيناك تسيل دموعهما باستمرار، وكأنهما قربة منشقة يسيل منها ماء، أو أنّها شقّ قد أصاب قلب الوادي، فأصبح الماء ينهمر منه بغزارة، أو ربّما كأنها كمثل نهر ماء يجري تحت أشجار النخيل وصوت الماء ينهمر منه، تُحاول أن تعود إلى الشّباب ولكن كيف لك ذلك وأنت قد بلغت الشيخوخة والكبر.

تصوير حال الدّيار

إِن تَكُ حالَت وَحُوِّلَ أَهلُها فَلا بَديءٌ وَلا عَجيبُ

أَو يَكُ أَقفَرَ مِنها جَوُّها وَعادَها المَحلُ وَالجُدوبُ

فَكُلُّ ذي نِعمَةٍ مَخلوسٌ وَكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكذوبُ

وَكُلُّ ذي إِبِلٍ مَوروثٌ وَكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسلوبُ

وَكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤوبُ وَغائِبُ المَوتِ لا يَؤوبُ

أَعاقِرٌ مِثلُ ذاتِ رِحمٍ أَم غَنِمٌ مِثلُ مَن يَخيبُ

إن تكن هذه البلاد قد تغيّرت أحوالها وغيّرت أحوال أهلها معها، فإنّ ذلك ليس بأمر غريب، أو تكن قد أصابها الفقر والحاجة وانتهى بها الزمان إلى القحط والجفاف، فإنّ كلّ صاحب مالٍ أو متاع أو أنعام سيسلب منه ماله بالخداع والحيلة. كذلك فكلّ مالكٍ لشيء من المال والنعمة سيرثه الذين يأتون من بعده، وكلّ من يختلس من غيره سيأتي يوم ويختلسه الناس، وكلّ إنسان غائب مصيره العودة، أمّا الذي غاب بسبب الموت فإنّه لن يعود، فليست من لا تنجب الأولاد في هذه الدنيا كالمرأة الولود، وليس الذي يستطيع الكسب والتّحصيل في هذه الحياة كمن يخفق في ذلك.

النصح والموعظة

أَفلِح بِما شِئتَ فَقَد يُبلَغُ بِال ضَعفِ وَقَد يُخدَعُ الأَريبُ

لا يَعِظُ الناسُ مَن لَم يَعِظِ ال دَهرُ وَلا يَنفَعُ التَلبيبُ

إِلّا سَجِيّاتِ ما القُلوبِ وَكَم يَصيرَنَّ شانِئًا حَبيبُ

ساعِد بِأَرضٍ إِذا كُنتَ بِها وَلا تَقُل إِنَّني غَريبُ

مَن يَسَلِ الناسَ يَحرِموهُ وَسائِلُ اللَهِ لا يَخيبُ

اجتهد فيما تُريد أن تُحقّقه، فقد يتحقّق لك بالرغم من الضّعف، وقد يخفق بالرغم من الذكاء والفطنة، فلا ينصح الناس من لم يعتبر من دروس الدّهر ولا يُفيده التّهديد، إلّا الطبيعة والفطرة التي فطرت عليها القلوب والتي قد تجعل من العدوّ حبيبًا. فأينما كنتَ قدّم المساعدة للآخرين، ولا تقل إنّك غريبٌ عنها، ويختم قوله هُنا بأنّ من يطلب المساعدة من الناس يمنعونه منها، أما من يطلبها من ربّ الناس، فإنّه لن يرجع خائبًا.

الأفكار الرئيسة في معلقة عبيد بن الأبرص

من أبرز الأفكار في معلقة عبيد بن الأبرص ما يأتي:

١. الوقوف على الأطلال وتصوير حالها.
٢. وصف الحزن والكمد وسيل الدّموع على حال أهله وأحبابه بعد الهجرة.
٣. تصوير حال الدّيار وما آلت إليه.
٤. ذكر مجموعة من العبر والمواعظ والنصائح.

الصور الفنية في معلقة عبيد بن الأبرص

من الصور الفنية في المعلقة السابقة ما يأتي: الشّيب شين شبه الشيب بالقبح، فذكر المشبه والمشبه به، وحذف وجه الشبه وأداة التشبيه، وهنا تشبيه بليغ. أقفر جوها شبّه الشاعر الأرض بالإنسان الذي يقفر، فحذف المشبّه به الإنسان، وأبقى على شيء من لوازمه وهو

القفر على سبيل الاستعارة المكنية. كأن حاركها كثيب شبه حراك ريش الحمام أيّ منسجها بالكثيب أيّ الرمل، وحذف وجه الشبه، وهنا تشبيه مجمل.

معاني المفردات في معلقة عبيد بن الأبرص

توضيح لأبرز معاني المفردات في معلقة عبيد بن الأبرص فيما يأتي: المفردة معنى المفردة

أقفر: أقفر البلد إذا خلا من الناس والماء والعشب.

الخطوب: جمع خطب، وهو الحال والشّأن، وألمّ به خطب أيّ مكروه.

شين: مصدر شان، وهو القبح والعيب.

قسيب: هو صوت الماء الجاري الحامل للورق.

سجيات: هي الطبيعة والخلق.

الحارث بن حلزة اليشكري

الحارث بن حلزة هو الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل بن أسد بن ربيعة بن نزار، من أهل العراق، وهو من عظماء قبيلة بكر بن وائل، ولقب الحلزة أطلق على أبيه بسبب بخله.

المعلقة

أنشد معلقته على الملك عمرو بن هند ردا على عمرو بن كلثوم. وقيل أنه قد أعدّها وروّاها جماعة من قومه لينشدوها نيابة عنه لأنه كان برصا وكره أن ينشدها من وراء سبعة ستور ثم يغسل أثره بالماء، كما كان يفعل بسائر البرص ثم عدل عن رأيه وقام بإنشادها بين يدي الملك وبنفس الشروط السابقة. لما سمعها الملك وقد وقعت في نفسه موقعاً حسناً أمر برفع الستور وأدناه منه وأطعمه في جفنته ومنع أن يغسل أثره بالماء.

معلقة الحارث بن حلزة اليشكري هي إحدى المعلقات. تحتوي هذه المعلقة على ٨٢ بيتا طبقا لما ورد في كتاب شرح المعلقات السبع للزوزنى.

كان الباعث الأساسي لإنشاد المعلقة دفاع الشاعر عن قومه وتفنيد أقوال خصمه عمرو بن كلثوم. تقع المعلقة في خمس وثمانين بيتاً، نظمت بين عامي ٥٥٤ و ٥٦٩ م. شرحها الزوزني وطبعت في إكسفورد عام ١٨٢٠ م ثم في بونا سنة ١٨٢٧ م. ترجمت إلى اللاتينية والفرنسية.

نص المعلقة

آذَنَتنَا بِبَينِها أَسمَاءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنهُ الثَّواءُ

بَعدَ عَهدٍ لَنا بِبُرقَةِ شَمَّاءَ ... فَأَدنَى دِيَارِها الخَلْصَاءُ

فَالمحيّاةُ فَالصّفاحُ فَأعْنَاقُ ... فِتَاقٍ فَعاذِبٌ فَالوَفَاءُ

فَرِيَاضُ القَطَا فَأوْدِيَةُ الشُـ ... ـرِبُبِ فَالشُعبَتَانِ فَالأَبْلاءُ

لا أَرَى مَن عَهِدتُ فِيهَا فَأبْكِي ... اليَومَ دَلهاً وَمَا يُحَيِّرُ البُكَاءُ

وبِعَينَيكَ أَوقَدَت هِندٌ النَّارَ ... أَخِيراً تُلوِي بِهَا العَلْيَاءُ

فَتَنَوَّرتُ نَارَهَا مِن بَعِيدٍ ... بِخَزَازَى هَيهَاتَ مِنكَ الصَّلاءُ

أَوقَدتها بَينَ العَقِيقِ فَشَخصَينِ ... بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِياءُ

غَيرَ أَنِّي قَد أَستَعِينُ عَلَى الهَمِّ ... إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَجَاءُ

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقلَةٌ ... أُمُّ رِئَالٍ دَوِيَّةٌ سَقْفَاءُ

آنَسَت نَبأَةً وأَفْزَعَها القَنَّاصُ ... آعَصراً وَقَد دَنَا الإمْسَاءُ

فَتَرَى خَلْفَها مِنَ الرَّجعِ وَالـ ... ـوَقْعِ مَنِيناً كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ

وَطِرَاقاً مِن خَلفِهِنَّ طِرَاقٌ ... سَاقِطَاتٌ أَلوَتْ بِهَا الصَحرَاءُ

أَتَلَهَّى بِهَا الهَوَاجِرَ إذ كُلُّ ... ابنَ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمياءُ

وأَتَانَا مِنَ الحَوَادِثِ والأَنبَاءِ ... خَطبٌ نُعنَى بِهِ وَنُسَاءُ

إنَّ إخوَانَنَا الأَرَاقِمَ يَغلُونَ ... عَلَينَا فِي قَيلِهِم إِخْفَاءُ

يَخلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الـ ... ـذَنبِ وَلا يَنفَعُ الخَلِيَّ الخِلاءُ

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَن ضَرَبَ العِيرَ مُـوَالٍ لَـنَـا وَأَنَـا الـوَلاءُ

أَجـمَـعُـوا أَمـرَهُم عِشاءً فَلَمَّـا أَصبَحُوا أَصبَحَت لَهُم ضَوْضَـاءُ

مِـن مُـنَـادٍ وَمِـن مُـجِيـبٍ وَمِـن تَـصهَالِ خَـيلٍ خِلالَ ذَاكَ رُغَـاءُ

أَيُّـهَـا الـنَـاطِـقُ الـمُـرَقِّـشُ عَنَّـا عِـنـدَ عَـمـرٍو وَهَـل لِذَاكَ بَقَـاءُ

لا تَخلُنَـا عَلَـى غِـرَاتِـك إنّـا قَبلُ مَـا قَـد وَشَـى بِـنَا الأَعْـدَاءُ

فَبَـقَـيـنَـا عَلَـى الـشَـنَـاءَةِ تَـنـمِـيـنَـا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعسَـاءُ

قَـبـلَ مَـا الـيَـومِ بَيَّـضَـت بِعُيـونِ الـنَّـاسِ فِـيـهَـا تَـغَـيُّـظٌ وَإبَـاءُ

فَكَـأَنَّ المَنونَ تَردِي بِنَـا أَرعَـنَ جَـونـاً يَـنـجَـابُ عَـنـهُ العَمـاءُ

مُكفَهِراً عَلَى الحَوَادِثِ لا تَرتُـوهُ لـلـدَهـرِ مُـؤَيِّـدٌ صَـمَّـاءُ

رمِـيٌّ بِـمِـثـلِـهِ جَـالَـتِ الخَـيـلُ فَـآبَت لِـخَـصـمِـهَـا الإجـلاَءُ

مَـلِكٌ مُقسِطٌ وأَفضَلُ مَن يَمـشِـي وَمِـن دُونَ مَـا لَـدَيـهِ الـثَّـنَـاءُ

أَيَّـمَـا خُـطَّـةٍ أَرَدتُـم فَـأَدوهَـا إلَـيـنَـا تُـشـفَـى بِهَـا الأَمـلاءُ

إن نَبَشتُم مَا بَـيـنَ مِـلـحَـةَ فَـالـ ـصَاقِبِ فِيهِ الأَمواتُ وَالأَحَيَـاءُ

أَو نَقَشتُم فَالـنَّـقـشُ يَـجـشَـمُـهُ النَّـاسُ وَفِيهِ الإسقَامُ وَالإبـرَاءُ

أَو سَكَتُّم عَنَّا فَكُنَّا كَمَن أَغـمَـضَ عَـيـنـاً فِـي جَـفـنِـهَـا الأَقـذَاءُ

أَو مَنَعتُم مَا تُسأَلُونَ فَمَـن حُـدِّ ثتُمُـوهُ لَـهُ عَلَـيـنَـا الـعَـتـلاءُ

هَل عَلِمتُم أَيَّامَ يُنتَهَبُ النَّـاسُ غِـوَاراً لِـكُـلِّ حَـيٍّ عُـواءُ

إذ رَفَـعـنَا الجِمَـالَ مِن سَعَفِ الـ ـبَحرَينِ سَيراً حَتَّى نَهَاهَا الحِسَاءُ

ثُـمَّ مِـلـنَـا عَلَـى تَمِيمٍ فَأَحرَمنَـا وَفِـيـنَـا بَـنَـاتُ قَـومٍ إمَـاءُ

لا يُقِـيـمُ العَـزيـزُ بِالبَلَدِ السَهـلِ وَلا يَـنـفَـعُ الـذَّلِـيـلَ النِجَـاءُ

لَيــسَ يُـنــجِــي الذِي يُوَائِل مِنَّــا رَأْسُ طَــوْدٍ وَحَــرَّةٌ رَجــلاءُ

مَـلِكٌ أَضـلَــعَ البَرِيَّةِ لا يُـوجَـدُ فِــيــهَا لِـمَــا لَـدَيــهِ كِـفَــاءُ

كَـتَـكَـالِيفِ قَومِنَا إِذَا غَـزَا المَنـذِرُ هَـلِ نَحــنُ لابـنِ هِنــدٍ رِعَــاءُ

مَــا أَصَـابُـوا مِـن تَغلَبِي فَمَطَلـولٌ عَلَــيــهِ إِذَا أُصِيــبَ الـعَـفَــاءُ

إِذَ أَحَــلَّ العَــلاةَ قُبَّــةَ مَـيسُـونَ فَــأَدنَــى دِيَارِهَــا العَوصَــاءُ

فَتَــأَوَّت لَــهُ قَـرَاضِبَــةٌ مِــن كُــلِّ حَــيٍّ كَـأَنَّـهُـم أَلـقَــاءُ

فَهَـداهُـم بِالأَســوَدَينِ وأَمـرُ اللهِ بَـالِـغٌ تَـشـقَــى بِــهِ الأَشـقِيَــاءُ

إِذ تَـمَـنَّـونَـهُـم غُـرُوراً فَسَاقَتهُم إِلَيــكُــم أُمــنِــيَّــةٌ أَشــرَاءُ

لَـم يَغُــرّوكُـم غُـرُوراً وَلَكــن رَفَــعَ الآلُ شَـخصَهُم وَالضَحَـاءُ

أَيُّهــا النَــاطِــقُ المُـبَلِّــغُ عَـنَّـا عِنــدَ عَـمرٍو وَهَل لِـذَكَ انتِـهَاءُ

مَـن لَـنَــا عِــنــدَهُ مِــنَ الخَيرِ آيَـاتٌ ثَـلاثٌ فِـي كُلِّهِنَّ القَضَـاءُ

آيَــةٌ شَــارِقُ الشّـقِيقَةِ إِذَا جَـاءَت مَــعَــدٌّ لِــكُــلِّ حَــيٍّ لِــوَاءُ

حَـولَ قَـيـسٍ مُستَلئِمِينَ بِكَبشٍ قَــرَظِــيٍ كَــأَنَّــهُ عَـبــــلاءُ

وَصَـتِيتٍ مِـنَ الـعَـواتِكِ لا تَنهَاهُ إِلاَّ مُــبــيَــضَّــةٌ رَعــــلاءُ

فَـرَدَدنَـاهُـمُ بِطَـعنٍ كَمَا يَخرُجُ مِن خُـربَـةِ الــمَـزَادِ الــمَــاءُ

وَحَـمَـلـنَـاهُـمُ عَـلَـى حَـزمِ ثَـهـلانِ شِــلالاً وَذُمِّــيَ الأَنسَــاءُ

وَجَـبَـهـنَــاهُـمُ بِطَعنٍ كَمَا تُنهَزُ فِـي جَـمَّـةِ الـطَـوِيِّ الـدِلاءُ

وَفَـعَـلـنَــا بِــهِم كَـمَا عَلِمَ اللهُ ومَــا أَن لِـلـحَـائِـنِـيـنَ دِمَــاءُ

ثُـمَّ حُـجــراً أَعنَي ابنَ أُمِّ قَطَـامٍ وَلَــهُ فَــارِسِـيَّــةٌ خَـضــرَاءُ

أَسَــدٌ فِـي اللِـقَـاءِ وَردٌ هَمُوسٌ وَرَبِيــعٌ إِن شَـمَّــرَت غَـبـرَاءُ

وَفَكَكنَا غُلَّ امرِيءِ القَيسِ عَنهُ بَعدَ مَا طَالَ حَبسُهُ والعَنَاءُ

وَمَعَ الجَونِ جَونِ آلِ بَنِي الأَوسِ عَتُودٌ كَأَنَّهَا دَفوَاءُ

مَا جَزِعنَا تَحتَ العَجَاجَةِ إذ وَلُّوا شِلالاً وَإذ تَلَظَّى الصِلاءُ

وَأَقَدنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِالمُنذِرِ كَرهاً إذ لا تُكَالُ الدِمَاءُ

وأَتَينَاهُمُ بِتِسعَةِ أَملاكٍ كِرَامٍ أَسلابُهُم أَغلاءُ

وَوَلَدنَا عَمرو بنِ أُمِّ أَنَاسٍ مِن قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الحِبَاءُ

مِثلُهَا تُخرِجُ النَصِيحةَ للقَومِ فَلاةٌ مِن دُونِهَا أَفلاءُ

فَاتْرُكُوا الطَيخَ والتَعَاشِي وَإمّا تَتَعَاشَوا فَفِي التَعَاشِي الدَّاءُ

وَاذكُرُوا حِلفَ ذِي المَجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلاءُ

حَذَرَ الجَورِ وَالتَعدِّي وَهَل يَنقُضُ مَا فِي المَهَارِقِ الأَهوَاءُ

وَاعلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُم فِي مَا إِشتَرَطنَا يَومَ إِختَلَفنَا سَوَاءُ

عَنَناً بَاطِلاً وَظُلماً كَمَا تُعتَرُ عَن حَجرَةِ الرَبِيضِ الظِّبَاءُ

أَعَلَينَا جُنَاحُ كِندَةَ أَن يَغنَمَ غَازِيهُمُ وَمِنَّا الجَزَاءُ

أَم عَلَينَا جَرَّى إِيَادٍ كَمَا نِيطَ بِجَوزِ المُحمَّلِ الأَعبَاءُ

لَيسَ منَّا المُضَرَّبُونَ وَلا قَيسٌ وَلا جَندَلٌ وَلا الحَذَّاءُ

أَم جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنَّا مِنكُم إن غَدَرتُم بُرَآءُ

وَثَمَانُونَ مِن تَمِيمٍ بِأَيدِيهِم رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ القَضَاءُ

تَرَكُوهُم مُلَحَّبِينَ فَآبُوا بِنَهابٍ يَصَمُّ مِنهَا الحُدَاءُ

أَم عَلَينَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمَّا جَمَّعَت مِن مُحَارِبٍ غَبرَاءُ

أَم عَلَينَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَم لَيسَ عَلَينَا فِي مَا جَنَوا أَندَاءُ

ثُمَّ جَـاؤوا يَستَرجِعُونَ فَلَم تَرجِـع لَـهُـم شَـامَـةٌ وَلا زَهـــرَاءُ

لَم يُـخَـلَّوا بَـنِـي رِزَاحٍ بِبَـرقَـاءِ نِـطَـاعٍ لَـهُم عَـلَـيـهُـم دُعَـاءُ

ثُمَّ فَـاؤوا مِنهُم بِـقَاصِمَـةِ الظَّهرِ وَلا يَـبـرُدُ الـغَـلِـيـلَ المَـــاءُ

ثُمَّ خَيلٌ مِن بَعدِ ذَاكَ مَعَ الـغَـلاَّقِ لا رَأفَـــةٌ وَلا إبـــقَـــــاءُ

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِـيدُ عَلَى يَـومِ الـحَـيـارَيـنِ وَالـبَـلاءُ بَـــلاءُ

شرح مفردات المعلقة:

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

الإيذان: الإعلام. البين: الفراق. الثواء والثُويّ: الإقامة، والفعل ثوى يثوي. يقول: أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا، أي بعزمها على فراقنا، ثم قال: رب مقيم تمل إقامته ولم تكن أسماء منهم، يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أمللها، والتقدير: رب ثاو يمل من ثوائه.

٢-بَعْدَ عَهدٍ لَها بِبُرقَةِ شَمّا ... ءَ فَأَدْنَى دِيارَها الْخَلْصَاءُ

العهد: اللقاء والفعل عهد يعهد.

يقول: عزمت على فراقنا بعد أن لقيتها ببرقة شَمّاء وخلصاء التي هي أقرب ديارها إلينا.

٣-فَالْمُحيّاةُ فَالصِّفاحُ فَأَعنا ... ق فِتاقٍ فَعَاذِبٌ فَالوَفاءُ

٤-فَرياضُ القَطا فَأَودِيَةُ الشُّرْ ... بُبِ فَالشُّعْبَتَانِ فَالأَبْلاءُ

هذه كلها مواضع عهدها بها.

يقول: قد عزمت على مفارقتنا بعد طول العهد.

٥ –لا أَرى مَن عَهِدتُ فيها فَأَبكي الـ ... يَومَ دَلْهًا وَما يُحِيرُ البُكاءُ

الإحارة: الرد، من قولهم: حار الشيء يحو حورًا، أي رجع، وأحرته أنا أي رجعته فرددته.

يقول: لا أرى في هذه المواضع من عهدت فيها، يريد أسماء، فأنا أبكي اليوم.

ذاهب العقل وأي شيء رد البكاء على صاحبه؟ وهذا استفهام يتضمن الجحود، أي لا يرد البكاء على صاحبه فائتًا، ولا يجدي عليه شيئًا، وتحرير المعنى: لما خلت هذه المواضع منها بكيت جزعًا لفراقها مع علمي بأنه لا طائل في البكاء. الدَّلْه والدَّلَهُ: ذهاب العقل، والتدلية إزالته.

٦–وَبَعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدٌ النَّا ... رَ أخيرًا تُلْوِي بِهَا العَلْيَاءُ

ألوى بالشيء: أشار به. العلياء: البقعة العالية.

يخاطب نفسه ويقول: وإنما أوقدت هند النار بمرآك ومنظر منك، وكأن البقعة العالية التي أوقدتها عليها كانت تشير إليك بها، يريد أنها ظهرت لك أَتَمّ ظهور فرأيتها أتم رؤية.

٧–فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعيدٍ ... بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْك الصِّلاءُ

التَّنَوُّرُ: النظر إلى النار. خزازى: بقعة بعينها. هيهات: بعدُ الأمر جدًّا.

الصلاء مصدر صَلْيِ النَّار، وصَلِيَ بالنار يصلى صِلَىً وَصِلَاءً إذا احترق بها أو ناله حرّها.

يقول: ولقد نظرت إلى نار هند بهذه البقعة على بعد بيني وبينها لأصلاها، ثم قال: بعد منك الاصطلاء بها جدًّا، أي أردت أن آتيها فعاقتني العوائق من الحروب وغيرها.

٨-أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ العَقِيقِ فَشَخْصَيْـ ... ـنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّياءُ

يقول: أوقدت هند تلك النار بين هذين الموضعين بعود فلاحت كما يلوح الضياء.

٩-غَيْرَ أني قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمّ ... إِذَا خَفّ بالثَّوِي النَّجَاءُ

غير أني: يريد ولكني، انتقل من النسيب إلى ذكر حاله في طلب المجد. الثويّ والثاوي: المقيم. النّجاء: الإسراع في السير، والباء للتعدية.

يقول: ولكني أستعين على إمضاء همي وقضاء أمري إذا أسرع المقيم في السير لعظم الخطب وفظاعة الخوف.

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُ ... مُّ رِئَالٍ دَوِّيّةٍ سَقْفَاءُ

الزَّفيف: إسراع النعامة في سيرها ثم يستعار لسير غيرها، والفعل زفّ يزِف، والنعت زافّ، والزفوف مبالغة. الهقلة: النعامة، والظليم هقل. الرأل: ولد النعامة، والجمع رئال، الدوّية: منسوبة إلى الدوّ وهي المفازة١. السقف: طول مع انحناء، والنعت أسقف.

يقول: أستعين على إمضاء همي وقضاء أمري عند صعوبة الخطب وشدته بناقة مسرعة في سيرها، كأنها في إسراعها في السير نعامة لها أولاد طويلة منحنية لا تفارق المفاوز.

١١-آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القُ ... نَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الإِمْسَاءُ

النَّبْأَةُ: الصوت الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله. القُنّاص. جمع قانص وهو الصائد. الإفزاع: الإخافة. العصر: العشي.

يقول: أَحَسّت هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشيًّا وقد دنا دخولها في المساء، لما شبه ناقته بالنعامة بسيرها بالغ في وصف النعامة بالإسراع في السير بأنها تَئُوب إلى أولادها مع إحساسها بالصيادين وقرب المساء، فإن هذه الأسباب تزيدها إسراعًا في سيرها.

١٢–فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالوَقْ ... عِ منينا كأنه إهباء

المنين: الغبار الرقيق. الأهباء: جمع هباء، والإهباء إثارته.

يقول: فترى أنت أيها المخاطب خلف هذه الناقة من رجعها٢ قوائمها وضربها الأرض بها غبارًا رقيقًا كأنه هباء منبث. وجعله رقيقًا إشارة إلى غاية إسراعها.

١٣–وَطِرَاقًا مِنْ خَلْفِهِنّ طِرَاقٌ ... سَاقِطَاتٌ أَلْوَتْ بِهَا الصّحْرَاءُ

الطراق: يريد بها أطباق نعلها. ألوى بالشيء: أفناه وأبطله، وألوى بالشيء أشار به.

أَتَلَهّى بِهَا الْهَوَاجِرَ إِذْ كُلّ ... ابنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمْيَاءُ

يقول: أتلعب بها في أشد ما يكون من الحر إذا تحيَّر صاحب كل هم تحير الناقة البلية١ العمياء.

يقول: أركبها وأقتحم بها لفح الهواجر إذا تحير غيري في أمره، يريد أنه لا يعوقه الحرّ عن مرامه.

١٥–وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ والأَنْبَا ... ءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ

يقول: ولقد أتانا من الحوادث والأخبار أمر عظيم نحن معنيون محزونون لأجله. عُني الرجل بالشيء يُعْنَى به فهو معني به، وعنِيَ يعْنَى إذا كان ذا عناء به. وسؤت الرجل سواء ومَساءة وسوائية أحزنته.

١٦-إنّ إِخْوَانَنَا الأَرَاقِمَ يَغْلُو ... نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ

الأراقم: بطون من تغلب، سموا بها لأن امرأة شبهت عيون آبائهم بعيون الأراقم٢. الغلو: مجاوزة الحد. الإحفاء: الإلحاح. ثم فسر ذلك الخطب فقال: هو تعدي إخواننا من الأراقم علينا وغلوهم في عدوانهم علينا في مقالتهم.

١٧-يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْـ ... ـبِ وَلا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ

يريد بالخلي: البريء الخالي من الذنب.

يقول: هم يخلطون بُرَآءَنَا بمذنبينا، فلا تنفع البريء براءة ساحته من الذنب.

١٨-زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ... ـرَ مُوالٍ لَنَا وأَنّا الوَلاءُ

العير في هذا البيت يفسر: بالسيد، والحمار، والوتد، والقذى، وجبل بعينه. قوله: وأنَّا الولاء، أي أصحاب ولائهم، فحذف المضاف، ثم إن فسر العير بالسيد

١ البلية: الناقة يموت صاحبها فتحبس على قبره حتى تموت.

٢ الأراقم: جمع أرقم وهو الذكر من الحيات أو أخبثها.

مصادر الفصل الرابع:

- **شرح المعلقات السبع، الزوزني.**
- **سرح القصائد العشر، التبريزي.**
- **شرح القصائد التسع المشهورات ، لأبي جعفر النحاس.**
- **شرح ديوان الحماسة، التبريزي.**
- **شرح ديوان الحماسة، المرزوقي.**

الفصل الخامس

الشعراء الفرسان

في هذه القائمة حاولت أن أجمع فيها فطاحل العصر الجاهلي وشعرائه وفرسانه ووصف بسيط لما كانوا يمتازون به من خصال أو أهم ما ورد عنهم من أقوال وروايات أتمنى أن تروق لمن يهوى الشعر الجاهلي أو الفصيح بشكل عام.

لقيط بن يعمر خارجة الايادي

شاعر جاهلي فحل من اهل الحيرة كان يحسن الفارسية واتصل بكسري ذي الاكتاف فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ومن ادق مترجميه.

قطبة بن أوس الفزاري

شاعر جاهلي مقل يلقب ب الحادرة اي الضخم أو الحويدرة جمع محمد بن العباس اليزيدي مابقي من شعره في ديوان قسم منه مع شرح لليزيدي وترجمه للاتينية.

عمر بن مالك الملقب بالشنفرى

كان شاعرا عظيما في الجاهلية ويعد من فحول الطبقة الثانية كان من فتاك العرب وعدائيهم وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم ، له قصائد كثيرة ، في الهجاء ، وفي المدح والثناء ، وفي الغزل ، وفي الحِكم وكان من أشد العرب بأساً في زمانه صلب وقتل على يد بني الأحمر بعد أن قتل منهم ٩٩ فارس وقيست قفزاته ليلة مقتله فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة ويقال في الامثال أعدى من الشنفرى.

عدي بن ربيعة أبوليلى المهلهل

شاعر من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد وهو خال امرى القيس الشاعر قيل لقب مهلهلا لانه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه وكان من أصبح الناس وجها ومن أفصحهم لسانا عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء فسماه أخوه كليب زير النساء أي جليسهن ولما قتل جساس بن مرة كليبا ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللهو والى أن يثأر لاخيه فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة وكانت للمهلهل فيها العجائب والاخبار الكثيرة ،أما شعره فعالي الطبقة وفصيح النبرة.

عمر بن قميئة

شاعر جاهلي نشأ يتيما وأقام في الحيرة مدة وصحب حجرا أبا امرىء القيس الشاعر وخرج مع امرىء القيس أثناء توجهه إلى قيصر فمات في الطريق فكان يقال له الضائع وكان واسع الخيال في شعره وفيه يقول امرؤ القيس: بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه- الى آخر القصيدة.

ثابت بن جابر (تأبط شرا)

شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية كان من أهل تهامة فحل وبطل من أبطال الصعاليك وصديق حميم للشنفرى ويقال إنه كان ينظر إلى الظبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته قتل في بلاد هذيل والقي في غار يقال له رخمان فوجدت جثته فيه بعد مقتله.

امرؤ القيس بن حجر الكندي

أشهر شعراء العرب على الاطلاق يماني الاصل مولوده بنجد او بمخلاف السكاسك باليمن أشتهر بلقبه واختلف المؤرخون في أسمه فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي وكان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر فلقنه المهلهل الشعر فقاله وهو غلام وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب قال ابن قتيبة هو من أهل نجد والديار التي يصفها في شعره كلها ديار بني أسد وكشف لنا ابن بايهد في صحيح الاخبار عن طائفة من الاماكن الوارد ذكرها في شعره أين تقع وبماذا تسمي اليوم وكثير منها في نجد ويعرف امرؤ القيس بالملك الضليل لاضطراب أمره طوال حياته وذي القروح لما أصابه في مرض موته وكتب الادب مشحونة بأخباره وشعره وسيرته.

السموال بن عادياء الازدي

شاعر جاهلي حكيم حكيم من سكان خيبر في شمال المدينة كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الابلق أشهر شعره لاميته التي مطلعها : إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل، وهي من أجود الشعر وفي علماء الأدب من ينسبها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي وهو الذي تنسب اليه قصة الوفاء مع امرؤ القيس الشاعر.

طرفة بن العبد البكري

أبو عمرو شاعر جاهلي من الطبقة الاولى ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد واتصل بالملك عمر بن هند فجعله في ندمائه ثم أرسله بكتاب الى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله لابيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها فقتله المكعبر شابا في هجر قيل ابن عشرين عاما وقيل ابن ست وعشرين أشهر شعره معلقته ومطلعها لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم فيظاهر اليد وقد شرحها كثيرون من العلماء وجمع المحفوظ من شعره في ديوان صغير ترجم الى الفرنسية وكان هجاء غير فاحش القول ،تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره.

الحارث بن حلزة اليشكري

شاعر جاهلي من أهل بادية العراق وهو أحد أصحاب المعلقات كان أبرص فخورا أرتجل معلقته بين يدي عمر بن هند الملك بالحيرة ومطلعها آذنتنا أسماء رب ثاو يمل منه الثواء جمع بها كثير من أخبار العرب ووقائعهم وفي الامثال أفخر من الحارث بن حلزة إشارة إلى إكثاره من الفخر في معلقته هذه.

الخرنق بنت بدر البكري

شاعرة من الشهيرات في الجاهلية وهي أخت طرفة بن العبد لامه وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر تزوجها بشر بن عمرو بن مرثد سيد بني أسد وقتله بنو أسد يوم قلاب من أيام الجاهلية فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة.

عنتر بن عمرو بن شداد العبسي

احد فرسان العرب وأغربتها وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة من أكثر شعراء الجاهلية بأساً وشدة، توفي قبل البعثة النبوية.

حاتم بن عبدالله الطائي

أبو عدي فارس شاعر جواد جاهلي يضرب المثل بجوده كان من أهل نجد وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية ومات في عوارض جبل في بلاد طيىء قال ياقوت وقبر حاتم عليه شعره كثير ضاع

معظمة وبقي منه ديوان صغير وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الادب والتاريخ ،أرّخت وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه و سلم.

عمرو بن كلثوم التغلبي

شاعر جاهلي من الطبقة الاولي ولد في شمال جزيرة العرب في بلاد ربيعة وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد وكان من اعز الناس وهو من الفتاك الشجعان ساد قوم تغلب وهو فتى وعمّر طويلا وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند أشهر شعره معلقته التي مطلعها : الا هبي بصحنك فصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا ،يقال إنها كانت في نحو الف بيت وأنما بقي منها ماحفظه الرواة وفيها من الفخر والحماسة والعجب، مات في الجزيرة الفراتية.

العائذ بن ثعلبة من بني عبد القيس من ربيعة

شاعر جاهلي من أهل البحرين اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح ومدح النعمان بن المنذر وشعره جيد فيه حكمة ورقة جمع بعضه في ديوان وهو صاحب الابيات التي منها : فإما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميني ، وقيل اسمه محصن بن ربيعة.

عروة بن الورد بن زيد العبسي

من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم قال عبد الملك بن مروان من قال أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، له ديوان شعر يعرف بإسمه.

الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد توفية سنة ٢٤ هـ / ٦٤٤ م

من شعراء عصر المخضر المخضرمين.

تطبيقات على شعر الفرسان:

شعرنا العربي القديم شعر معارك وأيام، فقد كانت الغارة معلما واضحا من معالم الحياة الجاهلية، وكانت الحروب بين القبائل لا تكاد تهدأ، وكان الشعر دائما يواكبها، لا يتخلف عنها في صغيرة ولا كبيرة، بل هو الذي كان يشعلها ويوقد جذوتها في كثير من الأحيان، وقد بلغ من مشاركة هذا الشعر في المعركة أن صار وثيقة تاريخية مهمة عند المؤرخين والباحثين والدارسين، عند تسجيل أيام العرب وحروبها، بل هو من أهم الوثائق في هذا الميدان.

يقدم أدبنا العربي القديم صفحات مشرقة من أدب الحرب، فقد لعبت الكلمة دورا مشرفا في جميع وقائع القوم، فكان الشعر العربي منذ أقدم العصور يواكب المعارك والأيام والحروب، وكان للشعراء دور في المعارك لا يقل عن دور الفرسان فيها، كانوا يحرصون على القتال، ويذكون روح الحمية والحماسة، ويشجعون المقاتلين، ويستثيرون الهمم والعزائم، ويذكرون الأمجاد والأحساب.

ومشاركة الكلمة في الحرب مشاركة قديمة، عرفت منذ العرب البائدة، فقد وقفت عفيرة بت عباد من جديس تنعى على قومها استسلامهم للظلم، وهتك الحرمات، وتستعديهم على طسم، فتقول:

ولو أننا كُنا رجالاً وكُنتـــم نِساءً لكُنا لا نُقَّرُّ بِذا الفِعـــلِ

فَموتوا كِراماً أو أمِيتوا عَدوكم ودِبُّوا لِنار الحَربِ بالحطبِ الجّزُلِ

وقد أشعلت كلمات عفيرة حمية الرجال، وكانت سببا لحرب طاحنة أبيدت فيها طسم، وغسلت فيها جديس عارا كاد يلحقها أبد الدهر.

والواقع أن القبائل العربية في الجاهلية كانت تعيش معيشة حربية، فهي أشبه ما تكون بكتائب تنزل للرعي، ولكنها في الوقت نفسه تتجهز بالأسلحة الكاملة، كي تدفع الخصوم عن

مراعيها، أو تغير على غيرها، فتسبي نساء، وتنهب أموالا، وتغنم غنائم، وقد اشتهر بين العرب جماعة من الشعراء الفرسان، وطار صيتهم بين القائل، لما اظهروا من ضروب البطولة، وما عرفوا به من مهارة الكر والفر. وكان لشعرهم دور في المعارك، لا يقل عن دورهم الذي كانوا يمارسونه بالسيف والسنان، ويلقانا في تاريخ الأدب العربي عدد كبير من أسماء هؤلاء الفرسان، وقصص مثيرة عن بطولاتهم النادرة، كالمهلهل بن ربيعة التغلبي فارس حرب البسوس، وهو الذي أشعل نيرانها ثارا لأخيه كليب، ويدور شعره حول المعارك والحروب، فهو يحمس قومه، ويدعوهم للثأر من بكر، ويذكر الرواة أن المهلهل هو عدي بن ربيعة التغلبي خال امرؤ القيس، وجد عمرو بن كلثوم. قيل انه من أقدم الشعراء الذي وصلت الينا أخبارهم وأشعارهم، وانه أول من هلهل الشعر ولذلك قيل له المهلهل، كان له أخ اسمه كليب رئيس جيش بكر وتغلب. كُليب قتل ناقة البسوس ثم قُتل كُليب، ونشبت حرب البسوس بين بكر وتغلب، دامت أربعين سنة.

وأكثر شعر المهلهل هو في رثاء أخيه كُليب، حيث يقول:

كُليب لا خيرُ في الدنيا ومن فيها إن أنت خلّيتها في من يُخلّهـــا
نعى النعاةُ كُليباً لي فقلت لهـــم سالت بنا الارضُ أو زالت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت وحالت الارض فانجابت بمن فيهـا

ويقول في قصيدة أخرى تنسب إليه غلب عليها الطابع الحكمي:

الزير أنشدَ شعرا من ضمـــــائره العز بالسيف ليس العز بالمال
شيبوم أرسل نهار الحرب يطلبني يريد حربي وقتلي دون أبطالي
نصحته عن حربي فلم يطاوعني بارزته فهوى للأرض في الحال
المال يبني بيوتا لا عمـــاد لها والفقر يهدم بيوتا سقفها عال
دع المقادير تجري في أعنتهـا ولا تبيتن إلا خالـــــــيَ البال

ما بين لحظة عين وانتباهتهـــا يغير الله من حال إلى حـــــال

فكن مع الناس كالميزان معتدل ولا تقولن ذا عمي وذا خـــــال

العم من كنتُ مغمورًا بنعمتـــه والخال من كنت من أضراره خال

لا يقطع الرأس إلا من يركبـــه ولا ترد المنايا كثرة المـــــــال

الشعراء الفرسان المشهورين دريد بن الصمة، وخفاف بن ندبة، والزبرقان بن بدر، وعروة بن الورد، وقيس بن زهير، والسليك بن السلكة، والجحاف بن حكيم، وأبو المغلس مالك بن نويرة، وغيرهم كثيرون.

ولكن أشهر فارس احتفظت به ذاكرة الأجيال منذ القديم وحتى يومنا هذا: عنترة بن شداد، الذي طارت شهرته بالفروسية والشجاعة الخارقة منذ الجاهلية، حتى صار مثلا رفيعا للبسالة والبطولة الحربية، فهو الذي دوخ الأبطال في حروب داحس والغبراء، واستعاد – ببلائه في الحرب – مكانته وحريته اللتين فقدهما، بسبب عبوديته وسواد لونه.

وشعر عنترة كله في الحرب، والتغني بشجاعته فيها، فهو فارس شهم يقاتل لمجد قومه، وذب العار عنهم، ولا يقاتل للغنائم والأسلاب، وهو مقدام جسور في وقت تشتد فيه الحرب، ويندر من يصبر على نارها، يقول في معلقته المشهورة:

العصور مجندا لخدمة المعركة والحرب، ولو استنطقنا

هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِـي

إذْ لا أَزَالُ عَلَى رِحَالـةِ سَابِحٍ نَهْدٍ تعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّـــمِ

طَوْراً يُجَرَّدُ للطَّعانِ وتَــارَةً يَأْوِي إلى حَصِدِ القِسِيّ عَرَمْرِمِ

يُخْبِرِكِ مَنْ شَهَدَ الوَقيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ

ولقد ذكرتك والرماح نواهـل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنهـا لمعت كبارق ثغرك المتبســم

ومُدَّجِجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَــهُ لامُمْعنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِــم

جَادَتْ لهُ كَفّي بِعاجِلِ طَعْنَــةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَــوَّمِ

بِرَحِيبةِ الفَرْعَينِ يَهدي جَرْسُها بالليلِ مُعْتَسَّ الذِئَابِ الضُــرَّمِ

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَــهُ ليسَ الكَريمُ على القَنا بِمُحَــرَّمِ

فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنَشْنَــهُ يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانهِ والمِعْصَمِ

مميزات شعر الفرسان:

١-انهم كانوا يميلون إلى القصائد ذات الموضوع الواحد، او المقطوعات، فكانوا نادرا ما يطيلون نصوصهم.

٢-انهم كانوا يقصرون أشعارهم على موضوعات محددة، وما يتعلق بها من ظروف هي محور شعر الفرسان.

٣-نادرا ما كانوا يمارسون الافتتاح والرحلة التقليدية التي كان يمارسها القبائل، وإذا أرادوا أن يهيئوا لغرضهم في بعض قصائدهم كانوا يستحضرون صورة عاذلة تحاورهم وتحاول منعهم من القتال، فيردون عليها بأنهم لابد أن يردوا القتال ويمارسوه ويحتجون بأن الموت لابد أن ينال الأنسال والموت في ساحة الوغى أكرم منه على الفراش.

٤-شاعت في أشعارهم ألفاظا وتراكيب خاصة بهم فهم يكثرون من أسماء السلاح، وأسماء الخيل، ويتفننون في إطلاق أسماء على الحرب والمقاتلين.

٥-يكثرون من استعمال التراكيب المبدوءة بواو، ورب وصيغ الأمر والاستفهام والنهي.

الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

الصعلوك في اللغة الفقير الذي لا يملك المال والصعاليك الذين تذكرهم كتب الأدب وتاريخه جماعة من فقراء العرب نبذهم مجتمعهم الجاهلي فقامت حياتهم على السلب والنهب منهم من نُبذوا لعدم اعتراف آبائهم ينسبهم لسواد لونهم فسموا بأغربة العرب ومن هؤلاء السليك بن السلكه وتأبط شراً والشنفرى ومنهم من نبذتهم قبائلهم بسبب جرائرهم ولأسباب تتعلق بالثار والمنازعات المختلفة ومنهم من احترف الصعلكة

احترافاً مثل عروة بن الورد وقبيلتي فهم وهذيل وبما أن ظاهرة الصعلكة كانت نتاجاً لبعض السلبيات التي سادت العصر الجاهلي فقد اختفت بعد ظهور الإسلام لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتقَئكُمْ ﴾ (الحجرات (١٢).

ويمتاز الصعاليك بالشجاعة والصبر وسرعة العدو حتى سموا بالعدائين وتضرب بهم الأمثال في شدة العدو فيقال أعلى من الشنفرى و أعدى من السليك وتروى عنهم أقاصيص في هذا الجانب من ذلك ما يقال عن تأبط شراً من أنه كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين وأنه كان ينظر إلى الظباء فينتقي أسمنها ثم يجري خلفها فلا تفوته، ويقول هو عن نفسه : لا شيء أسرع مني ليس ذا عُذر ويقال إن قفزات الشنفرى قيست ليلة مقتله فكانت الواحدة منها قريباً من وذا جناح بجنب الريد خفاق عشرين خطوة وتتردد في أشعارهم جميعاً صيحات الفقر والجوع والثورة على الأغنياء والاشحاء والتغني بمغامراتهم وبالكرم والبر بالأهل والأقارب والفقراء ويقال إنهم كانوا لا يسلبون سيداً كريماً ولعل من أنبل الصعاليك عروة بن الورد العبسي ويوصف بالصعلوك الشريف فقد رفع الصعلكة فجعلها ضرباً من ضروب السيادة والمروءة وهو القائل :

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

أي أنه يقسم طعامه بينه وبين الفقراء بل يؤثرهم على نفسه بكل طعامه في أيام الجدب والبؤس وزمهرير الشتاء ويكتفي بشرب الماء البارد وعروة بن الورد أحمد شجعان عيس وأشرافهم ولم تخلعه قبيله كالشنفرى وتأبط شراً وقد تصعلك شفقة بالمستضعفين والفقراء من قبيلته.

توزّع شعراء الجاهلية الصعاليك في ثلاث مجموعات، هي:

١.مجموعة الخلعاء:

وهم الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم، ومنهم: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطحان القيني.

٢.أبناء الحبشيات السود:

وهم ممن نبذهم آباؤهم ولم ينسبوهم إليهم، لعار ولادتهم، ومنهم: السليك بن السليكة، و تأبط شرًا، والشنفرى.

٣.مجموعة المتصعلكين:

وهم الذين احترفوا الصعلكة احترافًا، ومنهم قبائل بأسرها مثل قبيلَتا هذيل وفَهم، ومنهم أفراد مثل عروة بن الورد العبسي.

ومن أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك:

الشنفرى الأزدي الشّنفرى (توفّي نحو ٧٠ ق.هـ) من أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك الذين لاقوا شظفَ العيش وقسوته في الصحارى والبراري، وقد اختلف الدارسون حول اسم الشنفرى فقيل إنّه عمرو بن براق، وقيل إنّه ثابت بن أواس الأزدي، لقب بالشنفرى لِغلظةٍ في شفتَيْه، وهو أحد الخلعاء العرب الذين تبرأت منهم القبيلة، وقد كان عدّاءً لا يجاريه مجارٍ حتى صار مضرب المثل في ذلك، اعتمد لتلبية متطلبات معيشته على الإغارة والسّلب والنّهب، وقد تمرّد على قبيلة سلامان وخرج عنها، واستبدل بهم قومًا آخرين من السباع والبقر الوحشي كما في قوله في قصيدة لامية العرب:

(من الطويل)

١- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

٢- فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

٣- وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

٤- لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ

٥- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

٦- هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

٧- وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

٨- وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

٩- وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

١٠- وَإنّـي كَفَانِـي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً بِحُسْنَى ولا في قُرْبِـهِ مُتَعَلَّلُ

١١- ثَـلاَثَـةُ أصْحَـابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّـعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

١٢- هَتُوفٌ مِنَ المُلْسَ المُتُونِ تَزِينُـها رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ

١٣- إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها مُرَزَّأةٌ عَجْلَى ثُرِنُّ وَتُعْوِلُ

١٤- وَأغْدو خَمِيصَ البَطْنِ لا يَسْتَفِزُّنِي إلى الزَادِ حِرْصٌ أو فُؤَادٌ مُوَكَّلُ

١٥- وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّـي سَوَامَـه مُجَدَّعَـةً سُقْبَانُها وَهْيَ بُهَّلُ

١٦- ولا جُبَّأٍ أكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِـهِ يُطَالِعُها في شَأْنِـهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

١٧- وَلاَ خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فـؤادَهُ يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

١٨- ولا خَالِـفٍ دارِيَّـةٍ مُتَغَزِّلٍ يَرُوحُ وَيغْدُو داهناً يَتَكَحَّلُ

١٩- وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلَفَّ إذا ما رُعْتَـهُ اهْتَاجَ أعْزَلُ

٢٠- وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلاَمِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسّيفِ يَهْمَاءُ هؤجَلُ

٢١- إذا الأمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منـه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

٢٢- أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَـهُ وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

٢٣- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأرْضِ كَيْلا يُرَى لَـهُ عَلَـيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

٢٤- ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بـه إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

٢٥- وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بـي على الذامِ إلاَّ رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

٢٦- وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَـةُ مـارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

٢٧- وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أطْحَلُ

٢٨- غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرّيحَ هَافِياً يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ

٢٩- فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

٣٠- مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنَّها قِدَاحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

٣١- أوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

٣٢- مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَها شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

٣٣- فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

٣٤- وأغْضَى وأغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ بـه مَرَامِيلُ عَزَّاها وعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

٣٥- شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلِلصَبْرُ إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أجْمَلُ

٣٦- وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِراتٍ وَكُلُّها على نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

٣٧- وَتَشْرَبُ أسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَما سَرَتْ قَرَباً أحْنَاؤُها تَتَصَلْصَلُ

٣٨- هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وأسْدَلَتْ وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

٣٩- فَوَلَّيْتُ عَنْها وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ يُبَاشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

٤٠- كأنَّ وَغَاها حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ أضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ

٤١- تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إلَيْهِ فَضَمَّهَا كما ضَمَّ أذْوَادَ الأصَارِيمِ مَنْهَلُ

٤٢- فَغَبَّ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كأنّها مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

٤٣- وآلَفُ وَجْهَ الأرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِها بأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

٤٤- وَأعْدِلُ مَنْحُوضاً كأنَّ فُصُوصَهُ كعَابٌ دَحَاهَا لاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

٤٥- فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ

٤٦- طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُـهُ لِأيِّها حُمَّ أَوَّلُ

٤٧- تَنَامُ إذا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُها حِثَاثاً إلى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ

٤٨- وإلْفُ هُمُومٍ ما تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَاداً كَحُمَّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثْقَلُ

٤٩- إذا وَرَدَتْ أصْدَرْتُها ثمّ إنّها تَثُوبُ فَتَأتي مِنْ تُحَيْتُ ومِنْ عَلُ

٥٠- فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِياً على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ

٥١- فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ

٥٢- وأُعْدِمُ أَحْيَاناً وأَغْنَى وإنَّما يَنَالُ الغِنَى ذو البُعْدَةِ المُتَبَذِّلُ

٥٣- فلا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ولا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أتَخَيَّلُ

٥٤- ولا تَزْدَهِي الأجْهالُ حِلْمِي ولا أُرَى سَؤُولاً بأعْقَاب الأقَاوِيلِ أُنْمِلُ

٥٥- وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأقْطُعَهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ

٥٦- دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ

٥٧- فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ أليَلُ

٥٨- وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

٥٩- فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ

٦٠- فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْدَلُ

٦١- فَإنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأبْرَحُ طارِقاً وإنْ يَكُ إنْسَاً ما كَها الإنسُ تَفْعَلُ

٦٢- وَيومٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ أفاعِيهِ في رَمْضائِهِ تَتَمَلْمَلُ

٦٣- نَصَبْتُ له وَجْهي ولا كِنَّ دُونَهُ ولا سِتْرَ إلاَّ الأتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ

٦٤- وَضَافٍ إذا طَارَتْ له الرِّيحُ طَيَّرَتْ لبائِدَ عن أعْطَافِهِ ما تُرَجَّلُ

٦٥- بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ لـه عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسْلِ مُحْوِلُ

٦٦- وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

٦٧- فألْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْرَاهُ مُوفِياً عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَازاً وَأمْثُلُ

٦٨- تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلي كأنّها عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاَءُ المُذَيَّلُ

٦٩- ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّني مِنَ العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ

عروة بن الورد عروة بن الورد (توفّي ١٥ ق.هـ/٦٠٧م)

شاعر من قبيلة عبس، وقد كان لأبيه مقام محمود في حرب داحس والغبراء، وكانت أمه من بني نهد وهم ليسوا من أشراف القبائل، فغض ذلك من منزلته[٤]، وقد كان فارسًا من فرسان الجاهلية المعدودين، كما عُرف بجوده وحسن خلقه، ولقب بعروة الصعاليك أو أمير الصعاليك؛ لأنه كان يجمع صعاليك العرب ويقوم بأمرهم فيرعى أحوالهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش يعتاشون به. ولعل طيبة قلبه وحنوه على أمثال هؤلاء من الصعاليك قد أوهن رباطه العائلي، إذ لامته زوجاته في كثير من الأحيان على مغامراته وبذل نفسه وماله من أجل الصعاليك، وهو على قلق حياته الاجتماعية واضطرابها، إلا أنه على المستوى الثقافي الشعري كان قد بلغ الآفاق، حتى أن قبيلته عبس تراه أشعر الشعراء، في حين أنّها تنظر إلى عنترة بن شداد كفارس بطل، فهو القائل:

وَقَد عَلِمَت سُلَيمى أَنَّ رَأيِي وَرَأيَ البُخلِ مُختَلِفٌ شَتيتُ

وَأَنّي لا يُريني البُخلَ رَأيٌ سَواءٌ إِن عَطِشتُ وَإِن رُويتُ

وَأَنّي حينَ تَشتَجِرُ العَوالي حَوالي اللُبَّ ذو رَأيٍ زَميتُ

وَأُكفى ما عَلِمتُ بِفَضلِ عِلمٍ وَأَسأَلُ ذا البَيانِ إِذا عَميتُ

تأبط شرًا تأبّطَ شرًا (توفّي ١٥ ق.هـ/٦٠٧م)

من أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك واسمه ثابت بن جابر من فهم من قبيلة قيس، وأمه أميمة من بني القين من فهم، وتأبط شرًا لقب لقّب به فقد قيل إنّه رأى كبشًا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحيّ ثقل عليه الكبش فرمى به فإذا به الغول فقال له قومه: ما كنت متأبطًا يا ثابت؟ قال: الغول، فقالوا: لقد تأبطت شرًا، فسمي بذلك، وقد احتج الرواة على صحة الرواية بشعر له ذكر فيه وصف الغول، كما في قوله:

فَأَصْبَحْتُ والغُولُ لي جَارَةٌ فَيَا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَلا

وَطَالَبْتُهَا بُضْعَهَا فَالْتَوَتْ بِوَجْهٍ تَهَوَّلَ فَاسْتَغْوَلا

فقلتُ لها يا انظري كي تريْ فولّت فكنتُ لها أغوَلا

وقد كان تأبط شرًا أسمَعَ العرب وأبصرَهم وأكيَدَهم، وكان أعدى رجل بينهم، ينظر إلى الظباء فينتقي أسمنها، ثم يعدو خلفه فلا يفوته، وكثيرًا ما كان يرتكز على الغزو والسلب والنهب والصيد للترزّق والكسب كسائر الصعاليك.

أما ثقافته وشعريته، فقد كان شاعرًا محنكًا، شكل شعره سجلًا لسيرته الذاتية، التي خلّدت مغامراته وآلامه وأحوال حياته وتنقلاته.

السليك بن السليكة

السليك بن السليكة بن عمرو من بني مقاعس من بني سعد من بني تميم (توفي عام ١٧ ق.هـ/٦٠٥م)، من أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك، ورث اللون الأسود عن أمه السليكة، وقد عد من أغربة العرب وهجنائهم لذلك، وقد كان من أشد رجال العرب وأشعرهم، وقد لقبته العرب بسليك المناقب حيث كان أعلمهم بمسالك الصحراء ودروبها وأسرعهم عدوًا على رجليه حتى أن الخيل لا تدركه، سعى جاهدًا لنيل حريته فقد كان طموحًا طامعًا لا يرتضي بالقليل، حتى نجح في هذا ونال حريته[١٠]، ويقول في وصف نفسه وشجاعته:

ولكنَّ صعلوكًا صفيحةُ وجههِ كضَوءِ شِهابِ القابس المتنوّرِ

مطلًا على أعدائهِ يزجرونه بساحتهم، زجرَ المنيحِ المُشَهَّرِ

فذلك إن يلقَ المنيّة يَلْقَها حميدًا، وإن يَستَغنِ يومًا، فأجدِرِ

وقد بدا شعره مرآة تعكس طبيعة حياته المتمردة، وبنيته القوية الشديدة، فقد تميزت عباراته بالقوة والجزالة، وبدت موضوعاته وقد تمحورت حول الحرية والسعي في سبيل الوصول إليها فكان بحق أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك.

حاجز بن عوف الأزدي

وهو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخشم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان، وهو من أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك ولصوصها، وهو شاعر مقل إذ لم يصلنا منه سوى قصيدتَيْن، فقد قيل إن أكثر شعره قد ضاع وفقد، ومن شعره:

صَباحَكِ واسْلَمِي عنّا أمَاما تَحيّة وامِقٍ وعمِي ظّلاما

برهرهَةٍ يَحارُ الطّرْف فيها كحقّةِ تاجِرٍ شَدّت خِتاما

فإنْ تمسّ ابنة السّهْميّ منّا بعيدًا لا تُكلّمْنا كَلاما

فإنَّكَ لا مَحالةَ أنْ ترِيني ولو أمْسَت حبالُكُمُ رِمامَا

بناجيةِ القَوائِمِ عيسجور تدارك نيها عامًا فَعاما

سَلِي عنّي إذا اغبرَتْ جُمَادى وكانَ طعامُ ضيفِهِمُ الثّمَامَا

السّنا عِصمَةُ الأضياف حتّى يضحى مالُهُمُ نفلًا تواما

أبي ربعُ الفَوارِسِ يومَ داج وعمّي مالكٌ وضَعَ السّهَاما

فَلَو صَاحبْتَنَا لَرَضِيتَ منّا إذا لم تَغبقِ المَائة الغُلَاما

وعلى الرّغم من شظف العيش الذي لحق بحاجز الأزدي، وتمرده على قبيلته إلا أنه لم يتحرر فعليًا مما غرس عليه أبناء الجاهلية من حب المفاخر والاعتزاز بالنسب وبالأخلاق الحميدة المعروفة كإكرام الضيف والشّجاعة وغيرها، حتى كأنّه أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك والأجاويد في آن معًا، فها هو يفاخر الشعراء بأبيه وعمه، وكأنه يصارع لاوعيه الذي يظل يشده على الدوام للقبيلة والأهل رغم البعد والتمرد عليها.

قيس بن الحدادية الخزاعي

هو من أبرز شعراء الجاهلية الصعاليك، واسمه قيس بن منذر بن عمرو، يرد أصل نسبه إلى قبيلة خزاعة إلا أنه يعرف بابن الحدادية الخزاعي نسبة إلى أمه وهي من بني حداد من كنانة، إذ تبرأ قومه منه ومن جرائره حين قتل رجلًا منهم وعجزوا عن دفع ديته. ولكن ذلك لم يخمد قواه ولم يحبط عزائمه فقد

ازداد شراسة وضراوة، وجعل قومه هدفًا من أهداف غاراته، وهو رغم كل ذلك سيد كريم، جعل نفسه ملجأ للصعاليك والفقراء، وقد نظم الكثير من الشعر قبل تصعلكه في موضوعات متنوعة كالغزل والفخر، إضافة إلى ما كتبه بعد تصعلكه، وقيل أنه كان يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعية وله فيها شعر بديع، إذ يقول فيها:

قَالتْ وعيناها تَفِيضانِ عَبْـــــرَةً بِنَفْسي بينَ لي متى أنتَ راجِعُ

فقلتُ لها واللهِ يَدري مُسافِرٌ إذا أضمرتْهُ الأرضُ ما اللهُ صانِعُ

من أبرز سمات شعر الصعاليك

١. التخلص من المقدمة التقليدية للقصيدة الجاهلية.

٢. الارتباط بالطبيعة .

٣. وصف أحوال الإنسان المتشرد ومعاشرة حيوانات الصحراء بعيداً عن الإنسان .

٤. شعرهم يجمع عناصر قصصية كالشخصيات والاحداث والإثارة والتسلسل الذي يقود إلى الخاتمة

٥. أغلب أشعارهم مقطوعات.

٦. لغة شعرهم تتسم بالغرابة أكثر من غيرهم.

مصادر الفصل الخامس:

٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي.

٦. تاريخ العرب الأدبي، نيكلسون.

٧. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي.

٨. قضايا الأدب الجاهلي، د. محمد أبو الأنور.

٩. المزهر ، السيوطي.

١٠. رسالة الغفران، أبو العلاء المعري.

١١. تاريخ الآداب العربية حتى عصر بني أميو، نالينو.

الفصل السادس

النثر الجاهلي

النثر أحد قسمي القول، فالكلام الأدبي كله إما أن يصاغ في قالب الشعر المنظوم وإما في قالب القول المنثور. ولابن رشيق المسيلي القيرواني وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، لم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، وإن كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية.

يشرح ابن رشيق أن أصل التسمية في المنظوم وهي من نظم الدر في العقد وغيره، إما للزينة أو حفظا له من التشتت والضياع، أما إذا كان الدر منثورا. لم يؤمن عليه ولم ينتفع به.

من هنا حصلت عملية تشبيه الكلام الأدبي بالدور والمجوهرات وتوهم الناس أن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة. وذلك بالنظر إلى سهولة حفظ الكلام المنظوم واستظهاره بسبب الوزن، وانعدام الوزن في الكلام المنثور يجعله عرضة للنسيان والضياع، وذلك في وقت كان الناس فيه يتداولون النصوص الأدبية مشافهة دون الكتابة في هذا العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول، وقد زال هذا التفاضل في عصور التدوين وكتابة النصوص كما في زماننا الحاضر، بحيث اختصَ كُلٌ من النثر والشعر بمجالات في القول تجعله أليق به. ويعتقد ابن رشيق محقاً: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، وهو يقصد بذلك تلك الحقبة الزمنية قبل الإسلام وبدايات العهد الإسلامي تخصيصاً.

وجاء هذا رداً كافياً على الذين ينفون وجود نثر فني عربي جيد قبل الإسلام، وإنما كان ضياع ذلك النثر الجاهلي أو اختلاطه بسبب طبيعته الفنية الخالية من الوزن. وهو لم يعن بذلك إلا النثر الفني أي الأدبي الذي يتوفر – كما ذكر بروكلمان – «على قوة التأثير بالكلام المتخير الحسن الصياغة والتأليف في أفكار الناس وعزائمهم». أما النثر الاعتيادي الذي يستعمل بين الأفراد في التداول اليومي الغرض الاتصال وقضاء الحاجات والثرثرة مما ليس فيه متانة السبك والتجويد البلاغي ولا قوة التأثير فلا يعتد به، وليس له قيمة اعتبارية في الدراسة الأدبية. إن ما روي من النثر الجاهلي قليل بالنسبة لما روي من الشعر، وذلك لسهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي والاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها، وقلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية.

أنواع النثر الفني العربي في العصر الجاهلي

على الرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فإن الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة.

الخطابة

الخطابة: هي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد على المشافهة فن مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة بكلام بليغ وجيز وهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها . وهي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد على المشافهة، لأنها فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد على الاستمالة وعلى إثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة، أما الإقناع فيقوم على مخاطبة العقل، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين.

من أقسام أو أجزاء الخطبة:

٢- المقدمة

٣- والموضوع

٤- والخاتمة.

ومن أهداف الخطبة:

١- الإفهام

٢- والإقناع

٣- والإمتاع

٤- والاستمالة.

للخطابة مميزات تمتاز بها عن غيرها من الفنون، لذلك لا نستغرب أن يتحدث الجاحظ عن وجودها، ومنها:

١. إن لها تقاليد فنية، وبنيوية، وسمات.
٢. ولها زي معين وهيأة تمثيلية للخطيب، وأصول في المعاملة.
٣. كما أنها تستدعي احتشاد الناس من وجهاء القوم.
٤. ولها أماكن إلقاء هي نفسها أماكن التجمعات الكبرى (مضارب الخيام، ساحات النزول، مجالس المسر، الأسواق.

من خصائص أسلوب الخطبة:

١- قصر الجمل والفقرات.
٢- وجودة العبارة والمعاني.
٣- وشدة الإقناع والتأثير.
٤- والسهولة ووضوح الفكرة.
٥- وجمال التعبير.
٦- وسلامة الألفاظ.
٧- والتنويع في الأسلوب ما بين الإنشائي والخبري.
٨- وقلة الصور البيانية، والإكثار من السجع غير المكلف.

- كان من أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي

١- حرية القول.
٢- ودواعي الخطابة كالحرب والصلح والمغامرات.
٣- والفصاحة فكل العرب كانوا فصحاء.

تعددت أنواع الخطابة باختلاف الموضوع والمضمون، فمنها:

١- **الدينية** : التي تعمد إلى الوعظ والإرشاد والتذكير والتفكير.

خطبة أكثم بن صيفي في عزاء الملك عمرو بن هند بأخيه "إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفْرٌ، لا يَحُلُّونَ عَقْدَ الرِّحَالِ إلا في غَيْرِهَا، وَقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظْعَنُ عَنْكَ وَيَدَعُكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلاثَةُ أَيَّامٍ: فَأَمْسِ عِظَةٌ وَشَاهِدُ عَدْلٍ فَجَعَكَ بِنَفْسِهِ، وَأَبْقَى لَكَ وَعَلَيْكَ حِكْمَتَهُ، وَاليَوْمَ غَنِيْمَةٌ، وَصَدِيقٌ أَتَاكَ وَلم تَأْتِهِ، طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتُهُ، وَسَتُسْرِعُ عَنْكَ رِحْلَتُهُ، وَغَدًا لا تَدْرِي مَنْ أَهْلُهُ، وَسَيَأْتِيْكَ إِنْ وَجَدَكَ".

٢- **السياسية** التي تستعمل لخدمة أغراض الدولة أو القبيلة.

خطبة هانئ بن قبيضة قبيل موقعة ذي قار "يا معشر بكر، هالك معذور خيرٌ من ناج فرور، إنّ الحذر لا ينجي من القدر، وإنّ الصبر من أسباب الظّفر، المنيّة خيرٌ من الدّنية، واستقبال الموت خيرٌ من استدباره، والطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأدبار والظهور، يا آل بكر قاتلوا، فما من المنايا بدّ".

٣- **الاجتماعية** التي تعالج قضايا المجتمع الداخلية، والعالقة منها من أمور الناس، كالزواج...الخ، ومنها.

من أمثل الخطب في الزوج خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه و سلم بالسيدة خديجة رضي الله عنها، ولا يخلو منها كتاب أدب. قال : "**الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم ، و زرع إسماعيل ، و جعل لنا بلدًا حرامًا و بيتًا محجوجا ، و جعلنا الحكّامَ على النّاس ، ثمّ إنّ محمّدَ بنّ عبدِ الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا و فضلا و كرما و عقلا و إن كان في المال قُلٌّ ، فإنّ المال ظلٌّ زائلٌ ، و عارية مسترجعة ، و له في خديجة بنتِ خويلدِ رغبة ، و لها فيه مثل ذلك و ما أحببتم من الصداق فَعَلَيَّ**".

٤- **الحربية** التي تستعمل بغية إثارة الحماسة وتأجيج النفوس، وشد العزائم، وقضائية التي تقتضي الفصل والحكم بين أمور الناس، يستعملها عادة الحاكم أو القاضي.

من الملاحَظ أن جُل هذه الخصائص اجتمعت في خطبة لقس بن ساعدة الايادي والجدير بالذكر أنه أول من قال في خطبته: (أما بعد) وتسمي (فصل الخطاب)، لأنها تفصل المقدمة عن الموضوع. ولقد اقترن موضوع الخطابة بالزعامة، أو الرئاسة للقبيلة أو القوم، كما اقترن من جهة أخرى بلفظ الحسام، فلا مجال لبروز الحسام قبل بروز الكلام، ولا مطمع لسيادة القوم إلا بعد إتقان فن القول، كما أن الخطابة قديمة الحضارات، وقدم حياة الجماعات، فقد عرفت عند المصريين، الرومان، اليونان ٥٠ق.م قبل الميلاد.

خطبَ قُسُّ بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ، فقال:

(أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة.

إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا، يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه إن لله دينا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، وإنكم لتأتون من الأمر منكرا).

ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك يقول:

في الذاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي إليَّ ولا من الباقين غابر

أيقنت أني لا محا لة حيث صار القوم صائر.

القصص

القصص –كما عبر بروكلمان– من الأشياء التي تهفو إليها النفوس وتسمو إليها الأعُين، فكان القاص أو الحاكي، يتخذ مجلسه بالليل أو في الأماسي عند مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة وفي مجالس أهل القرى والحضر، وهم سكان المدن بلغتنا اليوم.

فالقصص فن نثري متميز، عبارة عن مجموعة من الأحداث تتناول حادثة وواقعة واحدة، أو عدة وقائع، تتعلق بشخصيات إنسانية منها وأخرى مختلفة –غير إنسانية .–للقصص قسمين حسب طبيعة أحداثها هما:

١. حقيقية واقعية.

٢. خيالية خرافية.

تتميز القصة، بأنها تصور فترة كاملة من حياة خاصة، أو مجموعة من الحيوانات، فهي تعمد إلى عرض سلسلة من الأحداث الهامة وفقاً لترتيب معين. بينما نجد الأقصوصة تتناول قطاعاً أو موقفاً من الحياة، فهي تعمد إلى إبراز صورة متألقة واضحة المعالم بينة القسمات، تؤدي بدورها لأبراز فكرة معينة.

- القاص: هو السارد للأحداث، أو هو خالق مبدع، تزدحم في رأسه أحداث وشخصيات، ينفخ فيها الروح لتتحدث بنعمة الحياة. مهمته أن يحمل القارئ إلى حياة القصة، ويتيح له الاندماج التام في أحداثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث ما بينهما، ويعود الأمر إلى قدرة القاص على التجسيد والإقناع.
- **أنواع القصص**

١. قصص التسلية والمتعة.
٢. قصص الوعظ والإرشاد.
٣. القصص الحماسية، فكان بعضها يدور حول: الفروسية، تاريخ القبيلة، بطولات الأمجاد؛ مثل حرب البسوس، داحس والغبراء.
٤. القصص الاجتماعية، كانت قصصاُ من وقائع الحياة الاجتماعية اليومية بغية الإمتاع والتسلية.
٥. القصص الخرافية، أو الأساطير، مثل قصص الغول ومنازلته في الصحراء وقصص الجان.

فكان العرب يستمد قصصهم ومواضيعهم من حياتهم، مواقفهم، نزالاتهم، وموروثهم الثقافي مما تناقل إليهم عبر الرواية من الأسلاف، لكن هناك البعض مما استمده من جيرانهم؛ كالأحباش، الروم، الفرس، الهنود. وقد وجد فن القص، أن النثر أنجع وسيلة يستعملها أو يصطنعها القاص للوصول لهدفه، لأن الشعر بما فيه من عواطف متأججة، وخيال جامح، وموسيقى خارجية، وغير ذلك مما يرتكز عليه، لا يصلح لان يعبر تعبيراً صادقاً دقيقاً عن تسلسل الأحداث وتطور الشخصيات، في تلك الحياة التي يجب أن تكون مموهة من الواقع.

ولكل قصة عنصر سائد يميزها، فكل قصة نقرؤها قد تترك في النفس أثراً أو انطباعا ما، قد ينتج عن الأحداث أو الشخصيات، أو عن فكرة ما... ذلك الانطباع هو العنصر السائد وهو المحرك في القصة، وهو لا يمكن تحديده بدقة.

أما عناصر القصة هي:

٦. القطع أو الاقتباس.
٧. الأحداث.
٨. الحبكة.
٩. التشويق.
١٠. الحوار.
١١. الخبر.
١٢. الأسلوب.

وللعلم فهناك نوعين للقصة:

١–قصة ذات حبكة مفككة: التي تقوم على سلسلة من الأحداث المنفصلة، غير المترابطة، ووحدة العمل القصصي فيها لا تقوم على تسلسل الأحداث.

٢–قصة ذات حبكة عضوية متماسكة: تقوم على حوادث مترابطة تسير في خط مستقيم والحبكة ذاتها تنقسم إلى قسمين: حبكة بسيطة: تكون القصة مبنية على حكاية واحدة حبة مركبة: تكون القصة مبنية على أكثر من حكاية واحدة، تتداخل فيما بينه.

نماذج من القصص في العصر الجاهلي

زرقاء اليمامة

هي شخصية عربية جاهلية من أهل اليمامة كانت مضربًا للمثل في حدِّة النظر وجودة البصر، إذ قيل أنها كانت تبصر الأشياء من مسيرة ثلاثة أيام وبهذه القدرة أنذرت قومها بأن وفود حسان بن تبع الحميري وجموعه قادمة إليهم مستترة بالأشجار تريد غزوهم ولكنهم اتهموها بالخرف ولم يصدقوها فاجتاحهم الأخير وقضى عليهم.

اسمها ونسبها

زرقاء اليمامة أو زرقاء جو أو اليمامة، وقيل عنزة بنت لقمان بن عاد، امرأة عربية ذات بصيرة قوية يعود أصلها إلى جديس أحد قبائل العرب البائدة المنسوبة إلى لاوذ بن إرم بن سام بن نوح وهي قبيلة ذات جاه ونفوذ كان لها في إقليم اليمامة المتوسط في قلب شبه الجزيرة العربية، قصور شامخة وحدائق وبساتين متنوعة الثمار.

قوة نظرها

يقال أنها كانت تُبصر الشَعَرَةَ البيضاء" في اللبن وترى الشخص من على يوم وليلة. وسميت بزرقاء اليمامة لزرقة عينيها.

يروى أنه في إحدى الحروب استتر العدو بفروع الأشجار وحملوها أمامهم، فرأت زرقاء اليمامة ذلك فأنذرت قومها فلم يصدقوها، فلما وصل الأعداء إلى قومها أبادوهم وهدموا بنيانهم، وقلعوا عيني زرقاء اليمامة فوجدوها محشوة بالأثمد وهو حجر أسود كانت تدقه وتكتحل به. وسميت زرقاء اليمامة بهذا الاسم لزرقة عينها.

تضرب العرب المثل بزرقاء اليمامة فيقال «أبصر من زرقاء» لجودة بصرها ولحدة نظرها، ويقال إن اليمامة اسمها وبها سميت بلدتها اليمامة، واسم البلدة جَوّ وتقع بلدتها اليمامة في سهل فسيح يسمى جو لانه فسيح كجو الفضاء، وربما قيل: زرقاء الجو كما قال أبو الطيب المتنبي:

وأبصر من زرقاء جو لأنني إذا نظرت عيناي ساواهما علمي

إن التدقيق في قصة زرقاء اليمامة يجعلنا نكتشف أن ميزتها الأساسية لم تكن قوة البصر، بل البصيرة. فالبصيرة هي قوة الإدراك والفطنة، أما البصر فهو حاسة أو قوة يمتلكها الإنسان لرؤية ما حوله، إذ يروى عنها أنها حذرت قومها من شجر يسير، وكان الأعداء قد علموا بقوة بصرها فقطعوا الأشجار واستتروا بها حتى لا تكشفهم، فلما أخبرت زرقاء قومها بأن هناك شجرا يسير لم يصدقوها وسخروا منها، فلما أطبق أعداؤهم عليهم وباغتوهم أدركوا صدق زرقاء، ولكن بعد فوات الأوان.

ولذلك، ربما تكون زرقاء اليمامة قد حذرت قومها من الغزاة، وليس بالضرورة أن تكون فعلت ذلك باستخدام بصرها، بل ربما سمعت عن الغزاة من المسافرين أو العيون «الجواسيس»، أو ربما كانت تريد من قومها البقاء في حالة استعداد وعدم التراخي حتى لا يكونوا لقمة سائغة لعدوهم الملك حسان الحميري، الذي ينسب غزو اليمامة له. ولكن النهاية المأساوية للقصة التي تمثلت في اجتياح العدو مساكن قوم زرقاء وقتل الكثيرين منهم، ربما تكون قد تناقلتها الروايات في ما بعد وضخمتها، خاصة أن الملك حسان الحميري اقتلع عيني زرقاء، فماتت بعد مضي أيام قليلة.

قصص خرافية على ألسنة الحيوانات:

هناك بعض القصص الخرافية علي ألسنة الحيوانات صارت أمثالا، وبهذا لم يكن المثل كإبداع سريع كما سبق أن رأينا وإنما يكون جزءا من شكل إبداعي أوسع والصق بعمل الخيال الخلاق ، ومن هذه القصص:

-قصة الغراب والديك:

"في الكثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديما للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئا، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب، ورهن الديك فخاس به فبقي محبوس.

وربما لهذا الغدر تشاءمت العرب من الغراب ورأته نذيرا بالفرقة والخراب ربما لأنه تسبب في فقدان الديك حريته، واستئثاره لدي البشر حتى إلىوم.

-الاحتكام إلى الضب:

أما القصة التي أبدعها العرب لتبرير عدد كبير من الأمثال فهي قصة احتكام الأرنب والثعلب إلى الضب، وتكاد كل جمل الحوار فيها تكون أمثالا وتميزت بالحيوية، ومرح الموقف، وقصر العبارة، وسلاستها، ودقة وعمق ما فيها من أمثال، إلى جانب تعدد شخوصها وصدق التعبير عن سماتها النفسية ".

هذا مما زعمت العرب على ألسن البهائم، قالوا إن الأرنب التقط ثمره فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يتخصمان إلى الضب.

فقال الأرنب: يا أبا الحسل كنية الضب

فقال الضب: سميعا دعوت.

فقال أتيناك لنختصم إليك.

قال: عادلا حكمتما.

قالت: فاخرج إلينا

قال: في بيته يؤتي الحكم.

قالت: إني وجدت ثمره.

قال: حلوة فكليها.

قالت: فاختلسها الثعلب.

قال: لنفسه بغى الخير.

قالت: فلطمته.

قال: بحقك أخذت.

قال: فلطمني.

قال: حر انتصف (أي اقتص لنفسه)

قالت: فاقض بيننا.

قال: قد قضيت.

الأمثال

المثل هو جملة قيلت في مناسبة ما ثم أصبح يُتمثل بها في أي مناسبة تشبه الأولى لما فيها من حكمة، فهو فن أدبي نثري ذو أبعاد دلالية ومعنوية متعددة، انتشر على الألسن، له مورد وله مضرب.

أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث، وذلك لحاجة الناس العملية إليها، فهي أصدق دليل عن الأمة وتفكيرها، وعاداتها وتقاليدها، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير، أقوى دلالة من الشعر في ذلك لأنه لغة طائفة ممتازة، أما هي فلغة جميع الطبقات .

المثل:

هو قول محكم الصياغة، قليل اللفظ، موجز العبارة، بليغ التعبير، يوجز تجربة إنسانية عميقة، مضمرة ومختزلة بألفاظه، نتجت عن حادثة أو قصة قيل فيها المثل، ويضرب في الحوادث المشابهة لها.

من أسباب انتشار الأمثال وشيوعها:

- خفته وحسن العبارة.
- وعمق ما فيها من حكمة لاستخلاص العبر.
- وإصابتها للغرض المنشودة منها.
- والحاجة إليها وصدق تمثيلها للحياة العامة ولأخلاق الشعوب.

من مميزات المثل:

إن خصائص المثل لا تجتمع في غيره من الكلام:

- إيجاز اللفظ.
- وإصابة المعنى.
- وحسن التشبية.
- وجودة الكتابة.
- إضافة إلى قوة العبارة والتأثير، فهو نهاية البلاغة.

والأمثال في الغالب أصلها قصة، إلا أن الفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثل لجمال إيقاعه وخفة ألفاظه وسهولة حفظه، وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها. وفي الغالب تغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص الجاهلية مثل الأمثال الواردة في قصة الزباء.

من الأمثلة الشهيرة على أمثال العرب في الجاهلية:

- »لا يطاع لقصير أمر، ولأمر ما جدع قصير أنفه» . «بيدي لا بيد عمرو.«
- قصة ثأر امرئ القيس لأبيه ومنها: «ضيعني صغيراً وحملني ثأره كبيراً» . «لا صحو إليوم ولا سكر غداً» . «اليوم خمر وغداً أمر.«
- جزاء سنمار : يضرب لمن يحسن في عمله فيكافأ بالإساءة إليه.
- رجع بخفي حنين: يضرب هذا المثل في الرجوع بالخيبة والفشل.
- إنك لا تجني من الشوك العنب: يضرب لمن يرجو المعروف في غير أهله أو لمن يعمل الشر وينتظر من ورائه الخير.

ربما يستطيع المحققون بجهد أن يردوا بعض هذه الأمثال لأصحابها ومبدعيها، فمن حكماء العرب عدد كبير قد اشتهر بابتكاره وإبداعه للأمثال، بما فيها من عمق، وإيجاز، وسلاسة. يقول الجاحظ" ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء: أكثم بن صيفي التميمي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطيعة، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة.

وأحكمهم أكثم بن صيفي التميمي، تدور علي لسانه حكم وأمثال كثيرة. وهي تجري علي هذا النسق

«رب عجلة تهب ريثاً»

«ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل»

«المرء يعجز لا محالة»، «لا جماعة لمن اختلف»

«لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح، فإنه كفى بالمشرفية واعظاً»

«أسرع العقوبات عقوبة البغي.«

ولكن أمثال العرب لم تأت على مثل هذه الدرجة من الرقي والانضباط الأسلوبي، مثل التي جاء بها أكثم، بل إن كثيراً من الأمثال الجاهلية تخلو من التفنن التصويري، وهذا بطبيعة الأمثال فإنها ترد على الألسنة

عفوًا وتأتي على ألسنة العامة لا محترفي الأدب. فلم يكن من الغريب أن يخرج بعضها علي القواعد الصرفية والنحوية دون أن يعيبها ذلك مثل:

١. »أعط القوس باريها« – بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها.

٢. »أجناؤها أبناؤها« – جمع جان وبان والقياس الصرفي جناتها بناتها لأن فاعلا لا يجمع علي أفعال وهذا يثبت أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء علي الألسنة وأن خالف النحو وقواعد التصريف. وبعض الأمثال يغلب عليها الغموض وقد تدل تركيبتها على معنى لا تؤدي إليه الكلمات بذاتها، ومن ذلك قول العرب: (بعين ما أرينك)؛ أي أسرع.

ولم يكن هذا النوع من الأمثال هو الوحيد بل هناك أمثال صدرت عن شعراء مبدعين وخطباء مرموقين فجاءت راغبة الأسلوب متألقة بما فيها من جماليات الفن والتصوير مثل: أي الرجال المهذب، فهذا المثل جزء من بيت للنابغة يضرب مثلا لاستحالة الكمال البشرين. والبيت: ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث. أي الرجال المهذب. ويصعب تمييز المثل الجاهلي عن الإسلامي. إلا بما يشير إليه من حادث أو قصة أو خبر، يساعد على معرفته وتمييزه مثل:

«ما يوم حليمة سر»، وحليمة بنت ملك غسان. فهو في عصر الإسلام والمثل: «اليوم خمر وغدا أمر». هو في العصر الجاهلي والأمثال ذات قالب ثابت البنية، إذ هو ذاته يستعمل في كل الأحوال، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث البناء ذات قالب بسيط: إنك لن تجني من الشوك العنب. تاتي في قالب الصنعة اللفظية: من عز بز، عش رجباً ترى عجبا. وبعضها يأتي في قالب منتهكا الترتيب النحوي: الصيف ضيعتِ اللبن.

أما أنواع المثل:

١- حقيقية

٢- فرضية خيالية.

«حقيقية: لها أصل، من حادثة واقعية، وقائلها معروف غالبا، فرضية: ما كانت من تخيل أديب ووضعها عل لسان طائر أو حيوان أو جماد أو نبات أو ما شاكل ذلك، والفرضية تساعد على النقد والتهكم ووسيلة ناجحة للوعظ والتهذيب. – بعض يمثل منهجا معينا في الحياة كقولهم: إن الحديد بالحديد يُفَلح.«

وبعضها ما يحمل توجيها خاصا كقولهم: قبل الرماء تملأ الكنائن. وبعضها يبنى على ملاحظة مظاهر الطبيعة أو يرتبط بأشخاص اشتهروا بصفات خاصة. أما من حيث اللغة فقد تستعمل الفصحى وهي عادة المثل الجاهلي، وقد تستعمل اللهجة العامية، وقد تكون هجينة ما بين ألفاظ فصحى وأخرى دخيلة وتسمى بالمولدة.

قصص الأمثال عند العرب

١-قصة مواعيد عرقوب

كان العرب في الجاهلية يمتدحون الوفي الصادق في كلامه، ويذمون مخلف الوعد، ويتعلق بهذا الخلق المذموم لديهم قصة مشهورة صارت مثلًا يذم كل من يخلف مواعيده، فَيقال: كمواعيد عرقوب، فعرقوب كان رجلًا يهوديًا يعيش في يثرب، وله أخ محتاج، وكان لعرقوب نخلة في بيته وعد أخاه أن يعطيه شيئًا من ثمرها إذا أثمرت، فلما أثمرت النخلة، رجع أخوه ليطلب منه ما وعده به. فقال له عرقوب: عد إليَّ إذا أصبحت الثمار بلحًا، فذهب أخوه وعاد إليه مرة أخرى عندما صارت الثمار بلحًا، فصرف عرقوب أخاه بقوله: عد إليَّ إذا أصبحت الثمار زهوًا، فذهب أخوه وعاد له وقد أصبحت الثمار كذلك. فأطل عرقوب على أخيه وقال له: عد إليَّ عندما تصبح الثمار رُطبًا، فذهب ثم عاد إليه عندما أصبحت الثمار رطبًا، فصرفه عرقوب حتى تصبح الثمار تمرًا، فاصطبر الأخ على أمل أن يعطيه من الثمار إذا صارت تمرًا، فلما صارت تمرًا ذهب عرقوب إلى الشجرة ليلًا فقطف ثمارها، وولم يترك لأخيه شيئًا منها، فلمّا اشتهرت القصة صار عرقوب مضربًا للمثل في خلف الوعد، وقد ذمه الشعراء في أبيات مختلفة؛ لأنه عمد إلى خلف وعده مع قدرته على تنفيذه، وفي هذا مذمة لكل من يخلف وعدًا كان قادرًا على إنجازه لصاحبه.

٢-قصة أجمل من ذي العمامة

وهو مثل اشتهر عند أهل مكة، وقيل في سعيد بن العاص بن أمية، وقد كان شديد الجمال، وكان إذا خرج من بيته تنظر إليه النساء من بيوتها، وكان إذا لبس العمامة لم يلبس أحدًا عمامة مثل لونها فلُقِّب بذي العمامة، وقيل إن هذا اللقب قد لزمه كناية عن السيادة، وكانت من عادة العرب أن تطلق لفظ "مُعمَّم"، فإذا أطلقته على فرد من أفراد قبيلة ما، قصدت بذلك أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة هي معصوبة برأسه، وقد خطب الخليفة عبد الملك بن مروان ابنة سعيد بن العاص، فأجابه أخوها ببيت من الشعر قال فيه: فتاةٌ أبوها ذو العمامة وابنه أخوها فما أكفاؤها بكثير.

٣-قصة وافق شن طبقة

هو مثل يقال لشخصين اتفقا في الرأي والفكر، وقصته تدور حول شخصين تصاحبا في سفر، وكان أحدهما يدعى شنًا، فسأل شن صديقه في الطريق فقال له: أتحملني أم أحملك؟ فاستغرب صاحبه هذا السؤال ولم يجبه، وأكملوا طريقهما، فمروا على زرع لأناس، فسأل شن صاحبه: أَأُكل هذا الزرع أم لم يؤكل؟ فنظر إليه صاحبه باستغراب ولم يجبه، ثم ساروا في الطريق فوجدوا أناسًا يحملون جنازة، فسأل شن صاحبه: يا تُرى أحيٌّ صاحب النعش أم ميت؟ فتعجب صديقه كل العجب، وسكت حتى وصلا إلى البلدة التي يسكن فيها الرجل المصاحب لشن. فدعاه للعشاء عنده في المنزل، ولما دخل الرجل إلى بيته ذهب لابنته؛ ليطلب منها أن تعد طعامًا لهما، وأخبرها أن هذا الرجل يسأل أسئلة غريبة وبدون معنى، وحكى القصة لابنته، فعرفت ابنته معنى أسئلة شن، فقالت لأبيها: يقصد بتحملني أم أحملك: أي تحدثني أم أحدثك حتى ننسى تعب السفر، وأما الزرع فيقصد هل باعه صاحبه وقبض ثمنه أم لم يقبض ثمنه بعد، وأما الجنازة فكان يسأل هل ترك الرجل أولادًا من بعده أم لم يترك؟ فلما جهزت العشاء، قال الرجل لشن سأخبرك بإجابة أسئلتك، فلما أخبره بها، قال له شن: من أخبرك؟ فقال الرجل ابنتي طبقة، فخطبها شن وتزوجها، فأصبحوا مضربًا للمثل عند العرب، فيقولون لمن توافقا في الرأي: وافق شنٌ طبقة.

٤-قصة الحارث بن عباد وابن أبي ربيعة

كان الحارث بن عباد من قبيلة بكر التي اشتعلت الحرب بينها وبين قبيلة تغلب بسبب الناقة، والحرب مشهورة باسم حرب البسوس، وقد عرف عن الحارث رجاحة عقله وجميل صفاته، وقد قُتِل له ولد يسمى بجيرعلى يد عدي ابن أبي ربيعة التغلبي، فأراد أن يأخذ بالثأر، ولما خرجت قبيلته للحرب، أسر رجلًا من تغلب، وأخبره أنه سيطلق سراحه إذا دلّه على عدي بن أبي ربيعة ليأخذ ثأر ولده، فأخذ عليه الأسير العهد أن يطلق سراحه إذا دله على مكان عدي، فأجابه الحارث بأنه سيعطيه الأمان، فأجابه الأسير بأنه هو عدي بن أبي ربيعة، فأطلق الحارث سراحه وفاءً بالعهد.

٥-قصة أجود من هَرِم

وهو مثل يقال في شدة الكرم، وقد قيل في هرم بن أبي سنان بن أبي الحارثي المري، وكان مضربًا للمثل في شدّة الكرم، وقد ذكره زهير بن أبي سُلمى في شعره، فلما وفدت ابنة هرم على عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– أيام خلافته، سألها متعجبًا عن الأعطية التي أعطاها أبوها لزهير حتى يذكره بأبيات من

المديح، فأخبرته أنه أعطاه أشياء فانية، فقد أعطاه "أعطاه خَيْلاً تنضى، وإبلا تَتْوَى، وثيابا تَبْلَى، ومالاً يفنى" ، فقال لها عمر _رضي الله عنه_: أعطى أبوكِ لزهير ما يُنسى، وما أعطاه إياه زهير لا يُنسى، وكان زهير قد قال فيه مادحًا: إنَّ البَخيلَ مَلُومٌ حيث كان ولـ كِنَّ الجوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِم هُوَ الجواد الَّذِي يُعْطيكَ نائلَه عَفْوًا، ويُظْلَم أحْيَانا فَيَظَّلِمُ.

٦-قصة شؤم البسوس

البسوس اسم فتاة عربية اشتهرت بالبؤس والشؤم فأصبحت مضربًا للمثل، وهي بنت منقذ التميمية، كانت ذاهبة لزيارة أختها أم جساس بن مُرَّة، ومعها جار لها من قبيلة جرم، اسمه سعد بن شمس وكانت معه ناقة له، فذهبت الناقة ترعى في مرعى لكليب وائل فلما رآها ضربها بسهم، فركضت الناقة إلى صاحبها وقد اختلط لبنها بالدم، فلما رأى صاحب الناقة ما بها ذهب إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فأصبحت تقول: واذُلَّاه! واغُربتاه! وقالت شعرًا سمي فيما بعد بشعر الفناء. فسمعها ابن أختها جساس وثار الدم في رأسه، فخرج حتى لقي كليب فطعنه وقضى عليه، واشتعلت الحرب بين قبيلة بكر وقبيلة تغلب بعد هذه الحادثة حتى أربعين سنة، فأصبحت البسوس مضربًا للمثل في الشؤم والقطيعة؛ لأنها كانت المُتسببة في الحرب.

٧-قصة الخرسُ لا يبطل الزواج

وهو مثل يقال عند العرب، وقصته أنه أتى رجل لرجل آخر يخطب ابنته، فقال له: إن ابنتي خرساء اللسان، خرساء الأساور، خرساء الخلخال، فهل ترضى؟ فقال الخاطب: رضيت. وقد ظنّ أنها سمينة قليلة الكلام، فلما زفت إليه وجد أنها تعجز عن الكلام وليس قليلة الكلام فقط، فذهب إلى والدها يراجعه، فأخبره أنه لم يخفي عليه ذلك، فاحتكماه إلى أحد القضاة وقال الزوج أنه ظن أن الزوجة قليلة الكلام، وذلك أنه اشتهر عند العرب قول أخرس اللسان أي قليل الكلام، فحكم القاضي بصحة الزواج؛ لأن هذه العلة لا تمنع إتمام الزواج، فعاد الرجل إلى زوجته، وعاش معها فأنجبت له أبناءً أذكياء، وكان يتغنى بهم ويقول بهم شعرًا.

٨-قصة ما يوم حليمة بسر

يضرب هذا المثل في اليوم المشهور، وقصته أن الحارث بن أبي شمر، كان في حرب مع المنذر بن ماء السماء، فوجه المنذر إلى الحرث بجيش يقارب المئة ألف مقاتل، فخاف الحارث على قومه، فجاءه رجل

يدعى شمر بن عمر بن بكر بن وائل، وكان قد أغضبه المنذر، فأخبر الحارث أنه يستطيع أن يبطئ المنذر عن القتال، فانتدب الحارث من قومه مئة رجل وأخبرهم أن يأتوا المنذر فيخبرونه أنهم يدينون له ويعطونه حاجته. وذهب إلى ابنته حليمة فأمرها أن تطيب الرجال أي تضع لهم الطيب، وكان من بينهم فتى يقال له لبيد بن عمرو، فلما دنت منه لتطيبه قبلها، فضربته وبكت وخرجت إلى أبيها، فشكت له: فأخبرها أن تسكت حتى يعود الرجال من الحرب، لأن هذا الفتى أذكاهم، فذهبوا إلى المنذر وأخبروه أنهم يدينون له، وانتظروا حتى غفل الحرس، فدخلوا على المنذر وقتلوه ومن كان معه، فقيل: وما يوم حليمة بسر فأصبحت مثلًا.

٩-قصة عنترة وعبلة

عنترة الشاعر الجاهلي، الفارس الشجاع، الذي أبدى شجاعة جعلت والده ينسبه إليه بعد أن كان يرفض ذلك، وقد أحب عنترة ابنة عمه عبلة وخطبها، فرفض أبوها أن يزوجه إياها؛ لأن أم عنترة لم تكن عربية، وهو أراد لابنته فارسًا عربيًّا، أمه وأباه من قبيلة عربية معروفة، وقيل إنه حتى يُعجِّز عنترة طلب منه ألف ناقة من إبل النعمان مهرًا، إن أحضرها سيزوجه إياها، فخرج عنترة طلبًا للإبل وتحمل المشقة والتعب والأسر، وعاد ومعه مهر عبلة، لكن عمه أخلف وعده، وزوج عبلة من رجل آخر، فظل عنترة إلى آخر حياته يذكر عبلة في شعره، ويحن إلى أيام الصبا.

هذه بعض القصص التي وردت عن العرب في الجاهلية، وفيها دليل واضح على أن العرب كانوا أهل فطنة وشجاعة وكرم، ويرى القارئ أن الأمثال التي يتداولها الناس قد قالتها العرب في مناسبات مختلفة، وكان لكل مثل منها قصة، فلم يقف استعمالها عند زمانهم، بل تناقلها الخلف عن السلف، وأصبحت تراثًا، تتناقله الأجيال وتتعلم منه الدروس والعبر.

الحكم

الحكمة قول موجز مشهور صائب الفكرة، رائع التعبير، يتضمن معنى مسلماً به، يهدف عادة إلى الخير والصواب، به تجربة إنسانية عميقة.

- من أسباب انتشار الحكمة اعتماد العرب على التجارة واستخلاص العظة من الحوادث نفد البصية والتمكن من ناصية البلاغة. وكان من أهم خصائصها؛ روعة التشبيه، وقوة اللفظ، ودقة التشبيه، وسلامة الفكرة مع الإنجاز.

- **أوجه الاختلاف بين المثل والحكمة:**

- تتفق الحكمة مع المثل في: الإيجاز، والصدق، وقوة التعبير، وسلامة الفكرة.
- تختلف الحكمة عن المثل في أمرين:

١. لا ترتبط في أساسها بحادثة أو قصة.

٢. إنها تصدر غالبا عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها.

أسباب انتشارها:

قد شاعت الحكمة علي ألسنة العرب؛ لاعتمادها علي التجارب واستخلاص العظة من الحوادث ونفاذ البصيرة والتمكن من ناحية البلاغة.

النثر المسجوع أو سجع الكهان

النثر المسجوع: "لون فني يعمد إلى ترديد قطع نثرية قصيرة، مسجعة ومتتالية، تعتمد في تكوينها على الوزن الإيقاعي أو اللفظي، وقوة المعنى."

- هذا نوع من النثر في العصر الجاهلي، أولاه المستشرقون من العناية أكثر مما يستحق؛ وبعضهم كان يغمز بذلك من طرف خفي إلى الفواصل في آيات القران الكريم كأنه يريد الطعن في إعجازه.
- يقول المستشرق بلاشير في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، "إن سكان المجال العربي عرفوا، دون ريب، نظاماً إيقاعياً تعبيرياً سبق ظهور النثر العربي، ولم يكن هذا الشكل الجمالي هو الشعر العروضي، ولكنه نثر إيقاعي ذو فواصل مسجعة". ويضيف أنه من الممكن أن يصعد السجع إلى أكثر الآثار الأدبية عند العرب إيغالاً في القدم، وبالتالي إلى ماضي أكثر غموض". فهناك من يؤكد بأن المسجوع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب.
- يقول ابن رشيق : وكان كلام العرب كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم الأخلاق وطيب أعراقها، وصنعوا أعاريض جعلوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ". فلما استقر العرب، واجتمعوا بعد تفرق، وتحضروا بعد بداوة، واجتمع لهم من سمات الحضارة وثقافة

الفكر، وتنظيم الحياة، ما جعلهم يشعرون بحاجتهم إلى كلام مهذب، وأسلوب رشيق، وفكرة مرتبة، فكان النثر المسجوع وسيلتهم في ذلك.

مميزات سجع الكهان

١. أنه يأتي محكم البناء.
٢. جزل الأسلوب.
٣. شديد الأسر.
٤. ضخم المظهر.
٥. ذو روعة في الأداء، وقوة في البيان.
٦. ونضارة في البلاغة.
٧. لغته تمتاز بأنها شديدة التعقيد، كثرة الصنعة، كثرة الزخارف في أصواتها وإيقاعها.

لذلك فالنثر المسجوع يأتي في مرحلة النضج. بينما كنا قد رجحنا من قبل بأسبقية الأمثال على غيرها من أشكال التعبير النثري.

وظاهرة السجع المبالغ فيه في النثر الجاهلي، قد ارتبطت بطقوس مشربة بالسحر والكهون ومعتقدات الجدود، لذلك يكثر في رأيه ترديد القطع النثرية القصيرة المسجعة أثناء الحج في الجاهلية، وحول مواكب الجنائز، مثل قول أحدهم: **من الملك الأشهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يشحب، وهذا غدا أول من يسلب**". ويتصف هذا النثر إجمالاً باستعمال وحدات إيقاعية قصيرة تتراوح بين أربعة وثمانية مقاطع لفظية (...) تنتهي بفاصلة أو قافية، ودون لزوم التساوي بين الجمل أو المقاطع.

الوصايا

الوصية لون من ألوان النثر التي عرفها العرب في الجاهلية؛ وهي قولٌ حكيم صادر عن مجرّب خبير، يوجهه إلى من يحب لينتفع به، أو من هو أقل منه تجربة.

- وصّى أو أوصى الرجل بمعنى «عهد إليه». قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خير فإنهن عندكم عوان.«

والوصية من عند الله إنما هي فريضة. يقول تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم..». وسميت بالوصية أيضاً لاتصالها بأمر الميت، وتعني كذلك كلمة وصّى الشيء وصياً أي اتصل، ووصله. فقد سمّي علي كرم الله وجهه» الوصي» لاتصال نسبه بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفرق بين الوصية والخطبة

إن الخطبة هي فن مخاطبة الجماهير لاستمالتهم وإقناعهم، أما الوصية فهي قول حكيم لإنسان مجرب يوصي به من يحب لينتفع به في حياته. ومن الوصايا التي جاءت في القرآن الكريم في سورة لقمان، قوله تعالى:وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

أجزاء الوصية:

١. المقدمة: وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها.

٢. الموضوع: وفيه عرض للأفكار بوضوح واقناع هادىء.

٣. الخاتمة: وفيها إجمال موجز لهدف الوصية.

من أهم خصائص أسلوب الوصية

- دقة العبارة ووضوح الألفاظ.
- وقصر الجمل والفقرات.
- والإطناب بالتكرار والترادف والتعليل.
- وتنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء.
- والإقناع بترتيب الأفكار وتفصيلها وبيان أسبابها.
- والإيقاع الموسيقي، إذ يغلب عليها السجع لتأثيره الموسيقي.
- واشتمالها على كثير من الحكم.
- وسهولة اللفظ، ووضوح الفكرة.

فن الرسائل في العصر الجاهلي

فن الرسائل في العصر الجاهلي حظي بعناية الباحثين ومؤرخي الأدب في بحث في فنون النثر الجاهلي، فقد انشغل جُلّ هؤلاء الباحثين بمقابلة الفنون النثرية في ذلك العصر بالفنون الشعرية التي بلغت أوج نضجها حين استوى الشعر العربي الجاهلي فناً لا يضاهيه فن آخر لدى القوم.

إن نظرنا في الرسائل نظراً فاحصاً ظهر لنا أن بعضها نقل إلينا عن طريق المشافهة لا الكتابة، وهذا النقل يضعف الثقة في صحتها و أن بعضها نثرٌ وبعضها شعر، ومن الرسائل الشعرية رسالة لقيط بن يعمر إلى قومه، ورسالة عبد العز امرؤ القيس الكلبي إلى قومه. ومن أشهر الرسائل النثرية وأقدمها رسالة المنذر الأكبر إلى انو شروان ملك الفرس في صفة جارية أهداها إليه .

خصائص الرسائل في العصر الجاهلي

١. تشبه الوصية المكتوبة.
٢. تنطوي على حكم و أمثال ومواعظ يهتدي بها الناس.
٣. نصوص الرسائل الشفهي و المكتوب منها قصيرة .
٤. و تعبر بأقصر الجمل . ومن الرسائل ما كان ينقل مروياً باللسان ، لا مكتوباً على الطرس. ما يكون ملغوزاً مليئاً بالذكاء و الدهاء عند العرب و قدرتهم على حلّها ، ومن أهم الامثلة على تلك الرسائل : رسالة ناشب الأعور العنبري لقومه عندما كان أسيراً عند بني سعد . وفيها يقول:

وقال أبو عبيدة في كتاب أيام العرب :أخبرنا فراس بن خندف قال: جمعت اللهازم لتغير على بني تميم وهم غارون فرأى ذلك ناشب الأعور بن بشامة العنبري وهو أسير في بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال لهم: أعطوني رسولا أرسله إلى أهلي أوصيهم في بعض حاجتي وكانوا اشتروه من بني أبي ربيعة فقالت بنو سعد: ترسله ونحن حضور وذلك مخافة أن ينذر قومه فقال: نعم.

فأرسلوا له غلاما مولدا لهم.

فقال لهم لما أتوه به :أتيتموني بأحمق فقال الغلام: والله ما أنا بأحمق فقال الأعور: إني أراك مجنونا قال: ما أنا بمجنون قال: فالنيران أكثر أم الكواكب قال: الكواكب وكل كثير.

وقال آخر :إنه قال له: والله ما أنا بأحمق فقال الأعور: إن لك لعيني أحمق وما أراك مبلغا عني! قال بلى لعمري لأبلغن عنك فملأ الأعور كفه من الرمل.

فقال :كم في كفي قال: لا أدري وإنه لكثير لا أحصيه فأومأ إلى الشمس بيديه فقال: ما تلك قال: الشمس.

قال :ما أراك إلا عاقلا شريفا اذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية وقل لهم: ليحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه فإني عند قوم محسنين إلي مكرمين لي وقل لهم: فليعروا جملي الأحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني مالك وأخبرهم أن العوسج أورق وأن النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود وليطيعوا هذيل بن الأخنس فإنه حازم ميمون.

فقال له بنو قيس :ومن بنوا مالك هؤلاء قال: بنو أخي.

وكره أن يعلم القوم.

وزعم سليمان بن مزاحم أنه قال :وإذا أتيت أم قدامة فقل لها: إنكم قد أسأتم إلى جملي الأحمر وأنهكتموه ركوبا فاعفوه وعليكم بناقتي الصهباء العافية فاقتعدوها.

فلما أتاهم الرسول فأبلغهم لم يدر عمرو بن تميم ما الذي أرسل به الأعور وقالوا :ما نعرف هذا الكلام ولقد جن الأعور بعدنا! فقال هذيل للرسول: اقتص علي أول قصته فقص عليه أول ما كلمه به الأعور وما رجعه إليه حتى أتى على آخره قال هذيل: أبلغه التحية إذا أتيته وأخبره أنا نستوصي بما أوصى به.

فشخص الرسول فنادى هذيل بلعنبر فقال :قد بين لكم صاحبكم: أما الرمل الذي جعل في يده فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى وأما الشمس التي قد أومأ إليها فإنه يقول: ذلك أوضح من الشمس وأما جمله الأحمر فهو الصمان وأما ناقته العيساء أو قال الصهباء فهي الدهناء يأمركم أن تتحرزوا فيها وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تنذروهم ما حذركم وأن تمسكوا بحلف ما بينكم وما بينهم وأما إيراق العوسج فإن القوم قد اكتسوا سلاحا وأما اشتكاء النساء فإنه يخبركم أنهن قد عملن لهم عجلا يغزون بها والعجل: الروايا الصغار.

تنوعت أساليب رسائل الشعر الجاهلي تنوعاً أسلوبيا ظاهراً على الرغم مما يبدو عليها من صور نمطية في الصيغة و البناء. ليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهليين عرفوا الرسائل

الأدبية وتداولوها، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة فقد عرفوها، غير أن صعوبة رسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية النثرية والشعرية ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية.

فن المناظرات

المناظرة تعني وجود سجال حواري بين شخصين أو أكثر، ويحاول كل فرد – أو فريق – في هذا السجال إثبات صحة ما يدعو إليه، وتفنيد وجهات نظر الآخرين. وقد وضع بعض علماء المسلمين قواعد للمناظرة منذ القرن الثاني الهجري، ورأينا بعض كتب الأدب والتاريخ تذكر أهم القواعد التي تقوم عليها المناظرات، كما نرى هذا في كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، وكتاب صناعة الكلام – الذي صلنا بعض الصفحات منه – للجاحظ .

ونرى في هذه الكتب التي نظرت للمناظرة ذكر أهم مبادئ المناظرة، ومنها أن يكون هدف كل طرف من المتناظرين الوصول للحق من خلال المناظرة، وألا يشغب أو يغضب أو يرفع صوته أحد من المتناظرين خلال المناظرة، وكذلك يجب على المتناظرين أن يضعوا أصولا يعودون إليها عند اختلافهم، إلى غير ذلك من القواعد والأصول التي تم وضعها لفن المناظرة.

تعد المناظرات أدب يحمل في طياته المجريات التي مرَّ بها الجاهليون حيث تبلورت إلى قضايا ومواضيع جدلية ودارت حولها المناظرة.

صور المناظرة في العصر الجاهلي

١ –المفاخرة: وهي الشكل الأول للمناظرة في ذلك الوقت وركزت في بدايتها على قضايا الحسب والأصل الذي اهتموا به كثيرًا وخطوا به العديد من المؤلفات.

٢ –المعاظمة: وهي أشد من المفاخرة وتتضمن المبالغة في الفخر والتباهي في العظة ومثال عليه عظم المصيبة في المناظرة التي دارت بين الخنساء وهند بنت عتبة.

٣ –المُراجزة: هي الصراع بين شاعرين من خلال أبيات نظمت على وزن بحر الرجز.

أشكال المناظرة

١ –**المناظرة الأدبية:** جاء إلينا عن طريق الرواة العديد من المناظرات التي جرت في الأسواق والمجالس الأدبية والتي تنشأ بين شاعرين أمام قاضٍ يحكم بينهم، ومنها مناظرة علقمة وامرؤ القيس والحاكم زوجة امرؤ القيس التي رأت أن علقمة أفضل من زوجها.

٢ –**المناظرة القبلية:** تقوم هذه على المفاضلة بين أمة على أخرى ومنها ما دار بين النعمان بن المنذر في مجلس كسرى حيث تباهى النعمان بالعرب ورفع مكانتهم على سائر الأمم مما ثار غضب كسرى وبدأ يقوم الحجج محاولاً تصغير أهل المشرق لكن النعمان نفاها وأثبت عكسها.

٣ –**المناظرات الاجتماعية:** حيث دارت داخل القبيلة خاصة عند تحديد السيادة فتقوم العشائر بالمناظرة فيما بينهم لإثبات قدرتها على تولي السيادة.

شروط المناظرة

١ –أن تُجرى بين مجموعتين بينهما خلاف.

٢ –تقديم الدلائل من كلا الطرفين.

٣ –حسن الكلام والإجادة فيها من أجل التمكن من جذب المتلقي لسماع المناظرة.

٤ –الحصول على نهاية القضية الرئيسية التي قامت بسببها المناظرة.

٥ –إظهار صفات وقدر كل خصم.

خصائص المناظرات

١ –احتوائها على عناصر التشويق والإثارة التي تدفع المستمع للمتابعة بشغفٍ دون ملل.

٢ –تقديم الحجج التي ثبت آراء كل طرف.

٣ –استعمال تراكيب واضحة مثيرة توضح أهمية القضية.

٤ –اللجوء إلى التكرار مما يثبت أهمية الموضوع المطروح.

٥ –الاستشهاد بالأمثلة والأحداث الواقعية والتاريخية

سمات النثر الجاهلي الفنية

١. رقي الأفكار والمعاني.

٢. جزالة الألفاظ وخشونتها، وصحة التراكيب.

٣. الاهتمام بالمحسنات البديعية وخاصة السجع.

٤. التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي.

٥. صدق العاطفة.

٦. جودة الصورة.

٧. الإغراق في الخيال أحياناً.

٨. تصوير البيئة الجاهلية تصويراً دقيقاً.

مصادر النثر الجاهلي:

- **المعارف، ابن قتيبة.**
- **السيرة النبوية، ابن هشام.**

- **وفيات الأعيان، ابن خلكان.**
- **مجمع الأمثال، الميداني.**
- **جمهرة الأمثال، العسكري.**
- **أمثال العرب، الضبي.**
- **العقد الفريد، ابن عبد ربه.**
- **ملحمة كلكامش، بعناية طه باقر.**
- **أسماء المغتالين، محمد بن حبيب.**
- **الأمالي، أبو علي القالي.**

الخاتمة

وبعد رحلة طويلة وشاقة في تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، نمضي لنسجل أبرز النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة المنهجية:

١- مثل الأدب العربي قبل الإسلام حياة الناس وواقعهم الاجتماعي والاقتصادي والديني والنفسي .

٢- كان الأدب العربي في العصر الجاهلي انعكاسا لطبيعة الحياة في الجاهلية.

٣- بلغ من تقديس العرب للشعر أنهم عمدوا إلى تعليق بعضه على استار الكعبة المقدسة.

٤- كانت نشأة الشعر العربي في العصر الجاهلي ليست ببعيدة فقد اقترنت بشعر المهلهل بن ربيعة.

٥- إن الشك في ذلك الشعر لا يستند على آراء دقيقة وأنما احتكم في أغلب حيثياته على النظريات الغربية.

٦- مثلت القصيدة الجاهلية نفسية الشاعر العربي الذي اتعبته بيئته المترامية الأطراف.

٧- اختلفت الآراء في قضية تعليق المعلقات على استار الكعبة ، فجاءت بين مؤيد ومعارض.

٨- امتاز الشعر الجاهلي بالطول عند شعراء المعلقات وبالقصر عن الشعراء الصعاليك.

٩- كانت الحرب في طليعة ما تحدث عنه الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي.

١٠- امتاز شعر الصعاليك بالوقعية والقصصية.

١١- كان النثر الجاهلي أقل من الشعر وصولا إلينا وربما يعود ذلك إلى قلة عنايتهم به واهتمامهم.

١٢- مثلت الخطابة الجاهلية قوة وفصاحة لغة العرب في الجاهلية.

١٣- جاءت القصص الجاهلية في بعضها واقعية وفي بعضها الآخر افتراضية خيالية.

١٤- وجدنا ثمة تقارب بين فنون النثر الجاهلي في الرؤى والأفكار.

١٥- خلصت الأمثال تجارب الإنسان الجاهلي، ولذلك جاءت زاخرة بالحكم.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإبلُ فِي الشِّعر الجاهليّ- دراسةٌ فِيْ ضوءِ علم الميثولوجيا والنقد الحديث، د. أَنور أَبو سويلم، دار العلوم، السعودية- الرياض، ١٩٨٣م.
- الإتجاهُ النفسيُّ فِي الشِّعر العربيّ، د. عبد الله فيدوح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٢م.
- أَثرُ الثقَافةُ فِيْ بنَاءِ القصيدة الجَاهليَّة، د. محمد الصادق الخازمي، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، ط١، ٢٠٠٨م.
- أَدبُ التاريخُ عِنْد العربِ، عفت الشرقاوي، مكتبة الشباب، (د، ط)، ١٩٧٧م.
- الأَدبُ الجاهليُّ قضايا، فنون، نصوص، د. حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
- أَديانُ العرب وخرافاتهم- ميثولوجية، الآب انستانس ماري الكرمليّ، تحقيق وتقديم، د. وليد محمود خالص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- الأسسُ الجمَاليَّةُ فِي النقدِ العربيّ- عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤م.
- الأسسُ النفسيَّةُ لأَساليب البلاغة العربيَّة، عبد المجيد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٥م.
- أسسُ النقدُ العربيّ عند العربِ، د. أَحمد بدوي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م.
- أَساسُ البلاغةُ، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، ٢٠٠٤م.
- الأَساطيرُ- دراسةٌ حضاريَّةٌ مقارنةٌ، د. أَحمد كمال زكي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م.

- الأَساطيرُ العربيَّة قَبْل الإسلام، عبد المعيد خان، مطبعة دار التأليف للترجمة والنشر، ١٩٣٧م.
- استدعاءُ الشخصيَّات التراثيَّة فِي الشِّعر العربيّ المُعاصر، علي عشر زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- استراتيجياتُ الخِطابُ، مقاربةٌ لُغويَّةٌ تداوليَّةٌ، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- أَسرارُ البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، محمود أَحمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط١، (د. ت).
- الأَسرارُ ينابيعُ الحَيَاة، الأَب لويس يوسف عتيشا، مطبعة المشرق، بغداد، ١٩٨٤م.
- الأَسطورةُ فِيْ شعرِ السياب، عبد الرضا علي، دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.
- الأَسطورةُ فِي الشِّعر العربيّ، د. يوسف حلاوي، دار الحداثة، ط١، ١٩٩٢م.
- الأَسطورةُ فِي الشِّعر العربيّ قَبْلَ الإسلام، د. أَحمد إسماعيل النعيمي، منشورات سيناء، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- الأَسطورةُ فِي الأَدبِ العربيّ، د. أَحمد شمس الدين، دار الهلال، (د.ط)، (د. ت).
- الأَسطورةُ والمعنى– دراسةٌ فِي الميثولوجيا والديانات المشرقيَّة، فراس السواح، منشورات دار علاء، دمشق، سورية، ط٨، ١٩٩٧م.
- الأَسطورةُ والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة: شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، وزارة الثقافة والأعلام، (د. ط)، ١٩٨٦م.
- الأَسطورةُ والنظريَّاتُ الميثولوجيا في الغرب، ترجمة: عادل العامل، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، بغداد، (د.ت).
- الأَسلوبيَّةُ والأَسلوبُ، عبد السلام المسديّ، دار سعاد الصباح، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.

- الأَسلوبيَّةُ وتحليلُ الخطاب، نور الدين السد، دار هومة- الجزائر، ط١، ١٩٩٧م.
- إشراقةُ شمس المسيحيَّة فِي الجزيرةِ العربيَّة، نجيب وهبة، مطبعة دار الكمال، الزيتون، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- إشكاليَّةُ المَكَانُ فِي النصّ الأَدبيّ، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافيَّة، ١٩٨٦م.
- أَصولُ البيان العربيّ، د. محمد حسين علي الصغير، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، ١٩٨٦م.
- الأَصولُ الفنيَّةُ للشِّعر الجاهليّ، د. سعد إسماعيل شلبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- الأَطلالُ فِي الشِّعر العربيّ، محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.
- إعجازُ القرآن، أَبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أَحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- الأَغانِي، أَبو الفرج الأَصفهانِيّ (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: د. إِحسان عباس، د. إبراهيم السّعافين، الاستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- الأَنا فِي الشِّعر الصوفيّ ابن الفارض أنموذجا، قحطان أَحمد الظاهر، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، (د. ط)، ٢٠٠٤م.
- أَلوانٌ من التشبيهِ فِي الشِّعر العربيّ، د. عبد الهادي خضير، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
- انتربولوجيةُ الصُورة والشَّعرُ العربيَّ قبل الإسلام، قصي الحسين، كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية، ط١، ١٩٨٠م.
- الانزياحُ فِي منظورِ الدراسَات الأَسلوبيَّة، أَحمد محمد ويس، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.

- أَنسابُ الخيل فِي الجاهليَّةِ والإسلام وأَخبارِهَا، أَبو المُنذر هشام بن محمد أَبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سورية، ط١، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م).
- الإنسَانُ المهدور- دراسةٌ تحليليَّةٌ نفسيَّةٌ اجتماعيَّةٌ، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافيّ العربيّ، (د. ت).
- الإنسَانُ والزَّمَانُ فِي الشِّعر الجاهليّ، د، حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- الآياتُ القرآنيَّة المُتعلقة بالرسولِ -ﷺ- دراسةٌ بلاغيَّةٌ وأَسلوبيَّةٌ، د. عدنان جاسم محمد الجميلي، مركز البحوث والدراسات الإسلاميَّة، ديوان الوقف السني، بغداد، ط١، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).
- الإيضَاحُ فِيْ علومِ البلاغة، جلال الدين القزوينيّ، (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الجبل بيروت، ط٣، (د. ت).
- البحثُ الأَدبيُّ- طبيعتهُ ومناهجهُ وأصولهُ ومصادرهُ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٧٢م.
- بحوثٌ فِي الروايةِ الجديدةِ، ميشيل بورتور، ترجمة: فريد أَنطونيوس، عوديات للنشر والطباعة، ١٩٨٦م.
- البدءُ والتَّاريخُ، طاهر المقدسيّ (ت٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينيّة، بور سعيد، (د. ط)، (د. ت).
- البدايةُ والنهايةُ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، (د، ط)، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).
- بدائعُ الزهُور فِيْ وقائعِ الدهُور، محمد بن إِياس الحنفي المصري، مطابع الشعب، (د. ط)، ١٩٦٠م.
- البديعُ فِي البديعِ، أَبو عبد الله محمد بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، نشر عيسى الباوي، ١٩٤٥م.
- بديعُ القرآن، ابن أَبي الأَصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني شرف، النهضة، مصر، ط١، ١٩٦٧م.

- البرهَانُ فِيْ علومِ القرآن، بدر الدين الزركشيّ (ت١٣٩٢هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ١٩٧٥م.
- البطلُ فِي التراثِ، د. نوري حمودي القيسيّ، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط١، ١٩٨٨م.
- بطولةُ الشَاْعِرُ الجاهليُّ وأَثرهَا فِي الأَداء القصصيّ، د. مى يوسف خليف، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ١٩٩٨م.
- بلاغةُ الخطابُ وعلمُ النص، د. صلاح فضل، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.
- البلاغةُ العربيَّة تأصيل وتجديد، مصطفى الصافيّ الجوينيّ، منشأة المعارف بالاسكندرية، (د. ط)، ١٩٨٥م.
- البلاغةُ العربيَّة فِيْ ضوءِ الأَسلوبيَّة ونظريَّة السياق، محمد بركات حمدي أَبو علي، دار النشر الاردن، (د. ط)، (د. ت).
- البلاغةُ العربيَّة فِيْ ضوءِ منهجٍ متكاملٍ، د. محمد بركات حمدي أَبو علي، دار البشير للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٢م.
- البلاغةُ العربيَّة والبلاغاتُ الجديدة- قراءةٌ فِي الأَنسَاقِ بَيْنَ التراثِ والمعاصرةِ، بوعافية محمد عبد الرزاق، مؤسسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسطنطينة- الجزائر، ٢٠١٨م.
- البلاغةُ فنونهَا وأَفنانها-علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الاردن، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
- البلاغةُ والأَسلوبيَّةُ، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة، (د. ط)، ١٩٨٤م.
- البلاغةُ والأَسلوبيَّة نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النص، هنري بليت، ترجمة: محمد العميري، أفريقيا الشرق،١٩٩٠م.
- بلوغُ الأَرب فِيْ معرفةِ أَحوال العربِ، المعَالِي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أَبي الثناء الآلوسي البغدادي (ت١٢٢٧- ١٣٤٢)، تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د. ت).

- بناءُ الصُورة الفنيَّة فِي البيانِ العربيِّ موازنة وتطبيق، د. كامل حسن البصير، مطبعة المجتمع العلمي العراقي، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).
- البنياتُ الأَسلوبيَّة فِي لُغة الشِّعرِ الحديث، د. مصطفى السعدي، مطابع وراء الاسكندرية، ١٩٨٧م.
- بنيةُ اللُّغة الشعريَّة، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العميري، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.
- البنيويَّة، جان بياجيه، ترجمة: عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٤، ١٩٨٥م.
- البنيويَّةُ فِي الانثربولوجيا وموقف سارتر منها، د. عبد الوهاب جعفر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، ١٩٨٩م.
- البنيويةُ والتفكيك، تطوراتُ النقد الأَدبي، رافيندران، ترجمة: خالدة حامد، دار الشؤون الثقافيّة العامَّة، ط١، ٢٠١٢م.
- البنيويَّةُ وعلم الإشارة، رومان جاكبسون، ترجمة: مجيد المَاشطة، وناضر حلاوي، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
- بؤسُ البنيويَّة الأَدب والنظريَّة، ليوناردو جاكبسون، ترجمة: ثائر ديب، دار الفرقد، سوريا، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨م.
- بويطيقا الثقافة، بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.
- بيئاتُ الشَّعرُ الجَاهليُّ، د. حسين عطوان، دار الجبل، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
- البيانُ والتَّبين، أَبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠- ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
- بَيْنَ الأَدبِ والتَّاريخِ، د. قاسم عبده قاسم، كلية الآداب- جامعة الزقاقيق، ط١، (١٤٣٨هـ- ٢٠٠٧م).
- تارجُ العروس، السيد محمد مرتضى الحسينيّ الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ترجمة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الكويت، (د. ت).

- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.
- تاريخُ الآداب العربيَّة من الجاهليَّة حتَّى عصر بني أُمية، كارلو نالينو (١٩٣٨م)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.
- تاريخُ الأَدبُ العربيّ، كارل بروكلمان، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٤، (د. ت).
- تاريخُ الأَدب العربيّ (العصر الجاهليّ)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٢٨، ٢٠٠٨م.
- تاريخُ الأَدب العربيّ قَبْل الإسلام، د. نوري حمودي القيسيّ، د. عادل البياتي، د. مصطفى عبد اللطيف، دار الطباعة، بغداد، (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
- تاريخُ الأَسطورة، كارين أرمسترونغ، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربيَّة، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- تاريخُ الأُمم والمُلُوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
- تاريخُ العربُ فِي الجَاهليَّة، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربيَّة، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- تاريخُ الفكر الدينيُّ الجَاهليّ، د. محمد إِبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، ط٤، (١٤١٥هـ ١٩٩٤م).
- تأنيثُ القصيدةُ والقارئ المُختلف، د. عبد الله الغذَّامي، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٥م.
- تأويلُ التَّاريخُ والتراثُ- دراساتٌ نظريَّةٌ تطبيقيَّةٌ، د. محمود إِسماعيل، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- تأويلُ مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إِبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).
- تأويلُ النصُّ الشعريُّ، د. محمد صابر عبيد، اربد الاردن، (د. ط)، ٢٠١٠م.
- تجلياتُ الشعريَّة- قراءةٌ فِي الشِّعر المُعاصرِ، د. فوزي عيسى، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د. ط)، (د. ت).

- تحريرُ المرأةُ، قاسم أَمين بك، (د. ن)، ط٢، ١٩٤١م.
- التحليلُ النقديُّ والجمَاليُّ للأَدبِ، د. عناد غزوان إسماعيل، دار دجلة، عمان، ٢٠١١م.
- تحوّلاتُ النقدُ وحركيَّةُ النص، علي سرحان القرشي، الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠٩م.
- التخييلُ والشَّعرُ- حفرياتٌ فِي الفلسفةِ العربيَّة، الإسلاميَّة د. يوسف الإدريسي، منشورات الاختلاف، ط١، (١٤٣٣هـ- ٢٠١٠م).
- ترجمَةُ النصُّ العربيُّ القديم، وتأويله عِنْد ريجرس بلاشير، حورية الخمليشي، منشورات الاختلاف، ط١، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م).
- تشريحُ النصُّ- مُقاربَاتٌ تشريحيَّةٌ لنصوصٍ شعريَّةٍ مُعَاْصرةٍ، د. عبد الله الغذَّامي، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٦م.
- التَّصوف، ماسينيون، ومصطفى عبد الرزاق: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ترجمة: لجنة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، د. حسن عثمان، ط١، ١٩٨٤م.
- الزَّمنُ فِي الشِّعر الجَاهليّ، د. عبد العزيز محمد شحاذة، مؤسسة حمادة للخدمات والدّراسَات الجامعيَّة، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد- الاردن، ١٩٩٥م.
- السجونُ وأَثرهَا فِي الآدابِ العربيَّة من العصرِ الجاهليّ حتَّى نهايةِ العصر الأُمويّ، د. واضح عبد الصمد، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، (د. ت).
- سرُّ الفصاحةُ، ابن سنان الخفاجي الحلبي، (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلميَّة، ط١، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).
- السردُ العربيُّ القديم (الأَنسَاق الثقافيَّة وإشكاليَّة التأويل)، ضياء الكعبي، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- سوسيولوجيا الغزل العذريّ، الطاهر لبيب، المنظمة العربيَّة للترجمة، ط١، ٢٠٠٩م.

- السيرةُ النبويَّة، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م).
- الشاعرةُ العربيَّةُ المُعَاصرة، بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن)، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- شحناتُ المَكَانُ- جدليَّة التشكيل والتأثير، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
- شرح ديوان الحماسة، أَبو علي بن محمد الحسن المرزوقي (ت٤٢١هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).
- شرح رسالة (الحور العين وتنبيه السامعين)، لأبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.
- شرحُ شواهد المغني، السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: أَحمد ظافر كوجان، (د. ن)، (د. ط)، (١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م).
- شعرُ أَوس بن حجر ورواتهُ الجاهليين، د. محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
- شعرُ تغلب فِي الجاهليَّة، تحقيق: أَيمن محمد ميدان، معهد المخطوطات العربيَّة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الشّعرُ الجاهليُّ، د. عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٦م.
- الشَّعرُ الجاهليُّ وأَيَّام العرب فِي العصرِ الجاهليّ، عفيف عبد الرحمن، دار الأَندلس، بيروت، ط١، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).
- الشّعرُ العذريُّ فِيْ ضوءِ النقدِ العربيّ الحديث (دراسةٌ فِي نقدِ النقدِ)، محمد بلوحي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د. ط)، ٢٠٠٠م.
- الشَّعرُ الجاهليُّ خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م).

- شعراءُ إمارةُ الحيرة فِي العصرِ الجاهليّ، د. عبد الفتاح عبد المحسن الشطي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ١٩٩٨م.
- الشعراءُ الفرسَانُ، بطرس البستاني، دار المكشوف، بيروت، ط٢، ١٩٦٦م.
- شعراءُ مؤرخُون- دراسةٌ فِي توثيقِ الأحداثِ التَّاريخيَّة بالشِّعر فِي القرنِ الثالثِ الهجريّ، أَحمد حسين صاحب، دار الينابيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
- الشِّعرُ والشعراءُ، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد، دار المعارف، مصر، (١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م).
- الشِّعرُ وطوابعهُ الشعبيَّة عَلَى مرِّ العصُور، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٤م.
- شعريَّةُ القصيدةُ العربيَّة- دراسةٌ أَسلوبيَّةٌ، د. محمد العياشي كنون، عالم الكتاب الحديث، اربد الاردن، ط١، ٢٠١٠م.
- شعريَّةُ النصُّ- قراءاتٌ فِي جماليَّةِ المعنى الشعريّ، د. سلام كاظم الأوسي، (د. ن)، ٢٠١٠م.
- الشيخُ والمربدُ (النسقُ الثقافيّ للسلطةِ فِي المجتمعَات العربيّة الحديثة)، عبد الله حمودي، دار توبقال للنشر، ط٤، ٢٠١٠م.
- الصحاحُ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، إسماعيل الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطارد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- الصورةُ الأَدبيَّةُ دراساتٌ فِي النقدِ الأَدبيّ، مصطفى ناصف، مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٥٨م.
- الصورةُ الفنيَّة أَسطوريًّا- دراسةٌ فِي نقدِ وتحليلِ الشِّعر الجاهليّ، د. عماد علي الخطيب، تقديم: عبد القادر الرباعي، دار جهينة، عمان، ٢٠٠٦م.